The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Art
Master of History

الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغـزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــة الآداب
ماجستير/ تاريخ

صورة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام

عند المستشرقين الغربيين

(1 – 132 هـ = 622 – 750 م)

The Image of the Islamic Conqests During the Beginnings of Islam Among Western Orentalists

(1-132 AH / 622-750 AD)

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمد توفيق محمد جبر

إِشرَافُ الدُكتُور

غسان محمود أحمد وشاح

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التاريخ بِكُلِيةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

يوليو/2018م – ذو القعدة/1439هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقـــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان :

صورة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام

عند المستشرقين الغربيين

(1 - 132 هـ = 622 – 750 م)

The Image of the Islamic Conqests During the

Beginnings of Islam Among Western Orentalists

(1-132 AD / 622 – 750 AH)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخالص ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد ، وأن هذه الرسالة ككل أو جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this ; the work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researchers own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification .

Student name:	محمـــد توفيـق جبـــــر	اسم الطالب :
Signature :	Mohammed . T. Jaber	التوقيع :
Date :	2018/7/1م	التاريخ :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتيجة الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/
الرقم: Ref: 2018/08/11م
التاريخ: Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد توفيق محمد جبر** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **التاريخ**

وموضوعها:

صورة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام عند المستشرقين الغربيين (1 - 132 هـ = 622 م - 750 م)

The Image of the Islamic Conqests During the Beginnings of Islam Among Western Orentalists
(750 - م 622 = -- 132 - 1)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **السبت 29 ذو القعدة 1439**هـ الموافق **2018/08/11**م الساعة **الواحدة** مساءً، في قاعة مبنى **القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً ورئيساً**	.....
أ. د. خالد يونس الخالدي	**مناقشاً داخلياً**	.....
د. محمد الأمين ولدان	**مناقشاً خارجياً**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم العام للنسخة	3106796	اللغة	ع

التاريخ: 2018/9/17

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ محمد توفيق محمد جبر

رقم جامعي: 120152679 قسم: التاريخ كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

255

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

محمد توفيق محمد جبر

إدارة المكتبة المركزية

أ. محمود عبد الرؤوف

ملخص الرسالة باللغة العربية

جاءت هذه الرسالة بعنوان صورة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام عند المستشرقين الغربيين (1 - 132 هـ / 622 – 750 م) ؛ لإظهار الصورة التي صور بها المستشرقون الغربيون هذه الفتوحات، في كتاباتهم عن الإسلام، وتباينت تلك الآراء ما بين متحامل على الإسلام، وبين منصف لتلك الفتوحات للوصول إلى حقيقة النظرة الغربية للإسلام وفتوحاته، التي فاجأت العالم خلال العصرين الراشدي والأموي .

تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول تناول الفصل الأول : الإستشراق والمستشرقين بشكل عام، وكذلك دوافع الإستشراق، وأهدافه، ووسائله، فضلاً عن نبذة عن أبرز المستشرقين الغربيين، الذين تناولوا قضية الفتوحات الإسلامية في كتاباتهم.

أما الفصل الثاني فقد تطرق إلى حقيقة الفتوحات الإسلامية، وأظهر عالمية الدين الإسلامي وانتشاره السريع، بالإضافة إلى مشروعية الجهاد في الإسلام، وأبرز الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام .

وتحدث الفصل الثالث : عن دوافع الفتوحات الإسلامية عند المستشرقين : الاقتصادية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية، والقومية، كذلك شهادات المستشرقين المنصفين حولها.

وأما الفصل الرابع : فقد تناول أثر الفتوحات الإسلامية على سكان المناطق المفتوحة، إذ تعددت ما بين أثار : دينية، واقتصادية، وعمرانية، وسياسية، وإدارية، واجتماعية، وعلمية .

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها : أن جزءاً من المستشرقين الغربيين كالوا اتهاماتهم، وأكاذيبهم للفتوحات الإسلامية، بقصد تشويه الحقائق وتزييف التاريخ الإسلامي، وذلك وفق سياسة خطط لها الغرب ، وتوصلت الدراسة إلى أن الفتوحات الإسلامية كان لها أثر كبير على تقدم الحضارة في العالم بأسره في كل الميادين .

توصلت الدراسة كذلك إلى أن مجموعة كبيرة من المستشرقين الغربيين أنصفت الإسلام فيما يتعلق بموضوع الفتوحات الإسلامية، وأرجعت له الفضل في إيصال الحضارة إلى أوروبا، وأشادت بالمعاملة الحسنة التي لا نظير لها من قبل المسلمين في فتوحاتهم، من تسامح وعدل ورحمة ومساواة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This research entitled by “The Image of the Islamic Conquests during the Beginnings of Islam among Western Orientalists (1-132 / 632-750 AD)” to reveal the picturethatwestern orientalists portrayed these conquests in their writings about Islam. These views varied between prejudice, neutral, and supportive of those conquests.This research aims to show the reality of the Western view of Islam and its conquests that surprised the world during the Rashidi and Umayyad eras.

This researchwas divided into four chapters. The first chapter discussed orientalism and orientalists in general, as well as the orientalism motives, objectives and means. In another hand,it discussed with the most prominent western orientalists who dealt with the Islamic conquests issue in their writings.

The second chapter discussed the reality of Islamic conquests and showed the universality of Islamic religion and its rapid spread, in addition to the legitimacy of jihad in Islam and the most prominent Islamic conquests during the Rashidi and Umayyad era.

The third chapter dealt with the economical, religious, political, social and national motives of the Islamic conquests from the view of the orientalists, as well as the neutral orientalists' testimony about the Islamic conquests.

The fourth and final chapter dealt with the different religious, economical, architectural, political, administrative, social and scientific impact of Islamic conquests on the residents of the open areas.

The study concluded with a series of results.The most prominent of which is that part of the western orientalists charge accusations and lies on Islamic conquests in order to distort the facts and falsify the Islamic history in accordance to a policy planned by the West.

The study also found that the Islamic conquests had a significant and obvious impact on the progress of civilizations in the whole world in all fields.

The study also found that a large number of western orientalists equated Islam concerning the subject of Islamic conquests, attributed the credit for the delivery of civilization to Europe to it, and praised the unprecedented good treatment by the Muslims in their conquests like tolerance, justice, mercy and equality.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾

التوبة:(33)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــداء

- إلى صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذين ملأوا الأرض عدلاً وخيراً وأخرجوا أهلها من ظلمات الجاهلية إلى نور الهداية .

- إلى جيوش الحق والعدل الذين كان لهم الدور الكبير في نشر دعوة الله – سبحانه وتعالى – من مشارق الأرض إلى مغاربها .

- إلى الشهداء الأكرم منا جميعاً في كل بقعة من بقاع الأرض ونخص بالذكر شهداء فلسطين المباركة .

- إلى جنود الحق رافعي لواء الجهاد والمقاومة في أرض الإسراء والمعراج الذين سيكتب الله – سبحانه وتعالى – على أيديهم تحرير المسجد الأقصى المبارك .

- إلى أبي وأمي أطال الله عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية .

- إلى زوجتي الغالية ، وفقها الله لمرضاته .

- إلى فلذات كبدي، أبنائي و أحبابي (بلال – إسلام – شام) بارك الله لي بهم .

- إلى إخواني وأخواتي وأهلي زادهم الله من فضله .

- إلى أصدقائي وأقربائي وزملائي، وفاءً واحتراماً، إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شـكــرٌ وتــقــديــرٌ

الحمد لله حمد الشاكرين المرابطين على أرض فلسطين، والصلاة والسلام على خير المجاهدين **الإمام القائد محمد** - صلى الله عليه وسلم - وبعد .

وإذا كان الفضل يجب أن ينسب لأهله، وإذا كان الاعتراف بالجميل واجباً في الأعناق يجب أن يذكر لذويه، فإنني في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى **رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية الدكتور الفاضل : غسان محمود وشاح**؛ الذي أشرف على هذا البحث منذ طرح فكرته حتى نهايته .

وأتقدم كذلك بالشكر إلى لجنة المناقشة؛ **الأستاذ الدكتور الفاضل: خالد يونس الخالدي؛ أستاذ التاريخ بالجامعة الإسلامية "مناقشاً داخلياً"، والدكتور الفاضل: محمد الأمين باريك؛ من الجمهورية الإسلامية الموريتانية "مناقشاً خارجياً"** ، والتي تكرمت بالموافقة على قبول هذه الرسالة ومناقشتها، وستكون ملاحظاتهما وتوجيهاتهما نبراساً يضاف إلى الجهود التي تثري هذه الرسالة.

والشكر أيضاً **لهيئة التدريس في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية،** الذين لم يبخلوا بعلمهم وتوجيهاتهم لي خلال مسيرتي التعليمية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب له الخير، وأن يوفقه في مسيرته العلمية المتواصلة ، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان .

ختاماً فإنني أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في رسالتي وحققت الهدف المنشود الذي قصدته من كتابة هذا البحث، وقد بذلت في كتابته وإخراجه ما بوسعي وظني أني قد حققت الغاية ، فإن أصبت فمن الله وإن قصرت فمن نفسي ومن الشيطان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الـبـاحـث

محمد توفيق جبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الـــفـــهـــرس

إقـــرار ..... ت

ملخص الرسالة باللغة العربية ..... ث

Abstract ..... ج

الإهـــــداء ..... خ

شـكـــرٌ وتـــقـــديـــرٌ ..... د

المقدمة: 1

أهمية الدراسة: 1

أهداف الدراسة: 1

منهج الدراسة: 1

حدود الدراسة : 2

تقسيمات الدراسة : 2

الدراسات السابقة 3

معوقات الدراسة : 3

تحليل لأهم المصادر التاريخية : 4

الفصل الأول الإستشراق والمستشرقون 5

المبحث الأول تعريف الإستشراق والمستشرقين 6

المبحث الثاني نشأة ومراحل الإستشراق 11

المبحث الثالث دوافع الإستشراق 18

المبحث الرابع أهداف المستشرقين ووسائلهم 26

المبحث الخامس تصنيف المستشرقين ونبذة عن أبرزهم 30

الفصل الثاني حقيقة الفتوحات الإسلامية 37

المبحث الأول عالمية الدين الإسلامي 38

المبحث الثاني انتشار الدين الإسلامي 47

المبحث الثالث مشروعية الجهاد في الإسلام وأسبابه 56

المبحث الرابع أبرز الفتوحات الإسلامية 65

الفصل الثالث دوافع الفتوحات الإسلامية في نظرالمستشرقين والرد عليها 77

المبحث الأول شبهة انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها 78

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المبحث الثاني الدوافع الاقتصادية والرد عليها .....93.....
المبحث الثالث الدوافع القومية والسياسية والاجتماعية والرد عليها .....110.
المبحث الرابع شهادات المستشرقين الغربيين المنصفين للفتوحات الإسلامية .....118.
الفصل الرابع أثر الفتوحات الإسلامية على سكان المناطق المفتوحة .....127.
المبحث الأول الآثار الدينية المترتبة على البلدان المفتوحة .....128.....
المبحث الثاني الآثار الاقتصادية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .....137.
المبحث الثالث الآثار العلمية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .....144.
المبحث الرابع الآثار الاجتماعية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .....151.
المبحث الخامس الآثار العمرانية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .....157.
المبحث السادس الآثار السياسية والإدارية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .....161.
الـخـــاتـمـــة .....168.....
المصادر والمراجع .....169.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاختصارات

الكلمة	الرمز
تاريخ الوفاة	ت
الجزء	ج
المجلد	مج
دون مكان النشر	د . م
دون تاريخ النشر	د . ت
دون طبعة	د . ط
دون ناشر	د . ن
ط	طبعة
التاريخ الميلادي	م
التاريخ الهجري	هـ
قسم	ق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

أثارت الفتوحات الإسلامية التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في صدر الإسلام حفيظة العديد من المستشرقين الغربيين الذين تباينت آراؤهم اتجاه تلك الفتوحات ما بين منصف ومتحامل .

وقد دفعت تلك الفتوحات ومدى انتشارها الواسع، في زمن قياسي محدود عدداً كبيراً من المستشرقين، للنيل من قادة الفتح الإسلامي وعملوا على تشويه صورهم بالعديد من الاتهامات التي كيلت لهم جزافاً، حيث كانت تلك الفتوحات وما زالت محط أنظار الكثيرين الذين ذهلوا بقوة المسلمين، وقدرتهم الكبيرة على فتح الكثير من البلدان، ونشر تعاليم الدين الإسلامي عليها، ولاسيما هزيمة أعتى إمبراطوريتين وهما: الفرس والروم .

ولعل ما يميز هذا الموضوع أن ينبري الباحث للدفاع عن فتوحات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وتفنيد مزاعم المستشرقين المتحاملين على الفتوحات الإسلامية والرد على الصورة التي أوردها المستشرقون، والرد عليها بأدلة عملية منطقية واضحة لا غبار فيها .

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة الحالية من خلال التالي :

- ندرة الدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع رغم أهميته .
- إظهار شهادات المستشرقين الغربيين المنصفين للفتوحات الإسلامية .
- الرد على شبهات المستشرقين الغربيين المتحاملين على الفتوحات الإسلامية .
- إظهار سماحة الإسلام في تعامله مع أهالي البلدان التي تم فتحها ونشر الدين الإسلامي في ربوعها .

أهداف الدراسة:

- إظهار الصورة الحقيقية للدين الإسلامي في المعارك والفتوحات والمعاملات التي سار على نهجه الصحابة الكرام بالفتح الإسلامي .
- التعرف على المستشرقين ومنهجهم في البحث التاريخي اتجاه الفتوحات الإسلامية .

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته المنهج التاريخي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدود الدراسة :

ما ورد في كتابات المستشرقين الغربيين المتعلقة بالفتوحات الإسلامية التي وقعت ما بين عام : (1 - 132 هـ = 622 – 750 م) .

تقسيمات الدراسة :

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وقد جاءت هذه التقسيمات على النحو التالي :

اشتملت المقدمة على نبذة مختصرة عن الموضوع وسبب اختياره وأهميته وعرض لأهم مصادر البحث ومراجعه .

وجاء الفصل الأول بعنوان : الإستشراق والمستشرقون، وتناول خمسة مباحث : تحدثت في المبحث الأول: عن تعريف الإستشراق والمستشرقين، أما المبحث الثاني تناولت نشأة الإستشراق ومراحله، وتحدثت في المبحث الثالث عن دوافع الإستشراق، أما المبحث الرابع فتطرق إلى أهداف المستشرقين ووسائلهم، بينما كان الفصل الخامس في تصنيف المستشرقين وذكر نبذة عن أبرزهم ممن تناولوا موضوع الفتوحات الإسلامية .

وتناول الفصل الثاني والذي بعنوان حقيقة الفتوحات الإسلامية أربعة مباحث ، تحدثت في المبحث الأول عن عالمية الدين الإسلامي، وتناول المبحث الثاني انتشار الدين الإسلامي، بينما تطرقت في المبحث الثالث إلى مشروعية الجهاد في الإسلام وأسبابه، وكان المبحث الرابع بعنوان: أبرز الفتوحات الإسلامية في المدة الزمنية للموضوع الذي دارت أحداثه خلال العصرين الراشدي والأموي .

وتناول الفصل الثالث دوافع الفتوحات الإسلامية لدى المستشرقين والرد عليها، وقسم إلى أربعة مباحث: كان المبحث الأول عن الدوافع الدينية للفتوحات عند المستشرقين والرد عليها ، بينما تناول المبحث الثاني الدوافع الاقتصادية عند المستشرقين وتم الرد عليها، أما المبحث الثالث فجاء عن الدوافع القومية والسياسية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية في نظر المستشرقين، وختم الفصل الثالث بالمبحث الرابع الذي تحدث عن شهادات المستشرقين الغربيين المنصفين والمؤيدين للفتوحات الإسلامية .

وفي الفصل الرابع كان الحديث عن أثر الفتوحات الإسلامية على سكان المناطق المفتوحة، وقسم الفصل إلى ستة مباحث، تناولت في المبحث الأول الآثار الدينية المترتبة على الفتوحات، بينما كان المبحث الثاني عن الآثار الاقتصادية التي ترتبت على سكان المناطق المفتوحة نتيجة الفتوحات الإسلامية، بينما كان المبحث الثالث عن الآثار العلمية، وتطرقت إلى الآثار الاجتماعية في المبحث الرابع، بينما كانت الآثار العمرانية في المبحث الخامس وختم الفصل بالآثار السياسية والإدارية التي تحدثت عنها بالمبحث السادس .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة

تناولت بعض الدراسات السابقة بعض المواضيع التي تحدثت عن موقف المستشرقين من الفتوحات الإسلامية ، وكانت عبارة عن أبحاث بسيطة ، وليست رسائل علمية ، ولم يتعرض أحدٌ من المؤرخين أو الباحثين للحديث عن صورة الفتوحات الإسلامية عند المستشرقين الغربيين في صدر الإسلام (1- 132هـ / 622 – 750 م) ، مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع ، ومن الدراسات السابقة لتلك الرسالة :

1 - دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين
الدكتور جميل عبد الله المصري ، دار القلم ، دمشق .
حيث تناول هذا الكتاب المكون من حوالي مئة صفحة الأسباب التي ادعى المستشرقون انتشار الإسلام بسببها فقط ، ولم يتطرق إلى طبيعة وصورة الفتوحات الإسلامية لدى هؤلاء المستشرقين ، وهذا ما يريد الباحث أن يتطرق إليه في رسالته ، بالإضافة إلى أن هذا الكتاب ذكر به عدد قليل من المستشرقين ، بينما يعتزم الباحث تناول الجوانب كافة التي صورها المستشرقون للفتوحات الإسلامية سواءاً كانت منصفة أم متحاملة .

2 - الرؤية الإستشراقية لجهود الصحابة في نشر الإسلام
وهو عبارة عن بحث تحليلي للدكتور هيثم عبد الرحمن عبد القادر المحاضر بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، وقد تناول البحث المكون من حوالي ثلاثين صفحة فقط الحديث عن عالمية الإسلام وموقف المستشرقين من انتصارات الصحابة بالإضافة إلى خطة إستراتيجية لمواجهة الإستشراق ، بينما سيتناول الباحث في دراسته موقف المستشرقين من الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام والتي تمتد على مدار 132 عاماً وصورة هذه الفتوحات لدى المستشرقين .

عوائق الدراسة وصعوباتها :

تعرض الباحث للعديد من الصعوبات في دراسته كان أبرزها ندرة الدراسات التي تناولت موضوع الفتوحات الإسلامية عند المستشرقين الغربيين بشكل منفصل .

كما واجه الباحث صعوبة البحث والتنقيب عن المعلومات المتعلقة بالفتوحات الإسلامية عند المستشرقين ، إذ تناول المستشرقون العداء للدين الإسلامي بشكل عام ، وكانت الفتوحات الإسلامية بين ثنايا هذه الدراسات والتي قد يكون الكثير منهم تعمد إلى إطفاء شمعتها من باب التجاهل للصورة المشرقة التي علت رايتها في تلك الفترة الزمنية من باب الجحود والإنكار .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل لأهم المصادر التاريخية :

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على كثير من المصادر التاريخية سواء الكتب العربية مثل تاريخ الرسل والملوك للطبري وفتوح البلدان للبلازري والبداية والنهاية لابن كثير وموسوعة المستشرقون لعبد الرحمن بدوي وكذلك المستشرقون لنجيب العقيقي ، والتي أمدت الدراسة بمادة علمية تاريخية جيدة ، والتي أثرت الموضوع بشكل واضح وميسر .

وتم الاستعانة أيضاً بالكثير من كتب المستشرقين البالغة الأهمية والتي تمت ترجمتها إلى المصادر العربية مثل : كتاب الحضارة الإسلامية للمستشرق متز ، وكذلك حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون وقصة الحضارة كذلك لول ديورانت ، فضلاً عن كتاب الدفاع عن الإسلام للمستشرقة الإيطالية لورافيشيا فاغاري وكذلك شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكا .

ولقد استفدت من هذه المصادر فائدة كبيرة ، فهي بالغة القيمة بالإضافة إلى الكثير من المصادر الأخرى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الإستشراق والمستشرقون

- المبحث الأول: تعريف الإستشراق والمستشرقون .
- المبحث الثاني: نشأة ومراحل الإستشراق .
- المبحث الثالث: دوافع الإستشراق .
- المبحث الرابع: أهداف ووسائل المستشرقين .
- المبحث الخامس: تصنيف المستشرقين ونبذة عن أبرزهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف الإستشراق والمستشرقين

مفهوم الإستشراق :

الإستشراق لغة : كلمة مشتقة من مادة (شرق) يقال شرق الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت[1] ، وهي مشتقة أيضاً من كلمة شرق وهي جهة شروق الشمس [2] ، والسين في كلمة الإستشراق تدلل على طلب دراسة ما في الشرق[3] .

الإستشراق اصطلاحا : هو علم الشرق أو العالم الشرقي [4] ، وهو العلم الذي يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم [5].

وتعد العلاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي وثيقة، فقد أطلق على الدراسة التي تعني بالعالم الشرقي مصطلح الإستشراق، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات المستشرقين، وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من حياتهم في دراسة المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق وتتبعها[6] .

آراء المؤرخين في الإستشراق :

تباينت آراء المؤرخين في تعريف الإستشراق ومآربه وطبيعته، فمنهم من أرجعه إلى دراسة الشرق وعلومه وحضارته ومنهم من قصد به استيلاء الغرب على خيرات العرب والمسلمين وثرواتهم، ومنهم من عزاه إلى دراسة سر نهضة العرب والمسلمين وتقدمهم .

وقد عرف المفكر الألماني رودي بارت الإستشراق بأنه كلمة مشتقة من كلمة شرق ، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي[7]، بينما عرف أحمد حسن الزياد الإستشراق بأنه دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وأدبه وعلومه وعاداته ومعتقداته ، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منابر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية ، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقاً في غياهب الجهل الكثيف والبربرية [8] ، ويرى آخرون بأن الإستشراق هو (المعنى الخاص بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بشكل عام ، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي ، عندما يطلق لفظ إستشراق وهو

([1]) مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط (ج1 / 482) .
([2]) الرازي ، مختار الصحاح (ص336).
([3]) عتر ، الإستشراق نشأته وأهدافه (ص26) .
([4]) بارت ، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية (ص11) .
([5]) ناجي ، تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي (ص23).
([6]) زقزوق ، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص18).
([7]) بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص11).
([8]) الزياد ، تاريخ الأدب العربي (ص512).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشائع أيضاً في كتابات المستشرقين المعنيي ن)[1] ، كما أطلق لفظ الإستشراق على طلب دراسة لغات الآداب الشرقية [2] .

وأما إدوارد سعيد فيرى بأن الإستشراق هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه وأن الإستشراق قد شكل الحضارة الشرقية في كوكبة من الأفكار الشرقية كالاضطهاد والأبهة الشرقية وغيرها، محدداً مواصفات المستشرق بأنه عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، ويشترط توافر العديد من الشروط لديه ليصبح عالماً متخصصاً ينتج ويفيد البشرية بإنتاجه العلمي، ويشترط أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب، وليس شرطاً أن يرحل إلى الشرق ليعيش فيه ويتطبع بطباعه وحضارته، ولكنه قد يقوم بدراساته في جامعاته الغربية ، وإن كان رحيله إلى الشرق أكثر فائدة وأقرب إلى الواقعة والحقيقة، بينما يعرفه آخرون بأنه هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى إستشراقاً[3] .

كما عد آخرون الإستشراق بأنه تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين بما يخص شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم، الاجتماعية، وغير ذلك ، بهدف دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من ناحية، وأغراض الاستعمار الغربي من ناحية أخرى، وكذلك إعداد الدراسات اللازمة لتفتيت الأمة وتشتيت شملها، ثم توسعت الدراسات الإستشراقية، لتشمل جميع ديانات الشرق، وعاداته، وحضاراته، وما يتعلق به [4] .

ويعرف الباحث الإستشراق بأنه رغبة الباحثين الغربيين في دراسة الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لمعرفة سر ازدهار الحضارة الإسلامية، ومعرفة نقاط القوة حتى تستفيد بلدانهم من خبرات المسلمين العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغيرها، وتتبع مناطق الضعف لدى المسلمين، من أجل السيطرة على ثروات العرب والمسلمين، من أجل تعزيز الضعف لتحقيق الإختراق الثقافي، ولاجتماعي، والسياسي، والسيطرة على مقدرات وخيرات المسلمين .

ويرجع اختيار الشرق لموقعه المهم الذي يتوسط العالم ويعد مركز للحياة في حقبة العصور الوسطى على مستوى العالم، حيث كان هذا المركز يحدد من خلاله مفهوم كلمة الشرق والغرب، ثم تلا ذلك انتقال مركز الأحداث إلى شمال أوروبا وصولاً إلى إنشاء عدة حضارات متطورة في القارتين الأمريكيتين، حيث أدى هذا الاتساع و التطور إلى تغيير مضمون كلمة الشرق ومفهومها [5] .

وكان العالم قد شهد منذ القدم قوتين عظمتين تتنازعان السيادة أولاهما في الشرق والأخرى في الغرب حيث تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، وفي عهد الدولة الإسلامية انتقل الصراع بين المسلمين والروم، ثم بين المسلمين والصليبيين، تلاها بين المسلمين والأوروبيين، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلاً في آسيا وأفريقيا، وبين الغرب ممثلاً في أوروبا وأمريكيا[6].

ويعد الصراع بين الشرق والغرب صراعاً قديماً قبيل ظهور الدين الإسلامي، وهذا يدلل على عمق وحضارة هاتين المنطقتين وعراقتهما من ناحية، ورغبة كل منهما

([1]) زقزوق ، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص18).
([2]) المرصفي ، المستشرقون والسنة (ص9) .
([3]) الإستشراق (ص38-39).
([4]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص120).
([5]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي(ص111).
([6]) حسين ، الإسلام والحضارة الغربية (ص11).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للسيطرة على العالم من ناحية أخرى، حيث يظهر ذلك من خلال قوتي الروم والفرس اللتين كانتا تتنافسان على السيطرة على العالم قبيل قيام الدولة الإسلامية بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم في العام الأول للهجرة في المدينة المنورة .

وقد كان المستشرقون يقومون بالدراسات الإستشراقية ويقدمون دراساتهم للمبشرين بهدف تحقيق أهداف التبشير من ناحية وللدوائر الاستعمارية بهدف تحقيق أهداف الاستعمار من ناحية أخرى [1] .

وتأتي جوهر كتابات المستشرقين تحت مضمون أن الإسلام هو المسؤول عما أصاب العالم الإسلامي في العصور الحديثة من تأخر حضاري ، بينما كانت النصرانية هي سبب ما شهدته أوروبا من نهضة حضارية، وقد دعا هؤلاء المستشرقون المسلمين إلى فصل حياتهم الدينية عن الدنيوية [2] .

مكانة المستشرقين وأهمية دراسة الإسلام

احتل كثير من المستشرقين مراكز علمية مرموقة في الجامعات الغربية وأوكل إليهم ملف منح الشرقيين في العلوم الإسلامية وغيرها بهدف صناعة حملة الشهادا ت من بلدان العالم الإسلامي وفق ما يريده المبشرون والمستعمرون، فضلاً عن استغلال اليهود هذا المجال حتى أصبح عدد وفير من كراسي الأستاذية للدراسات الشرقية في الجامعات الغربية قد احتله اليهود وسعوا من خلاله لتحقيق أهداف يهودية[3] .

وتجدر الإشارة إلى أن المستشرقين تصدروا مواطن المكانة والريادة في مجتمعاتهم من خلال الدراسات العلمية الهامة التي قاموا بتقديمها لدوائر صنع القرار في بلدانهم، وهذا يظهر أيضاً عظم تلك الدراسات التي كانوا يقومون بها وأهميتها .

كما بدأت جهود المستشرقين تتوالى لدراسة الإسلام، والإطلاع عن كثب على حقيقة الدين الإسلامي، حتى تمكن الغرب من الاستيلاء على العالم الإسلامي، وتمكنوا من ثرواته العلمية و الاقتصادية إلى أن تم عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1290هـ/ 1873م، ثم توالت مؤتمرات المستشرقين بالانعقاد[4] .

وقد حظي المسلمون باهتمام المستشرقين، حيث وضعوا ذلك الأمر على سلم أولوياتهم لمآرب عدة، حيث يذكر جون تاكلي بأنه يجب أن يستخدم القرآن الكريم وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه للقضاء عليه تماماً، ويجب أن يرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً، بينما يقول : (جب) إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء[5].

تقسيم المستشرقين

ويمكن تقسيم المستشرقين إلى أربعة أصناف رئيسة هي:

- **فريق حاقد على الإسلام والمسلمين:** وهو الذي قام بالافتراء على الإسلام وتشويه صورته وقد عمل بتوجيه من الحكومات الغربية، وقد أساء هذا الفريق من المستشرقين للدين الإسلامي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم بشكل متفاوت و بلغوا جهوداً كبيرة

([1]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص121).
([2]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص67).
([3]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص121).
([4]) زقزوق ، الإسلام والإستشراق (ص20 ، 21).
([5]) التبشير والاستعمار (ص40).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعمقوا في دراسات المسلمين وقدموا إنتاجا علمياً قيماً بهدف وضع السم في العسل والعمل على تضييق العقول وتشويه الأفكار [1] .

- **فريق المرتزقة:** وهم الذين سخروا دراساتهم وأبحاثهم لخدمة أجندة الغرب مقابل الأموال التي تلقوها من الغرب، وقد مال هذا الفريق للإستشراق واتخذه مهنة كأي من المهن الحرة في المعاهد والمكاتب والمتاحف والمطابع وغيرها [2] .
- **فريق علمي:** تعرض للإسلام من ناحية علمية بحثية، غير أنه انحرف عن الصواب لوقوعه في عدة أخطاء، وقد وقع هذا الفريق في المحظور ولم ينصف الإسلام وتاريخه، لكنه بدون عمد أو قصد بسبب جهله [3] .
- **فريق قدم دراسات وأبحاث هامة ومنصفة للإسلام والمسلمين** بطريقة علمية دقيقة لا غبار عليها، وقد كتب هذا الفريق بروح علمية صادقة ودرس الإسلام حتى اهتدى إلى اعتناقه [4] كما قدم هذا الفريق للعالم أبحاثاً قيمة وكانت عادلة في حكمها ، وأشادت بالإسلام [5]، وأفاد هذا الفريق قومه بما يكتب عن تلك الحضارة، كما تميز بدقة بحثه وإتقانه الطريقة العلمية، وتطبيقها على الدراسات العربية، وتطرقه إلى جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية حيث قام بنشرها بطريقة علمية دقيقة [6] .

فضل المستشرقين :

على الرغم من الكثير من الجوانب السلبية التي قامت عليها الدراسات الإستشراقية، إلا أن هناك بعض الجوانب الإيجابية التي ظهرت من خلال تلك الدراسات لعل أبرزها :

- ساعدت دراسات المستشرقين في ثروة الفكر ولا سيما بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، وأوضحت الكثير من الحقائق العلمية، وأضافت العديد من الأبحاث إلى المكتبة العربية [7] .
- أثبت كتابات المستشرقين أهمية التراث الشرقي والعربي وذخائر أفكاره، وأظهروا العديد من المخطوطات العربية التي كانت مجهولة القدر عند أصحابها [8] .
- يسجل للمستشرقين أنهم أول من أنشأ المطابع الشرقية في بلدان الغرب والشرقين الأوسط و الأقصى وشمالي أفريقيا، وعملوا على نشر الأمهات من العلوم والآداب والفنون العربية [9].
- يعد إدخال المنهج العلمي على الدراسات العربية والإسلامية من ضمن مزايا المستشرقين حيث طبقه المستشرقون على العلوم العربية تطبيقاً صحيحاً [10] .
- أدت الدراسات الإستشراقية إلى إحياء علوم الشرق و تراثه ومدنيته، وقد نشأ عن ذلك تداول الكتب العربية، وطباعة القرآن الكريم وكتب الطب والفلسفة وغيرها، كما أسهمت في وضع معاجم القرآن الكريم والحديث النبوي التي أفادت الباحثين وسهلت عليهم البحث بها [11] .

([1]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص107).
([2]) المصدر السابق (ص91).
([3]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص121).
([4]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص102 - 103).
([5]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص121).
([6]) روزنثال ، مقدمة كتاب علم التاريخ عند المسلمين (ص13).
([7]) حسن ، الإسلام بين الإنصاف والجحود (ص6).
([8]) المصدر السابق (ص7).
([9]) العقيقي ، المستشرقون (ج3 / 1146).
([10]) المصدر السابق (ج3 / 1143).
([11]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص109) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الدكتور على الخرطبولي بأن الأوروبيين استفادوا من الحضارة العربية الإسلامية، بينما لم يستفيدوا شيئاً يذكر من الحضارتين اليونانية والرومانية، لأن اليونانيين كانت جامعاتهم تلقن العلوم الفلسفية فقط بينما كان الرومان لا يفكرون إلا في بناية الأبنية الضخمة والملاعب الواسعة لإظهار قوتهم وعظمتهم [1] .

وعلى الرغم من الإيجابيات السابقة التي أظهرها المستشرقون، إلا أنها لم تساو شيئاً أمام الآثار السلبية الكبيرة التي نشأت عن الإستشراق، وأدت إلى تشويه كبير لصورة الإسلام، وتزييف لحقائقه وطعن في رسالته، فضلاً عن الكثير من الأضرار التي خلفتها .

أخطاء المستشرقين :

بلغت أخطاء المستشرقين درجات كبيرة ومتفاوتة ، إذ أنها أدت إلى نتائج كارثية لا تزال آثارها موجودة إلى يومنا هذا لعل أبرزها :

- التعصب الديني ، حيث عمل على إثارة الصراعات بين الديانات ولا سيما الإسلام والنصرانية، وكان لذلك آثار كبيرة على العالم الإسلامي .

ويدلل على ذلك برنالد لويس إذ يقول لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية [2].

- أخطاء الترجمة والنسخ ، حيث إن بعض المستشرقين لم يحسنوا الترجمة فعمدوا إلى الاستنتاجات وكان ذلك نتيجة ضعفهم في اللغة العربية .
- اغترار المستشرقين بأنفسهم ، حيث ترفع أولئك المستشرقون عن العلماء العرب ولم ينظروا إليهم إلا كنظرتهم إلى تلاميذ الكتاتيب .

ويرى العقيقي بأن السير وراء المستشرقين حتى النهاية هو عين الضلال ، وكذلك يرى بأن المتغربين العرب خدعوا أنفسهم عندما اعتقدوا بأن المستشرقين أتوا فصل الخطاب والحجة الواضحة [3] .

([1]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص30).
([2]) اللبان ، المستشرقون والإسلام(ص36).
([3]) المستشرقون (ج1 / 223).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

نشأة ومراحل الإستشراق

النشأة :

اختلفت آراء العلماء والمؤرخين فيما بينهم بشأن نشأة الإستشراق، فقد تباينت مواقفهم وآراؤهم اتجاه تلك النشأة إلى فترات زمنية متباينة ،حيث قدم كل منهم مبررات للفترة الزمنية التي عزا فيها نشأة الإستشراق .

وقد كان الإستشراق صادراً في نشأته الأولى عن أغراض ودوافع تبشيرية ودينية، كما أثر المستشرقون أعمق تأثير في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام ، حيث أصبحت لهم اليد الطولى في تشكيل موقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين على مدى قرون عديدة ، كما لعبت المؤسسة الإستشراقية دوراً كبيراً وفاعلاً في الفكر الإسلامي الحديث، فقد أثر بشكل مباشر في بناء العقول الإسلامية ، وصياغة رؤيتها حسب الرؤية الغربية [1] .

آراء المؤرخين حول نشأة الإستشراق :

أرجع بعض العلماء نشأة الإستشراق إلى القرون الميلادية الأولى [2]، وهناك من أرجعه لزمن الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان ازدهارها ونهضتها العلمية ، بينما نسبه آخرون إلى زمن الحروب الصليبية حيث الصراع بين الإسلام والغرب ، كما رأى آخرون أن بدايات الإستشراق تزامنت مع الحروب الدموية التي قامت بين المسلمين والنصارى في الأندلس[3]، بعد استيلاء النصارى على طليطلة عام 448هـ – 1056م [4].

ويرجع الخرطبولي الإستشراق في نشأته إلى قرون كثيرة سابقة للقرن الثامن عشر، حيث أرسي قواعده منذ العصور الإسلامية الأولى [5]، بينما يرى الجندي أن الإستشراق قد نشأ لمقاومة المد والتوسع العربي الإسلامي الذي عبر إلى أوروبا وسيطر على أسبانيا واجتاح جزء من جنوب فرنسا وبدأ يسيطر على جنوب إيطاليا معقل المسيحية [6] .

وأما السامرائي فيرى أن بداية الإستشراق الحقيقية كانت مع بداية الحروب الصليبية حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والصليبية في عهد نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، حيث الهزائم التي تلقاها قادة الصليبيين، مما دفع الغرب من الانتقام بكل الوسائل [7]، كما بدأ الجاحدون للإسلام من الأوروبيين يتعلمون اللغة

([1]) العقيقي ، المستشرقون (ص17).
([2]) المصدر السابق (ص19).
([3]) الأندلس: جزيرة كبيرة بالمغرب فيها عامر وغامر، طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة، ودورها أكثر من ثلاثة أشهر، ليس فيها ما يتصل بالبر إلا مسيرة يومين، والحاجز بين بلاد الأندلس وافرنجة جبل ينظر: القزويني ، آثار والبلاد وأخبار العباد (ج503/1).
([4]) فوزي ، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (ص20).
([5]) المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص27).
([6]) تاريخ الغزو الفكري والتغريب (ص153).
([7]) السامرائي ، الإستشراق بين الموضوعية والإفتعالية (ص20).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية ليس حباً فيها، وإنما اتخذوها وسيلة لفهم القرآن، وسلاحاً في مناقشته، حيث أدركوا حينها أن المناقشة على علم أجدى وأقوى من المناقشة بغير سلاح و لا عدة [1] .

ويدلل على ذلك ما ذكره ابن الأثير بأن " بطريرك " بيت المقدس وقادة الصليبيين خرجوا لابسين السواد مظهرين الحزن عندما حرر صلاح الدين بيت المقدس ودخلوا بلاد الإفرنج يطوفون أرجائها ويستنجدون بأهلها ويحثونهم على الأخذ بالثأر لأرض بيت المقدس [2] ، كما أقبل بعض الصليبيين المستشرقين على الإسلام بعد أن لامسوا أخلاق المسلمين وتسامحهم ، وأنضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين عناصر جديدة، واستقروا في مملكة بيت المقدس [3] .

وأما الدكتور محمد الشرقاوي فيرى بأن الإستشراق قد بدأ بداية حقيقية منتظمة بقرار المجمع الكنسي في فينا بالموافقة على تدريس اللغات الشرقية في خمس من جامعات أوروبا الكبرى وهي باريس وأكسفور د والجامعة البابوية وبولونيا وسلمنكا عام 711هـ/1312م، ثم توسعت ليتم افتتاح أقسام جديدة في مناطق أخرى [4]، وبذلك يكون الإستشراق قد ولد في أحضان الكنيسة النصرانية الرومانية [5] .

ويؤرخ الغرب المسيحي بداية الإستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع إيفينا الكنسي[6]،عام711هـ/1312م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية بالعديد منن اللغات المنتشرة في عدد من الجامعات الغربية[7] .

بينما عد آخرون بداية الإستشراق الحاجة الملحة للغرب لمعرفة أسباب قوة المسلمين، وخاصة بعد سقوط القسطنطينية عام 754هـ/1353 م [8] .

وأما محمود زقزوق فيرى أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الإستشراق وإن كان الغرب يرجعه إلى عام 711هـ/1312م عندما صدر قرار مجمع فينا الكنسي بإنشاء عدة كراسي للغة العربية بالجامعات الأوروبية[9].

ومما سبق يستنتج أن الإستشراق بأهدافه وغاياته، قد نشأ منذ زمن طويل مع بداية تصاعد الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية وبدء الاحتكاك بين المسلمين والرومان، ثم انتقل إلى بلاد الأندلس، وصولاً إلى الحملات الصليبية، وعزم أوروبا السيطرة على بلاد الشرق واستغلال خيراته وثرواته، إلا أن مفهوم الإستشراق بذاته لم يظهر إلا مع بدء الحملات الصليبية والهزيمة المدوية التي نزلت بالصليبيين على أيدي المسلمين ، فلجأ الغرب إلى استخدام مصطلح الإستشراق من ناحية علمية لتحقيق مراده.

([1]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص35).
([2]) ابن الأثير ، الكامل(ج9 / 201).
([3]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص108).
([4]) الإستشراق (ص30).
([5]) المصدر السابق (ص32).
([6]) هو المجمع المسكوني الخامس عشر في الكنيسة الكاثوليكية .عُقد في مدينة فيين الفرنسية. دعا إلى عقده البابا كليمنت الخامس بإيعاز من فيليب الرابع ملك فرنسا بهدف سحب دعم الكنيسة لفرسان الهيكل؛ ينظر: Irwin, Robert. *For lust of knowing*, Penguin, 2007 pp47-8
([7]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص16).
([8]) زقزوق ، الإسلام و الإستشراق (ص21).
([9]) زقزوق ، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص18) ؛ أدوارد سعيد ، الإستشراق (ص80).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإستشراق في العصر الحديث :

دخل الإستشراق في مرحلة متميزة بعد توسع الدولة العثمانية في القارة الأوروبية ، حيث ازدادت روح التعصب الصليبية واعترف بذلك جوستاف لوبون حينما قال : " لا جرم أن أشياع محمد كانوا خلال قرون طويلة من أخوف الأعداء الذين عرفتهم أوروبا ، فكانوا بتهديدهم الغرب بسلاحهم في الحروب الصليبية، وبعد استيلاء العثمانيين على الآستانة ، يذلوننا بحضارتهم الثانية الساحقة ، وقد تراكمت الأوهام الموروثة المتصلبة علينا، والنقمة على الإسلام وأشياعه عدة قرون، حتى أصبحت جزء من نظامنا " [1] .

وقد حرصت الدولة العثمانية في بداية حكمها للبلاد العربية والإسلامية أن تضع سداً منيعاً ضد أنظار الأوربيين عن تلك البلاد، حتى لا تمتد إليها مطامعهم واستعمارهم، وقد نجح ذلك السد في بداية الطريق إلا أنه منع أي لون من ألوان التواصل الحضاري الذي قد يتيح الفرصة للعلماء الأوربيين لدارسة تاريخ الشرق وحضارته، كما جعل العرب والمسلمين بمعزل عن حضارة أوروبا [2].

ومع بداية النهضة الأوروبية بدأ ينشأ مفهوم الفكر الاستعماري، واحتاج الطامعون باستعمار بلاد المسلمين إلى زاد من الدراسات الشرقية، فأوعزت الدوائر الاستعمارية إلى العديد من المتعلمين في بلادها للتفرغ للدراسات الشرقية في جوانب متعددة ، حيث كان من بينهم منسوبو الكنيسة الذين يحملون أهداف التبشير، ثم أسس للإستشراق معاهد، وتشكلت جمعيات من المستشرقين للتعاون في الأعمال المتعلقة بالدراسات الشرقية، وأدخلت هذه الدراسات للجامعات الكبرى وأصبح لها فروع متعددة وكلها سخرت لتشويه صورة الإسلام [3] .

الإستشراق يقدم خدمات جليلة لأوروبا :

حرص الأوربيون على الاستفادة من الحضارة العربية الإسلامية بشكل علمي منظم، واهتمت دولهم بإرسال بعثات علمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى إثر سطوع شهرة الأندلس وحضارتها في إنجلترا وفرنسا وهولندا [4] ، كما قام ملوك أوروبا بإرسال بعثات إلى تلك البلاد أبرزها بعثة ملك إنجلترا حيث أرسل ابنة أخيه على رأس بعثة من بنات الأمراء والأعيان إلى أشبيلية، وكذلك رسالة الملك إلى الخليفة الأموي بالأندلس هشام الأول يسأله فيها السماح بإيفاد هيئة تشرف على دراسة أنظمة بلاده وشرائعها وثقافتها، وقد وافق الخليفة على طلبه آنذاك ، بالإضافة إلى غيرها من البعثات [5] .

وقد استهدف الإستشراق خدمة الاستعمار عن طريق العلم ، وظهرت النظريات الاستعمارية التي قامت على التهوين من شأن الشرق والعرب والإسلام ، وقد قامت على الهوى حيث كانت في مقدمتها نظرية السامية التي تصف العرب بأنهم قوم أقل درجة في الفكر والثقافة من الأجناس الأخرى [6] .

([1]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص39).
([2]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص26) .
([3]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص124).
([4]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص28).
([5]) المدور ، الديانات والحضارات (ص70) .
([6]) الجندي ، تاريخ الغزو الفكري والتغريب (ص154).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت مؤتمرات الإستشراق لا يدعى إليها من البلاد العربية إلا أعوان المستشرقين ودعاة التغريب، حيث ركز المستشرقون بشكل أساسي على الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ويتهمون الإسلام بأنه مليء بالتحريف والافتراء والكذب، ويعملون على إثارة الشكوك و البلبلة، فهم لا يدرسون حقيقة الإسلام، ولكنهم يدرسون الإلحاد في الإسلام، ويدرسون مذاهب الخلاف والفرق كالتصوف والزندقة وغيرها، ويهدفون من وراء ذلك إلى تصوير الإسلام بصورة مضطربة منفرة قوامها الخلاف والصراع، كما وزع المستشرقون أنفسهم على أبحاث الإسلام، فاختص قسم منهم بمباحث القرآن وآخر بمباحث النبي صلى الله عليه وسلم، وثالث بأبحاث الدين الإسلامي [1] .

وقد كان موقف الفكر العربي الإسلامي من الإستشراق هو الحرص والحذر رغم ظهور طائفة من دعاة التغريب الذين رددوا آراء المستشرقين وحملوا أفكارهم [2].

وقد ظهرت ألوان أخرى من الإستشراق كانت من نتاج التعصب الديني الذي كان من خصائص تلك العصور الوسطى، حيث أقبل بعض الأوروبيين على الإستشراق من أجل كيد للإسلام والعروبة [3] .

كما برز دور كبير للرهبان من خلال رحلاتهم وزياراتهم للبلدان الإسلامية، حيث يعد الراهب الفرنسي " جربرت" [4]، الذي انتخب بابا لكنيسة روما من أوائل الرهبان وأبرزهم الذين سلكوا ذلك الطريق، وكذلك الراهب " بطرس المحترم " [5]، حيث عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم وعملوا على نشر ثقافة المسلمين ومؤلفاتهم ، وأسست معاهد خاصة للدراسات العربية، وبدأت ترجمة المؤلفات العربية إلى اللاتينية، مروراً بترجمة القرآن الكريم وبعض الكتب العربية وصولاً إلى القرن الثامن عشر الذي استولى فيه الغرب على العالم الإسلامي وممتلكاته، وإذ بعلماء الغرب ينبغون في الإستشراق ويعملون على شراء المخطوطات العربية من أصحابها أو يسرقونها من المكتبات العامة ويتم نقلها إلى بلادهم، وقد بلغت المجلدات التي وصلت أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر إلى (250 ألف مجلد)، ومازال هذا العدد يتزايد إلى يومنا هذا وفي نهاية القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1290هـ/1873م، ثم تتابعت المؤتمرات بالانعقاد حيث يلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته [6] .

([1]) المصدر السابق (ص154).
([2]) الجندي ، تاريخ الغزو الفكري والتغريب (ص155).
([3]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص31).
([4]) بابا فرنسي، وهو أول فرنسي يخلف ألماني، أتقن اللغة العربية والعلوم عند العرب على أيدي العرب في أسبانيا؛ ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقون (ص172).
([5]) عالم بالأدب ومفردات العربية وفلسفتها وتاريخها ذات أصول لبنانية؛ ينظر:الزركلي، الأعلام(ج25/2).
([6]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص17 - 18 - 19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراحل الإستشراق

مر الإستشراق بمراحل متعددة على مدار فترات زمنية متتالية وفقاً للظروف والأحداث التي مرت بها بلاد الشرق، حيث يمكن تقسيم الإستشراق إلى ثلاث مراحل أساسية :

أولاً – مرحلة ازدهار الحضارة العربية وتوسع الفتوحات الإسلامية :

ساعدت الفتوحات الإسلامية على توسع الدولة الإسلامية في مناطق جديدة ظهر بها الإسلام لأول مرة، ولا سيما بلاد أوروبا ، فضلاً عن الازدهار الحضاري الكبير في العديد من المجالات المتنوعة على توجه الغرب نحو دراسة الإستشراق، فكانت أولى مراحل الإستشراق حيث تطورت الحضارة الإسلامية وازدهرت .

وقد بدأت تلك المرحلة منذ أن طرقت الجيوش الإسلامية أبواب أوروبا وقامت الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس، وانتشرت حضارة إسلامية لم تشهدها أوروبا من قبل ، فبدأ الأوربيون الغارقون في ظلام التخلف يبحثون عن أسباب النهضة الإسلامية وسر بلوغها هذه المكانة السامية، وأخذوا يكتسبون من علوم الشرق ما يفيدهم ويخلصهم من الجهل والضياع ، كما لجأ بعض الرهبان إلى بلاد الأندلس وتعلموا في مدارسها وتثقفوا بعلوم المسلمين وثقافتهم، وتتلمذوا على أيدي علمائهم، وترجموا بعض الكتب العربية إلى لغاتهم [1] .

كما شهدت تلك المرحلة ترجمة الكثير من أمهات الكتب العربية، وكذلك إنشاء مكتب للمترجمين عام 524هـ/1130م بإشراف رئيس أساقفة طليطلة ونقل بواسطته أمهات الكتب بالرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها [2] .

و في هذه المرحلة أيضاً تم ترجمة القرآن الكريم عام 537هـ/1143م على يد الراهب الإنجليزي " هرمان " [3]، غير أن تلك الترجمة لم تر النور بسبب تخوف الكنيسة من تأثيرها على الرأي العام المسيحي وقد تساعد على انتشار الإسلام في صفوفهم [4] .

ثانياً – مرحلة ما بعد الحروب الصليبية :

ازدادت حاجة الغرب للإستشراق بعد هزائمهم المدوية التي تلقوها على أيدي المسلمين خلال حملاتهم الصليبية على الشرق، وظهرت لديهم الحاجة الملحة للمعرفة والاطلاع وضرورة الدراسة الدقيقة لأوضاع المسلمين من داخلهم، كي يتمكنوا من السيطرة مجدداً على تلك البلاد .

يعد الإستشراق في هذه المرحلة أحد أهم نتائج الحروب الصليبية التي دارت بين المسلمين والغرب، حيث أن الصليبيين الذين هزموا عسكرياً بدا لديهم التفكير الجدي لغزو المسلمين فكرياً حتى يتسنى لهم السيطرة عليهم ، وقد ظهر ذلك ضمن وصية ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة لويس الذي وقع في الأسر على أيدي

---

(1) الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية (ص187).
(2) العقيقي ، المستشرقون (ج1 / 99).
(3) هرمان: مستشرق سويدي، عمل أستاذا للعربية في كلية أو بسالا بالسويد، ونشر قسما من رحلة ابن بطوطة، وكتب في خواص الضمائر، في اللغات السامية ينظر: الزركلي، الأعلام (ج8/83).
(4) البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن (ص90).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين في بلاد مصر وخرج بفدية كبيرة، وأيقن بأن لا سبيل للتغلب على المسلمين إلا عن طريق تحويل فكرهم ، وترويضهم عن طريق الغزو الأوروبي [1] .

ولعل الغرب لجأوا من دراسة تاريخ المسلمين إلى مرحلة التغلب عليهم فكرياً، إذ إن التغلب الفكري على أي جماعة أهم بكثير من التغلب عليهم في ساحات القتال وميادينه.

وقد اتخذت الجامعات الغربية على اعتماد الكتب العربية واعتبارها مراجعاً للدراسة، وتم إنشاء المعاهد المتخصصة بالدراسات العربية [2] .

ثالثاً – مرحلة الاستعمار للبلاد العربية :

لجأ الغرب إلى زيادة أطماعه في الوطن العربي، حيث وضع خيرات البلاد العربية وثرواتها نصب عينيه، وسعى جاهداً للسيطرة عليها، مما أسس لهذه المرحلة الجديدة من الإستشراق التي نشأت في العصر الحديث، حيث قدمت الدراسات الإستشراقية خدمات جليلة للغرب وسهلت عليهم السيطرة على تلك البلاد .

وقد بدأت هذه المرحلة مع استعمار الغرب للعالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته، وتجلى ذلك في إصدار عدد من المجلات في بلاد الغرب، كما تم الإستيلاء على المكتبات العربية [3].

وتبع ذلك العديد من المؤتمرات التي تم تنظيمها ضمن مسلسل التآمر على الإسلام، والسيطرة على ممتلكاته ، ولم يظهر الإستشراق كعلم في تلك الفترة إلا عندما أيقنت الحكومات الغربية أنها بحاجة ماسة وملحة إلى دراسة بلاد الشرق التي استعمرتها من حيث اللغة والدين والاقتصاد والحضارة، فقامت بإنفاق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين في سبيل الحصول على دراسات شاملة يتم من خلالها التكيف مع طبائع البلدان المستعمرة وتثبيت أقدام الاستعمار في تلك البلاد، كما كان هناك تعاون وثيق بين كبار المستشرقين والمسؤلين في الغرب، كما تميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الكتب والموسوعات التي تناولت الثقافة العربية والإسلامية وانتشرت المجلات العلمية التي تناولت الفكر الإسلامي الذي يحمل في طياته هجوماً على الإسلام وتظهر حقداً دفيناً على الإسلام وأهله[4].

وقد ظهر في هذه المرحلة التوسع الكبير للإستشراق حيث بدا كأهمية كبيرة للغرب إذ جعلت الدراسات الإستشراقية أولوية لدى الحكومات الغربية وقد ظهر ذلك من خلال المعاهد وتأثيرها على الحكومات العربية، كما شهدت تلك المرحلة تدخل الإستشراق وشموله مناحي الحياة كافة في البلاد العربية .

ومما يميز تلك المرحلة أيضاً عقد المؤتمرات وتطورها وتوسع دائرة المشاركين فيها ، بالإضافة إلى زيادة عدد المجلات العلمية التي تصدر في معظم البلاد الأوروبية، فضلاً عن الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية، كما تميزت هذه الفترة بأن الحكومات الغربية لم تعد الداعم الرئيسي للمستشرقين وإنما كان هناك مساعدات من بعض الحكومات العربية [5] .

([1]) اجريشة ، أساليب الغزو الفكري (ص19).
([2]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص67).
([3]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة (ص90).
([4]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص69 - 70).
([5]) المصدر السابق (ص 73 - 74).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر من ذلك أن بعض الدول الغربية استطاعت أن تنصب لها حكومات في البلاد العربية يدينون لها بالولاء ويعملون على تسهيل مهامها، ويساعدونها على استغلال ثروات شعوبها ، وهذا أقصى ما وصلت إليه تلك الدول من تسهيلات كبيرة لم تكن تطمح لها في يوم من الأيام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دوافع الإستشراق

تعددت دوافع الإستشراق التي شجعت المستشرقين لدراسة التاريخ الإسلامي حيث قسمت هذه الدوافع إلى خمسة دوافع هي الدافع الديني، و الإستعماري، و الاقتصادي، و السياسي، و العلمي .

وتختلف الدوافع تبعاً لاختلاف الأزمنة والعصور التاريخية واختلاف العلاقات السياسية والدولية وكذلك اختلاف البيئات الجغرافية، وتنوع المستويات الحضارية، إلى جانب الفروق الفردية، لأن المستشرقين ليسوا صنفاً واحداً وإنما يختلفون في عقلياتهم ونفسياتهم وصفاتهم [1].

وكان الإستشراق قد ظهر بداية بهدف وقف التيار الإسلامي، ثم تطور بعد ذلك للقيام بعمل مضاد للإسلام وقد تقاطع الإستشراق مع عدة قوى كالاستعمار والتبشير والصهيونية التي اجتهدت من أجل غاية واحدة وهي القضاء على الإسلام وإضعافه [2].

ويرى الباحثون أن الإستشراق قد بدأ بغرض ديني بحث بعد شعور الغرب بالخطر الشديد نتيجة انتشار الإسلام واتساعه، ثم ازداد ذلك الشعور قوة بعد هزيمة الصليبيين في حملاتهم العسكرية المتتالية على الشرق، فبدؤوا يفكرون في طريقة تساعدهم في وقف التيار الإسلامي من خلال إعطاء صورة خاطئة عن الإسلام تشكك المسلمين في دينهم وتبعد غير المسلمين عن الدخول في الإسلام [3] .

وقد كان الإستشراق في أصله محاولة لوقف التيار الإسلامي، ثم تطور ليصبح مضاد للإسلام، حيث تعاونت معه قوى الاستعمار والتي تعمل من أجل غاية واحدة هي إضعاف المسلمين، والسيطرة على بلادهم، فضلاً عن التبشير الذي يعمل على الحيلولة دون انتشار الإسلام، وكذلك الصهيونية التي تسعى للحيلولة دون تجمع العرب كي لا يواجهونها [4] .

أولاً- الدافع الديني :

يعد العامل الديني أهم العوامل التي دفعت الغرب للإستشراق عند إدراكه ضرورة محاربة العقيدة الإسلامية التي ينطلق منها المسلمون في انتصاراتهم وفتوحاتهم، إذ إنها الملهمة لهم في الصراع الدائر بين المسلمين والغرب، فقد لجؤوا إلى دراسة التاريخ الإسلامي من منطلق ديني .

و كان ذلك بعد الخطر الكبير الذي شكلته الدولة الإسلامية على أوروبا، إذ لا بد للغرب أن يواجه الإسلام عقائدياً، ولم يكن التراث العقدي والفكر الأوروبي كافياً لمواجهة الإسلام كقوة عقدية وفكرية سياسية لأن الدولة الإسلامية كانت قوية منتصرة لم تقاوم الغرب فحسب بل وصلت بجيوشها إلى أبواب القسطنطينية، وتوغلت في

([1]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص54).
([2]) الجندي ، الإسلام في وجه التعريب (ص77).
([3]) الزيادي ، ظاهرة دخول الإسلام (ص70).
([4]) الجندي ، الإسلام في وجه التعريب (ص77).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أوروبا حتى وصلت فرنسا وإيطاليا، فشكل هذا كله حافزاً ودافعاً للغرب لدراسة الفكر والفلسفة والثقافة الإسلامية [1].

و كان الفشل الذي مني به الغرب سياسياً وعسكرياً أحد أهم العوامل التي كانت وراء انطلاق الدافع الديني لمواجهة الإسلام، حيث غدا الغزو الديني والثقافي بديلاً للحرب التي لم تحقق هدفها المنشود في ساحة القتال [2] .

وقد هدف الدافع الديني بشكل أساسي إلى إخراج المسلمين عن دينهم، وتنصيرهم أو إبقائهم بلا دين من أجل تحقيق مآرب ومنافع [3] .

دور الكنيسة في تعزيز الدافع الديني :

لعبت الكنيسة دوراً كبيراً في التحشيد ضد المسلمين انطلاقاً من دورها الدين، وعملت على نشأة الإستشراق بتوجيه منها، وكان للعصبية الكنيسية دور في تشويه صورة الإسلام وقلب حقائقه، وتبديل محاسنه بالكثير من المساوئ، ناهيك عن الإفتراء عليه زوراً وبهتاناً لأنه دين نهب وسلب وسفك للدماء وإدمان للخمر والشهوات، وتأتي هذه الافتراءات التي ساقتها الكنيسة بعد انتشار اليقظة الفكرية في شعوب أوروبا وزهدهم في أفكار الكنيسة وإعراضهم عن الديانة المسيحية وارتقاب دخول بعضهم في الإسلام، فكانت تلك الصور المزيفة للدين الإسلامي [4] .

لذلك كان الإسلام حينها الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين وهو الدين الذي لا يستحق الانتشار كما يزعمون وأهله قوم همج لصوص وسفاكو دماء ويحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، واشتد الهجوم على الإسلام بعد أن رأوا حضارة المسلمين تزعزع أسس العقيدة عند الغربيين، فلم يجدوا خيراً من الهجوم على الإسلام ولا سيما ما خلفته الفتوحات الإسلامية في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام[5]. كما كان للرهبان دور كبير في تشويه وتحريف الإسلام ، وقلب حقائقه [6].

وقد كان كثيراً من رجال الكهنوت المسيحي المدفوعين من منطلق الانتصار للنصرانية وقد بدت رغبتهم بتنصير المسلمين[7] .

كما ظهرت في أوساط الكنيسة في أوروبا حركة تدعو للاستزادة من معرفة تاريخ الإسلام وعقيدته بهدف الرد على المسلمين من خلال نقض عقائدهم وبيان ضعفها وتهافتها، وقدمت اقتراحات لإقامة مؤسسات تعليمية تأخذ على عاتقها مسئولية تدريس اللغات والأديان الشرقية وعلى رأسها الدين الإسلامي، وكل هذا يهدف إلى نقل المعركة مع المسلمين من ساحة القتال إلى الغزو الثقافي الديني [8].

ويظهر من ذلك أن الغرب أدركوا بما لا يدع مجالاً للشك أن حسم المعركة الحقيقية هي من خلال طمس الهوية الدينية وتغييب المسلمين عن دينهم، وهذا تظهره الوسائل التي لجأت إليها الكنيسة من أجل تحقيق هذا المراد .

([1]) فوزي ، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (ص32).
([2]) ساثرين ، الآراء الغربية عن الإسلام في العصور الوسطى (ص68).
([3]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص123).
([4]) عتر ، وحي الله (ص24).
([5]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص20 - 21).
([6]) المصدر السابق (ص16).
([7]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص127).
([8]) البهي ، الفكر الإسلامي الحديث (ص523).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما استمر هجوم الغرب على الإسلام الذي تحركه عصبية رجال الكنيسة وصولاً إلى العصر الحديث الذي أطل باختراعاته وحضارته الجديدة ، مما دفع المستشرقين إلى تكثيف الهجوم على الإسلام للفت أنظار مجتمعاتهم عما يوجد عندهم من تزييف في عقائدهم [1] .

وقد قامت الكنيسة بإنشاء أول مركز لدراسة التاريخ الإسلامي في طليطلة بالأندلس عام 648 هـ – 1250م [2] ، كما اتخذ الغرب وسائل عديدة لإخراج المسلمين عن دينهم أبرزها تشويه الإسلام والتشكيك في أسسه، فضلاً عن تشويه الحضارة الإسلامية وتزيين التعليم والحكم بالديانة المسيحية وكذلك زعموا أن الأحكام الشرعية الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري [3] .

ثانياً- الدافع الاستعماري :

شكل الدافع الاستعماري عاملاً هاماً كأحد دوافع الإستشراق حيث كان هدفه الرئيسي السيطرة على الشرق وسلب ثرواته، وتشتيت شمل المسلمين وإضعافهم، ولا سيما بعد الهزائم الكبيرة التي تلقاها الغرب على أيدي المسلمين وفشل الحملات الصليبية على الشرق، خاصة الهزيمة في الحملة الصليبية السابعة، وفشل الثامنة.

ويعد الدافع الاستعماري احد الدوافع الرئيسة للإستشراق، حيث ظهرت الدوافع الاستعمارية لدى الغرب ولم تنقطع أطماعهم في بلاد الشرق بعد هزيمتهم الكبرى في الحروب الصليبية، فعمد علماء الغرب على دراسة العادات والتقاليد واللغات والثروات والأحداث التي تخص الشعوب العربية، فضلاً عن جغرافيا الشرق وخصائص شعوبه، ودرسوا مواقع الثروات وكذلك عرفوا الإمكانيات والمواهب ، مما دفعهم بالتفكير مالياً في تحطيم قوى الشرق واستلاب كنوزه العلمية والمادية وإفقاده ثقته بنفسه وبمبادئه وتراثه وحضارته وتقاليده، وخاصة بعد أن تمكنوا منه عسكرياً بعد الحرب العالمية الأولى، فعمدوا إلى إخراج أناس ضعاف النفوس وجهلاء بدينهم، ليتم لهم ابتزاز خيرات الشرق مادياً، والتأثير على الدين الإسلامي لدى شعوبه، وتمزيق وحدته وشمله اجتماعياً وبذلك تتم لهم الهيمنة على الشرق[4].

ويظهر من خلال تلك الجهود الكبيرة التي اتبعها الغرب، في تفتيت بلاد المسلمين ولجوء المستشرقين الغربيين إلى العديد من الحيل الماكرة، التي كانت تهدف للإيقاع بالمسلمين، وتفريقهم، وتشتيت شملهم، وإضعافهم، ومن ثم السيطرة على بلادهم.

وقد نشأ الدافع الاستعماري للإستشراق بعد الهزيمة المدوية التي نزلت بالصليبيين في الحروب الصليبية، وإعادتهم إلى أوروبا بعد فشلهم من احتلال البلاد العربية، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بعد تحرير الأشرف خليل بن قلاوون [5]، لعكا[6]، عام 690هـ/1291م فلجؤوا لدراسة هذه البلاد في كل شؤونها، بهدف التعرف على مواطن الضعف، والقوة فيها، ليحسنوا استغلالها بهدف إضعاف المقاومة الروحية، والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن في صفوفهم، وقد هدف هذا الدافع إلى السيطرة على بلدان

([1]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص78).
([2]) ساثرين ، الآراء الغربية عن الإسلام في العصور الوسطى (ص37).
([3]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص128).
([4]) عتر ، وحي الله (ص25 - 26) .
([5]) خليل بن قلاوون الصالحيّ: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة 689 هـ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاستردّ منهم عكة وصورا وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وتوغل في الداخل. وكان شجاعا مهيبا عالي الهمة جوادا، له آثار عمرانية ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج4/ص10)؛ الزركلي، الأعلام (ج2/321).
([6]) عكا: مدينة على ساحل بحر الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/141).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالم الإسلامي طمعاً باستغلال خيراته، واستعباد سكانه، من أجل تحقيق أهوائهم، وأن يكون لهم العلو في الأرض [1] .

وتعتبر الحملة الفرنسية على مصر 1798 – 1801م بداية الأطماع الاستعمارية التي عدت أول غزو أوروبي للمشرق العربي، حيث قدم الفرنسيون مزودين بمدينتهم الحديثة التي تقوم على العلم والاختراع برفقة الكثير من العلماء المتخصصين المستشرقين الأثريين، والمهندسين، والأطباء، والمترجمين، وغيرهم، وحينها أدرك العرب والمسلمون أهمية الحضارة وضرورة اتخاذ الوسائل الحديثة في مقاومة الغرب [2].

ويرى الباحث أن الحملة الفرنسية على مصر كانت أحد أهم ثمار الإستشراق والتي عملت على تدمير حضارة مصر، وسرقت خيراتها وآثارها، وتسبب بها مستشرقين وعلماء فرنسيين .

دور المستشرقين في تشجيع الاستعمار :

أقدمت جماعة من المستشرقين على تسخير بحوثهم ودراساتهم، المتعلقة بالإسلام من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، وقد سخروا علومهم الإستشراقية لخدمة الاستعمار [3] .

وساهمت الدراسات الإستشراقية بتشجيع المثقفين على الارتباط بالثقافة واللغة الغربية، والابتعاد عن الحضارة الشرقية، وأنكرت بحوث أخرى أصالة الحضارات الشرقية، وحاولت بطرق عدة إعادة النظم الإسلامية إلى أصول يونانية أو بيزنطية [4]، بينما دعا عدد آخر من المستشرقين إلى ضرورة الترابط الثقافي بين هولندا ومستعمراتها في الشرق، وقد بنيت هذه السياسة على روابط الهيمنة بالقوة والسلاح، كما كانت هناك مقترحات بسياسة الترابط الثقافي، والتي تهدف إلى الإرتباط بالغرب والتشبه بهم بتقليد أعمى خصوصاً أن بلدان المشرق كانت تعاني في ذلك الوقت من تدهور وضعف، بينما كانت أوروبا تهيمن على الكثير من مناطق الشرق وتتقاسمها فيما بينها [5] .

استطاعت الدول الأوروبية بواسطة فئة من المستشرقين الذين استعانت بخبراتهم وثقافاتهم من الاطلاع بشكل جيد على منطقة الشرق، حيث هدفت من وراء ذلك إلى أطماع سياسية واقتصادية وعسكرية من أجل تثبيت نفوذها على تلك البلاد [6] .

كما لعب المستشرقون دوراً مهماً في تحشيد دوائر صنع القرار لدى الغرب وزرعوا في نفوسهم القناعة اللازمة بضرورة تقدم الغرب الأوروبي اتجاه الشرق، ولاسيما بعد إيهامهم بأن العقلية الشرقية هي عقلية ضعيفة [7] .

الإستشراق يفرض واقع جديد في بلاد الشرق :

أخذ أعداء الإسلام يتحينون الفرص لاستعمار المسلمين فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وبدؤوا يشجعون الدراسات الإستشراقية نظراً لحاجتهم الملحة في فهم أوضاع المسلمين، ولا سيما بعد احتلالهم لبلاد المسلمين من أجل بث الفرقة والوهن في صفوفهم ومن خلال

---

(1) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص129).
(2) الخرطبولي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص74 ، 75).
(3) ادوارد سعيد، الإستشراق(ص225)، زقزوق، الإسلام والإستشراق (ص43).
(4) بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام (ص34).
(5) فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (ص36).
(6) ساثرين، الآراء الغربية عن الإسلام في العصور الوسطى (ص2 - 3).
(7) فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (ص35).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ومحاولة طمسها في بقاع العالم العربي ولا سيما دول المغرب العربي [1] .

ولم ييأس الغربيون بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من التفكير بالعودة لاحتلال بلاد الشرق مجدداً ،فلجؤوا إلى لدراسة تلك البلاد في كل شؤونها وقاموا بتشجيع القوميات التاريخية في بلاد المسلمين التي اندثرت منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وحاولوا من خلالها تفتيت المسلمين وإثارة الفرقة والخلاف من خلال محاولاتهم إحياء الفرعونية في مصر والفينيقية في بلاد الشام والآشورية في العراق، وكل ذلك بهدف تعطيل مسيرة التحرر والدفاع عن الأرض وإشغال المسلمين بأنفسهم [2] .

وقد خضعت البلاد الإسلامية خلال فترة طويلة للحكم الأوروبي، وخضعت نظمهم التربوية والعلمية للغزاة والمستعمرين الذين اهتموا بإقناع الأجيال الجديدة بالتفوق المطلق للحضارة الغربية الحديثة، وتربيتهم على التخلي عن القيم والمثل التي جاء بها الإسلام ، حيث نجح الغربيون في خلق أدوات لهم في كل بلد إسلامي [3] .

ولا تزال الصورة المشوهة للإسلام والعرب متواصلة في الدراسات الإستشرقية في وسائل الإعلام الغربية بوجه عام، وفي أمريكيا بوجه خاص، حيث إنها لا تختلف عن المعاداة التي كانت للإسلام في القرون الوسطى [4] .

كما نجح الغربيون في العصر الحديث من الانقضاض على الشرق بفعل عوامل التخلف والانحطاط الثقافي والسياسي والعسكري والاقتصادي التي عصفت به، ثم عمل على إضعاف المقاومة المعنوية في نفوس المسلمين عن طريق التشكيك بما في أيديهم حتى فقدوا الثقة بأنفسهم [5] .

وقد أطلق بعض المفكرين لفظ التسلط بدلاً من الاستعمار الذي يعرفونه بأنه تحكم شعب في غيره من الشعوب ويكون التسلط مقروناً في معظم حالاته بالظلم والطغيان والقسوة، ويأخذ التسلط عدة أشكال أهمها التسلط الديني والسياسي والثقافي والاقتصادي [6]

ثالثاً- الدافع الاقتصادي :

لعب الدافع الاقتصادي دوراً كبيراً في توطيد أركان الإستشراق لما للاقتصاد والمال من أهمية كبيرة في تثبيت أنظمة الدول الغربية ، ومدى تأثير ذلك على استقرار وازدهار أي دولة .

وقد شكلت بلاد الشرق بيئة خصبة للغرب لتسليط الدراسات الإستشراقية عليها حيث إنها كانت تعج بالثروات والخيرات التي من شأنها تأمين مستقبل زاهر للأجيال القادمة على مدى سنوات متواصلة .

عملت المؤسسة الاقتصادية الغربية على توجيه من يهتمون بالدراسات الإستشراقية ليكونوا وسطاء ومستشارين ومترجمين في هذه المجالات، واتجه فريق من الغربيين لمثل هذه الدراسات، وأصبحت الدراسات الإستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لدى الكثير من المستشرقين بهدف تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية، كما سعت أوروبا للسيطرة بشكل مباشر على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة والثروات الأرضية

([1]) الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام (ص82).
([2]) السباعي، الإستشراق والمستشرقون (ص22 - 23).
([3]) الشرقاوي، الإستشراق (ص52).
([4]) ادوارد سعيد، الإستشراق (ص226).
([5]) الشرقاوي، الإستشراق (ص64).
([6]) الخرطبولي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص70 - 71).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، فضلاً عن إماتة الصناعات المحلية القديمة بهدف جعل بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الغربية [1].

وقد تعمد الغرب للسيطرة على الثروات الأرضية الباطنة، وخيرات الشرق فقاموا باستغلال ذلك ، وعملوا على تحطيم الصناعات المحلية، ووقفوا في طريق إنشاء المصانع الحيوية، وأصبحت بلدان الشرق أسواقاً استهلاكية للمنتجات الغربية بعد أن أعطى المسلمين ما يملكونه من إمكانات وثروات للغرب، ثم يقومون باستيرادها منهم مصنوعة بأسعار باهظة [2] .

وقد سعى الغرب للسيطرة على الاقتصاد بشكل كبير، وجعل ذلك في أولوياته، إذ قام الغربيون بإنشاء كراسي للدراسات العربية والإسلامية في جامعة كمبردج، جاء فيها بأن المركز يضع نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، والعمل من أجل ازدهار التجارة مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة، ونشر الدين المسيحي [3] .

رابعاً- الدافع السياسي :

لعب الجانب السياسي دوراً هاماً كمحفز للإستشراق، حيث حرصت دول الغرب على الاستفادة من الدراسات الإستشراقية في الجوانب السياسية لما تمثله من أهمية بالغة .

وسعت الدول الغربية لإتمام سيطرتها سياسياً على بلاد الشرق، من خلال وضع أناس في سفاراتها وقنصلياتها، تقوم على قراءة الدراسات الشرقية والاستفادة منها، وساعدهم في ذلك ظهور عملاء لهم على عدة صعد سياسية وفكرية وتربوية وإعلامية، أدت إلى تسهيل عملهم الميداني في بلاد الشرق، بهدف تحقيق غايات سياسية تريد تحقيقها الدول الموجهة لهذا النوع من الدراسات لتسيير العالم الإسلامي بطريقتها وحسب رؤيتها [4] .

كما عملت العديد من الدول الغربية على إقامة علاقات دبلوماسية مع مستعمراتها بعد إنهاء استعمارها، وأرسلت تلك الدول سفراء لهم خبرة واسعة في ميدان الدراسات الإستشراقية ليكونوا أداة منفذة لمخططات بلادهم، ونتج عن ذلك ظهور العديد من الصراعات في البلاد العربية التي نشأ عنها تغير في الحكومات أو انقلابات عسكرية أو إثارة فتن ، كما قام الغرب بإرسال بعثات سياسية متواصلة تحت مسمى بعثات علمية لخدمة مصالحها [5].

وقد أحسن هؤلاء السفراء اللغة العربية، وكانوا على تواصل دائم برجال الفكر والصحافة والسياسة وتعرفوا على أفكارهم وقاموا بنشر الاتجاهات السياسية وفق ما تريده دولهم، كما قاموا بالتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض بحيل ماكرة وخدع متعددة[6].

ويظهر مما سبق أن الغرب قام بدراسات وأبحاث إستشراقية متواصلة في الجانب السياسي من أجل السيطرة بشكل فعلي على البلاد العربية بإتباعه لحيل وأساليب من المكر والخداع التي يحقق من خلالها مصالحه بطرق ذكية وغير مكلفة له مستغلاً الضعف والوهن والتراجع التي كانت تعاني منه الدول العربية .

([1]) الميداني، أجنحة المكر الثلاث (ص130).
([2]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص23)؛ عتر ، وحي الله (ص26).
([3]) عبد الحميد ، المستشرقون والإسلام (ص13 - 14).
([4]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص131) ؛ عتر ، وحي الله (ص26).
([5]) فيصل ، أغراض المستشرقين ، مجلة الرسالة العدد11 .
([6]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً- الدافع العلمي :

ظهرت الدوافع العلمية للإستشراق مع منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن تخلص المستشرقون من الآراء القديمة، وبعد اعترافهم لعالم الشرق بكيانه الخاص، وحين إذ اجتهدوا في نقل الصورة الموضوعية للشرق [1] .

ويرى العقيقي أن الدافع العلمي كان وراء كل الجهود الإستشراقية [2]، بينما يرى المستشرق الألماني بارت أن الدافع العلمي بدأ يظهر اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر وقد عبر عن ذلك بقوله إن دراساتنا لا نسعى من ورائها إلى نوايا غير صافية ، بل نسعى للبحث عن الحقيقة الخالصة [3] .

وأقدمت فئة قليلة من المستشرقين على دراسة الإسلام بدافع علمي سليم ، فكان إنتاجها العلمي أقل خطأ من إنتاج غيرهم بسبب جهلهم باللغة العربية وتأثرهم بالمفاهيم الغربية، غير أن اللافت في ذلك أن إنتاجهم كان بريئاً من المكر والخبث والتحريف، ولم تتسع دائرة هؤلاء لأن بحوثهم لم يرحب بها الساسة ولا الكنيسة في الغرب والشرق ولم تتوفر لديهم إمكانيات أو دعم ليصبح إنتاجهم مجدياً، إلا أن عدد منهم هداه الله سبحانه وتعالى عدد منهم للإسلام [4] .

وقد قابل المسلمون هذا الموقف بالتقدير رغم ما به من أخطاء، حيث إنهم فكروا بطريقة موضوعية حيادية تبتغي الحقيقة، وجهروا بالحق الذي توصلوا إليه دون مجاملة ولا تملق، وكان لا بد للكتاب المسلمين الغيورين على دينهم أن يشيروا إلى فضل هؤلاء [5] .

وقد ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين حيث إنهم لا يتواجدون إلا عندما تتوفر لهم الموارد المالية الخاصة التي تمكنهم من الانصراف إلى الإستشراق بأمانة وإخلاص[6].

ويظهر من ذلك الهدف الواضح للغرب من خلال الدراسات الإستشراقية التي يقومون بها ، إذ إن أولئك المستشرقين الذين عملوا بأمانة وموضوعية وحيادية، لم تنفق عليهم الأموال من قبل حكوماتهم مثل غيرهم الذين كانوا يطعنون في الدين الإسلامي، لأن الهدف كان واضحاً جلياً، لدى تلك الحكومات وهو الطعن والتشويه في صورة الإسلام .

وقد تمكن العديد من المستشرقين ولا سيما اليهود من التعرف على التاريخ الإسلامي، من خلال دراساتهم للترجمات العربية، سواء في المشرق العربي أم في بلاد الأندلس، التي كان معظمها باللغة العربية، وانقلب هؤلاء الباحثون إلى مستشرقين، يدرسون التاريخ والحضارة الإسلامية، وعملوا على الدراسات المقارنة بين التراث العبري والحضارة الإسلامية [7] .

وهدف المترددون على هذا الدافع إلى الإشباع العلمي المتجرد وتحصيل المعرفة الصحيحة التي تتصل بأمة ذات علم وحضارة أصيلة، ورغم ذلك لم يسلم بعضهم من الأخطاء نتيجة جهله بأساليب اللغة العربية أو بالأجواء الإسلامية على حقيقتها، ومنهم من

---

(1) بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص17).
(2) المستشرقون (598/3).
(3) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص10).
(4) عتر ، وحي الله (ص27).
(5) قارن دوافع المستشرقين مع كتاب أجنحة المكر الثلاثة (ص91 – 93).
(6) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص25).
(7) فوزي ، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (ص38 ، 39).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها فيصل إلى نتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع [1] .

وقد نجح عدد من المستشرقين في غزو تاريخ العرب والإسلام، وأخذوا يقلبون وجوه البحث فيه ، وألفوا فيه كثيراً من الكتب [2] .

وأما المسلمون فقد نظروا إلى الحضارة الأوروبية على أنها حضارة المستعمرين الطامعين ، وبقيت رواسب الاستعمار موجودة في نفوس بعض المسلمين فكانوا ينظرون نظرة شك وحذر إلى الحضارة الأوروبية وأفكار المستشرقين [3].

ويرى أحمد أمين بأن محاولات التوفيق بين الإسلام والحضارة الحديثة قد فشلت ويعزو ذلك إلى أنها قدمت للمسلمين بيدين أولاهما المخترعات الحديثة وثانيهما الاستغلال والاستعمار مما دفع المسلمون إلى قبولها كارهين مكرهين [4] .

ولعل أهم ما دفع الإستشراق للاهتمام بالدراسات الإسلامية أكثر من اهتمامه بالدراسات العربية هو ارتباط الإسلام بالعروبة بعلاقة تبادل فريدة، حيث كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في البوادي والواحات بشبه الجزيرة العربية، ويعيثون فساداً حتى مجيء الإسلام، فآمنوا بإله واحد ، وبدأت تنطلق آيات القرآن للمرة الأولى في مكة، غير أن العالم الواسع ما كان ليشعر بالعرب وقيمتهم لولا الإسلام الذي نقلهم إلى عوامل القوة [5] .

ويرى الباحث رغم تعدد دوافع الإستشراق والمستشرقين أن الدافع الرئيسي كان الإسلام بالدرجة الأولى، ثم المسلمين، إذ إن هذه الدراسات الإستشراقية ظهرت بعد فشل الحروب الصليبية، وبروز قوة المسلمين .

دوافع أخرى :

برزت بعض الدوافع الأخرى للإستشراق حيث كان أبرزها اتخاذ بعض المستشرقين الإستشراق وسيلة للسفر والترحال، من أجل الاطلاع على الثقافة والحضارة في بلاد المسلمين، وكذلك استغلال هذا الميدان من أجل المال فقط، فضلاً عن دخول بعض المستشرقين هذا المجال تهرباً من المسؤوليات الملقاة على عاتقه في المجتمع المسيحي [6] .

([1]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص132).
([2]) حسن ، علم التاريخ عند العرب (ص205).
([3]) الخرطبولي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي (ص83).
([4]) يوم الإسلام (ص 315).
([5]) بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص20).
([6]) الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية (ص198).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

أهداف المستشرقين ووسائلهم

تنوعت وتعددت الأهداف التي أرادها المستشرقون من وراء دراساتهم وأبحاثهم الإستشراقية التي قاموا بها، فضلاً عن اختلاف تلك الوسائل التي لجؤوا إليها في هذا الميدان .

أولاً : الأهداف دينية

لعب الجانب الديني دوراً مهماً في نشأة الإستشراق، حيث إنه لازم الإستشراق طوال مراحله التاريخية ولم يكن الإستشراق قد حرر نفسه من الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة حتى نهاية القرن التاسع عشر [1] .

وهدفت الجهود الإستشراقية بشكل مباشر إلى التنصير، وإقناع المسلمين ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي[2]، وكان ذلك نابعاً من شعور الغربيين بالنقص تجاه الدين الإسلامي وحضارته المتفوقة المزدهرة، وقد دفعهم ذلك الشعور المتزايد بالخوف والمرارة، فضلاً عن فشلهم الذريع مع المسلمين في حملاتهم الصليبية التي سعوا من خلالها للسيطرة على بلدانهم، فلجئوا للسيطرة على الشرق دون مواجهة عسكرية وكان الغرض منها تشويه الإسلام في أعين الغرب والعمل على تحقيق نصر على الإسلام في صمت وهدوء [3] .

وكان الخوف قد سيطر على العالم الغربي، ولا سيما أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف، بل كان في ازدياد مستمر، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أهم أركانه الجهاد في سبيل الله، ولم يوجد شعبٌ دخل الإسلام ثم عاد إلى النصرانية [4] .

ومن ضمن الأهداف الدينية الرئيسة: منع انتشار الإسلام في أوروبا وغيرها، حفاظاً على سلطان الكنيسة، حيث أدرك الغرب تخوفهم من انتشار المد الحضاري الإسلامي في بلادهم، وخشيتهم من إيمان مواطنيهم به [5]، وتمت محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف والانتقاص من قيمته، فضلاً عن حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم ، وكذلك تنصير المسلمين [6]، وإشاعة البلبلة العقدية والفكرية في صفوف المسلمين[7] .

كما كان ضمن أهداف الإستشراق التشكيك برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال إبعاد صفة النبوة عنه، وتفسير مظاهر الوحي التي يشاهدها الصحابة عند نزول الوحي بأنها نوع من الصرع أو التخيلات الذهنية [8]، واستنادهم إلى تحريف الأحاديث

([1]) ادوارد سعيد، الإستشراق(ص265).
([2]) بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص9).
([3]) ادوارد سعيد، الإستشراق (ص268).
([4]) الميداني، أجنحة المكر الثلاث(ص90).
([5]) عتر، وحي الله (ص40).
([6]) الزقزوق، الخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص75).
([7]) عتر، وحي الله (ص40).
([8]) الميداني، أجنحة المكر الثلاثة (ص91)؛ السباعي، الإستشراق والمستشرقون (ص26).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبوية وما بها من دغس متجاهلين جهود العالماء في تصحيح السنة واثبات ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم [1].

ثانياً : الأهداف العلمية

تعددت الأهداف العلمية التي أراد المستشرقون من خلالها الدخول لبلاد الشرق حيث كان أبرزها :

- البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي بهدف اطعن الأمة الإسلامية في عقيدتها وتزوير الحقائق التاريخية [2] .
- تزوير التاريخ ، حيث أقدم أساتذة الإستشراق على التعرض لأمجاد الإسلام واخترعوا لها تفسيراً مادياً للتغطية على روعته وعظمته، وقاموا بالتركيز على الخلافات والفتن والمحن التي دارت في بلاد المسلمين [3]، مثل فتنة علي ومعاوية رضي الله عنهما، والفتن في العصر الأموي، والعباسي، والمملوكي، والعثماني .

- جعل الدراسات الإستشراقية مصدراً لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم و عن الشرق عامة، حيث أصبحت تلك الدراسات متوفرة في جامعات الغرب عن طريق الإستشراق، وهذا ما لجأ إليه الغرب وسعى من خلاله إلى تعظيم حضارته، وإعلاء شأنه وتمكين سلطانه، فضلاً عن إفقاد الشرق الثقة بنفسه، وتوريطه في احتقار ذاته وأمته، كما أدى ذلك إلى انبهار بعض المسلمين بدراسا ت المستشرقين، ومنحهم الثقة الكاملة في بحوثهم، وغابت عن أهوائهم أن هؤلاء قد حرفوا دينهم [4]، وقد صدق فيهم قول الله تعالى : " **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** " [5].

- قدم الإستشراق خدمات جليلة للاستعمار، كمصدر مهم من مصادر الغزو الفكري ، عندما أقدم الغرب على اتخاذ أيد له في البلاد الإسلامية من خلال الجامعات والمدارس التي افتتحتها الدول الغربية في الشرق ، وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون ، كما قاموا فضلاً عن ذلك بافتتاح أقسام للدراسات الإسلامية والشرقية في جامعاتهم بالغرب وحفزوا المسلمين على الانتساب إليها من خلال منح الشهادات العليا ، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في إفساد عقائد وأخلاق المسلمين [6] .
- تعليم المسلمين لدينهم ولغاتهم وفق طريقة أعدائهم حيث سقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للإستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وأصبحت الكنيسة الغربية تفتخر بأن العلوم الإسلامية والعربية تدرس على طريقتها بما يحقق خدمة أهدافها ، وبأن المشرفين على تدريسها من تلامذة المسلمين أنفسهم [7] .

ويوجد في بعض الجامعات العربية مستشرقين يدرسون طلاب العرب والمسلمين ويدسون لهم السم في العسل، ولم تنتبه هذه الجامعات للآثار السلبية المترتبة على ذلك.

---

(1) السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي(ص51).
(2) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص32 - 33).
(3) عتر ، وحي الله (ص47).
(4) المصدر السابق (ص43).
(5) [البقرة : 75] .
(6) عتر ، وحي الله (ص42).
(7) الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة (ص88).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : لأهداف السياسية ولاقتصادية

- العمل على إضعاف العالم الإسلامي حتى لا يفكر يوماً بمنع ثرواته التي يقدمها بأسعار زهيدة للغرب [1] .
- تحطيم الوحدة الفكرية، بإقدام المستشرقين على إثارة الخلافات الفكرية للفرق والمذاهب المتطرفة، والتي عملت على إثارة العصبية بين فئات المسلمين مما أدى إلى تمزق الأمة الإسلامية إلى فرق متناثرة وانتشرت الخلافات والمشاحنات وتمزقت الأمة الإسلامية إلى دويلات، فسهل على الاستعمار اقتسام تلك الدول واستغلال خيراتها [2] .
- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء النعرات القديمة وإثارتها، وكذلك إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، والتشكيك بالتراث الحضاري لهم كالإدعا ء بأن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ونفي أي إبداع فكري أو ابتكار حضاري للمسلمين [3] .
- السيطرة على المواد الخام للصناعات الغربية الغربيين لدراسة الواقع ببلاد المسلمين كي يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، ويحققوا منافعهم من وراء ذلك [4].
- تمكين موظفي مستعمرات الدول الغربية في البلاد العربية من اللغة العربية كي يتمكنوا من حكمها ومواصلة سيطرتهم عليها [5] .

وسائل المستشرقين :

اتبع المستشرقون لنشر أبحاثهم وسائل عدة كان أبرزها :

- تأليف الكتب والمجلات المزورة والمحرفة حول الإسلام والقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث فاضت الكثير من تلك الكتب بالمغالطات والتحريف والتزوير المراد به الإساءة للدين الإسلامي والفهم الخاطئ للإسلام [6] .
- إرسال مجموعات تبشيرية إلى العالم الإسلامي تحت مسميات وهمية إنسانية كالعمل في المدارس والمستشفيات وغيرها[7] .
- تنظيم المحاضرات التنظيرية في الجامعات والجمعيات العلمية [8]، إذ وصل الأمر بطلبة العلم المسلمين الدراسة في جامعات الغر ، وتأثروا بما كان يلقيه أساتذتهم من المستشرقين في أذهانهم ، فضلاً عن أن بعض المستشرقين تسللوا إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية، بل إلى المجامع العلمية الكبرى في البلاد العربية [9]، وقد وصل الحد بالمستشرقين أيضاً إلى أن يتحدثوا عن الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام في ديار الإسلام، وهذا ما يدلل عليه المودودي عندما يقول : " من تقلبات الدهر وعجائب أمره أنه مر على الكتاب المسيحيين في أوروبا حيناً من الدهر كانوا يشدون الرحال إلى الأندلس ، ويتعلمون الكتاب المقدس – التوراة – من علماء المسلمين، أما الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عقب حيث أصبح المسلمون يرجعون إلى أهل الغرب يسألونهم عن الإسلام وتاريخه وحضارته ، بل أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي [10] " .

([1]) عتر ، وحي الله (ص40).
([2]) المصدر السابق (ص45).
([3]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص30 - 31).
([4]) العقيقي ، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص77).
([5]) المصدر السابق (ص78).
([6]) المرصفي ، المستشرقون والسنة (ص16).
([7]) المصدر السابق(ص16).
([8]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص34 - 35).
([9]) المرصفي ، المستشرقون والسنة (ص14 - 15).
([10]) الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية (ص271).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إنشاء موسوعة دائرة المعارف الإسلامية والتي تم إصدارها بعدة لغات وقد حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداءً للإسلام ، حيث ملئت بالتحريف والكذب والأباطيل التي تتطاول على الإسلام [1] .
- عقد المؤتمرات التي تسعى للتخطيط في إتمام مشاريعهم الهادفة إلى السيطرة على بلاد المسلمين وتنظيم أنشطتهم المتواصلة، حيث يرجع تاريخ أول مؤتمر عقدوه إلى سنة 1197هـ/1783م وما تزال مؤتمراتهم تنعقد حتى يومنا هذا [2] .
- اتخذ المستشرقون كراسي الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية محطة للتأثير على أبناء الشعوب الإسلامية فكرياً وسلوكياً ونفسياً [3] .
- تأسيس الجامعات العلمية في بلاد الشرق من أجل تخريج أجيال منسلخة من إسلامها ، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة [4]، والتي سقطت تحت الأيدي الخفية للإستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وأصبحت مناهجها تخضع بشكل غير مباشر للأيدي الخفية التي تحركها ، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها [5] .

ويرى الباحث أن أهداف المستشرقين مجتمعةً ووسائلهم المتنوعة تصب في بوتقة واحدة، تحاول بشتى الوسائل تشتيت الفكر وزرع السهام بألسنة الثعالب التي تمكر بالدين الإسلامي، والأمة الإسلامية ، وتحط من قدر المسلمين، وتجعل تخلفهم راجع إلى الإسلام نفسه

([1]) السباعي ، الإستشراق والمستشرقون (ص34 - 35) .
([2]) المرصفي ، المستشرقون والسنة (ص13).
([3]) السباعي ، المستشرقون ما لهم وما عليهم (ص36)
([4]) المصدر السابق(ص36).
([5]) الميداني ، أجنحة المكر الثلاث (ص153) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

تصنيف المستشرقين ونبذة عن أبرزهم

ظهر الكثير من المستشرقين خلال القرنين الماضيين ، والذين كان لهم كتاباتهم واتجاهاتهم المتباينة اتجاه الدين الإسلامي عموماً ، والفتوحات الإسلامية بوجه خاص ، ويعد المستشرقون الغربيون أكثر المستشرقين الذين خاضوا بأقلامهم الكتابة فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية ودوافعها ، فمنهم من أنصف المسلمين الفاتحين وأشاد بدورهم ، وأرجع إليهم الفضل الكبير في الحضارة على الصعد السياسية والإدارية والدينية والعمرانية والاقتصادية وغيرها .

واعتبر هذا الصنف أن المسلمين الفاتحين كانوا أكثر الناس رحمة وعدلاً وتسامحاً ، ولم يسجل أنهم ارتكبوا جرماً في نشر دعوتهم ، وتبليغ الدين الإسلامي في المعارك التي خاضوها .

وهناك من المستشرقين من تحدث عن الفتوحات الإسلامية من ناحية علمية ، غير أنه كان يدس السم في العسل عندما يتحدث عن رأيه الشخصي ، إذ كان يطعن ويقدح بالمسلمين الفاتحين في جوانب معينة .

وأما الصنف الثالث من المستشرقين فقد كان حاقداً حقداً دفيناً على الإسلام والمسلمين ، لاسيما فيما يتعلق بموضوع الفتوحات الإسلامية ، وترى كتاباته مليئة بالتشويه والتزوير والتزييف والأكاذيب ، وكيل الاتهامات للمسلمين بأنهم دين قتل وبطش ، وإكراه للناس على الدخول في الإسلام ، حتى أن بعضاً منهم ناقض كتاباته أحياناً ، غير أن الظاهر من كتاباتهم أنهم يسيرون وفق سياسة القدح في المسلمين ووفق منهج العداء لهم ، إذ يسخر من بلده وحكومته التي انتدبته لهذا العمل .

أولاً : المستشرقون المنصفون للفتوحات الإسلامية

1 -زغريد هونكه :

الدكتورة زغريد هونكه، ألمانية، هائلة الشهرة، ولدت عام 1913م، وتوفيت عام 1999م، أحبت العرب، ودافعت عن قضاياهم، ووقفت بجانبهم، تزوجت من الدكتور شولنزا المستشرق الألماني الذي أحب العرب وتحقق من دراساته واطلع على آثارهم، وأقامت في بلاد المغرب العربي عدة أعوام، وحاطت بالبلدان العربية، وحصلت على شهادة الدكتوراه في موضوع بعنوان أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية ، وأبرز كتبها شمس العرب تسطع على الغرب ، اتهمتها أوروبا بالتحيز للعرب [1] .

وتعد هونكه من أكثر الشخصيات الإستشراقية التي أنصفت العرب والمسلمين ودافعت عن حقوقهم فضلاً عن حبها الشديد لهم وللاطلاع على تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم ودراساتهم العلمية .

([1]) هونكا ، زغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب (ص7- 8) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 -تريتون :

آرثر ستانلي تريتون ، مستشرق إنجليزي ولد عام 1881م وتوفي عام 1973م، وكان أبوه قسيساً، درس في جامعة لندن، حصل على رسالة اللاهوت ، عام 1914م من أكسفورد، وعمل مدرساً في مدرسة البعثة التبشيرية في لبنان ، كما عمل مدرساً للغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية في لندن، وأشهر مؤلفاته: الخلفاء ورعاياهم غير المسلمين، الإسلام عقائد وممارسات [1] .

3 -جورج سارتون :

مؤرخ بلجيكي ولد عام 1884م، وتوفي عام 1956م، اهتم بالحضارة الإسلامية وأثرها على الغرب، وأخلص الحب للعرب ولغتهم، وأجل علمائهم، وزار بلادهم، وأشاد بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله : "لم يتح لنبي من قبل أن ينتصر انتصاراً كالذي حقق محمد، إذ لم يكن نبي الإسلام فحسب، وإنما اللغة العربية والثقافة العربية"، أنصف العرب في كتابه تاريخ العلم [2].

4 -غوستاف لوبون :

طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد عام 1841م وتوفي عام 1931م، أشهر مؤلفاته: حضارة العرب، وحضارة العرب في الأندلس، وفلسفة التاريخ [3] .

أنصف الإسلام في كتابه: حضارة العرب، وتحدث عن أخلاق العرب وسجاياهم، ونسب فضل التمدن في أوروبا إليهم .

ويعد كتاب حضارة العرب الذي ألفه من أكثر الكتب التي أنصفت العرب والمسلمين، إذ نسب الفضل إليهم في حضارة العالم التي وصلوا إليها، وتحدث عن دورهم وإنجازاتهم ، وأنهم أكثر الناس عدلاً ورحمة وتسامحاً في تعاملهم مع سكان البلاد المفتوحة [4] .

5 -توماس أرنولد :

ولد في إنجلترا عام 1864م وتوفي عام 1930م، ويعرف بأنه من المتعاطفين مع الإسلام وأقبل على الدراسات الشرقية ، ودراسة تاريخ الإسلام ، وقام بتدريس الفلسفة في جامعة عليكرة بشمال الهند ، إذ كان له دور في التجربة التوفيقية بين الإسلام والفكر الأوروبي ، ولبس الملابس الإسلامية المعتادة لدى المسلمين الهنود ، وألف كتابه الشهير الدعوة الإسلامية سنة 1896م ، وشغل أيضاً كرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة لندن عام 1917م ، وألف العديد من الكتب أبرزها الخلافة وكذلك موسوعة الدين والأخلاق [5] .

أعجب السير توماس أرنولد بالإسلام ، وكان متضلعاً في علومه منصفاً له في أبحاثه عنه ، لم تسجل عليه هفوة واحدة في كتاباته ، وعد مرجعاً في الدراسات الإسلامية ، وألف العديد من المؤلفات العلمية أبرزها : رسامو القصر في عصر المغول العظيم، وترجم كتاب الرسم الإسلامي من القرن الثاني عشر إلى القرن السابع عشر ، كما نشر العديد من

([1]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص156).
([2]) المصدر السابق (ج145/2)
([3]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص544)؛الزركلي، الأعلام (ج244/3).
([4]) المصدر السابق (ج245/3).
([5]) بدوي ، موسوعة المستشرقون (ص9- 10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دراساته أبرزها: الهندوكية والإسلام ودراسة العربية، والمخطوطات العربية والفارسية وغيرها [1] .

6 -هنري دي كاستري :

هنري دي كاستري ، كاتب مسيحي فرنسي، ولد عام 1850م وتوفي عام 1927م، عاش بين الجزائريين مدة طويلة ، وكان مقدماً بالجيش الفرنسي ، اهتم بالإسلام من خلال اطلاعه على أحوال المسلمين والسؤال عنهم ، عاشر العرب على حقيقتهم ، وكان مؤهلاً للكتابة عن الإسلام نظراً لخبرته بهم ، عرف عنه إنصافه في كتاباته ، وعدم ميوله ، قدم دراسات بين احترام المسلمين لدينهم وبين استخفاف الغرب لدينهم ، وكان مدافعاً عن الدين الإسلامي بقوله : " كنت أرى جمال الدين أصدق شاهد على أنه الدين الحق " [2] .

7 -آدم متز :

مستشرق سويسري ألماني، ولد عام م 1869، وتوفي عام م 1917، واهتم بالأدب العربي، ويعد كتاب الحضارة الإسلامية أبرز كتبه في القرن الرابع عشر الهجري [3] ، والذي قدم مادة علمية رائعة أنصفت المسلمين في الجوانب الحضارية، الاقتصادية، التجارية، العمرانية، العلمية، الاجتماعية .

عد أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا وتميز بحسن أخلاقه [4]، وهذا ما يفسر تعامله مع الأحداث بحيادية وموضوعية وإنصاف .

قضى وقتاً طويلاً من حياته في عدة بلدان عربية كاليمن وسوريا ولبنان وزار العديد من الآثار الإسلامية، وتميز بكتابته العديد من الدراسات في دائرة المعارف الإسلامية [5] .

قدم العديد من الدراسات والأبحاث التي أنصفت الإسلام أبرزها: الإسلام خواطر وسوانح ، بالإضافة إلى أسباب انتشار الدين الإسلامي [6] .

ويرى الباحث أن إنصاف كاستري للمسلمين في الكثير من الأحداث، سيما في موضوع الفتوحات الإسلامية ترجع، لاطلاعه ومعايشته لأحوال المسلمين في بلاد المغرب العربي، واطلاعه كذلك على سياسة القتل والبطش والإجرام التي مارستها الدولة الفرنسية ضد الشعب الجزائري، الذي كان يطالب باستعادة أرضه التي احتلها الفرنسيون .

8 -لورافيشيا فاغاري :

مستشرقة إيطالية، عملت أستاذة للغة العربية وتاريخ الحضارة العربية في جامعة نابولي بإيطاليا ، اهتمت بالدراسات الإسلامية، والتي أظهرت من خلالها دفاعها عن الإسلام وإنصافها له [7] .

وتعد فاغاري من أكثر المستشرقين المدافعين والمنصفين للعرب والمسلمين، لاسيما تأليفها لكتاب الدفاع عن الإسلام والذي حمل بين طياته سمات العرب والمسلمين وأخلاقهم، فضلاً عن أسرار قوة الدين الإسلامي وسرعة انتشاره .

([1]) العقيقي، المستشرقون (ص504 - 505).
([2]) كاستري ، دي ، خواطر وسوانح (ص4).
([3]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص544)؛ الزركلي، الأعلام ، (301/8).
([4]) متز ، الحضارة الإسلامية (ص15)؛ الزركلي ، الأعلام (ج282/1).
([5]) الزركلي، الأعلام (ج287/1).
([6]) المصدر نفسه .
([7]) لورا فيشيا ، فاغاري ، دفاع عن الإسلام (ص5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : المستشرقين العلميين الذين يمارسون الطعن بالفتوحات الإسلامية

1 -كلود كاهن :

ولد بباريس عام 1909م، وتوفي عام 1991م، وترجع أصوله إلى عائلة يهودية فرنسية، التحق بمدرسة المعلمين العليا بعد إكماله دراسته الثانوية، ثم التحق بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية بجامعة باريس، وحصل على شهادة التاريخ ، ثم ألتحق بالمعهد العالمي للغات والحضارات الشرقية ، ويعد كاهين من أبرز المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين وتتلمذ على يديه العديد من المستشرقين من ضمنهم ابنه ميشيل كاهين الذي خط سيرة والده ، وقد حصل كاهين على الدكتوراه حول الحروب الصليبية في شمال سورية عام 1940م[1]

وقدم كاهين دراسات عديدة متعلقة بالمسلمين ولا سيما سوريا ومصر والعراق منذ الفتح الإسلامي إلى السيطرة العثمانية، وكذلك صفحات تاريخ قديمة عن آخر الخلفاء الفاطميين، بالإضافة إلى تاريخ الشرق الإسلامي الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط [2] .

ويرى العديد من الباحثين بأن كاهين قد تميز بحرصه على الاهتمام بالتاريخ الإسلامي ودراسة الإسلام على وجه الخصوص، إذ كتب مقالات عدة عن الإسلام في إيران وتركيا وغيرها من البلاد العربية، وكان يركز في كتابته على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية عند المسلمين [3] .

وعد كاهين أحد أبرز المستشرقين الذين اختصوا بالحروب الصليبية واهتم بها بالعديد من دراسات، إذ كان يجيد العديد من اللغات بينها، وكان متعمقاً في معرفة عادات الشرق وتقاليده، وكان يؤمن بأن المستشرق والمؤرخ لابد لهما أن يعرفا لغات الأقوام التي يؤرخا لها [4] .

ويستنتج الباحث التباين في كتابات كاهين ، لا سيما التحامل على الفتوحات الإسلامية في العديد من آرائه، ويعود ذلك إلى كونه يهودي، واليهود من أشد الناس حقداً على المسلمين منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة عام 1هـ ، كما أن إجادته اللغة العربية أهلته للاطلاع الواسع على عادات الشرق وتقاليده .

2 -هاملتون جب :

ولد في مدينة الإسكندرية بمصر عام 1895م، وتوفي عام 1971م، إذ كان والده يعمل في شركة أبي قير لاستصلاح الأراضي ، ثم انتقل يكمل تعليمه في اسكتلندا، ودرس اللغات العربية والعبرية والآرامي ة وخدم بالحرب العالمية الأولى في صفوف الجيش البريطاني ، ثم عاد لنشاطه العلمي بعد انتهاء الحرب وحصل على الماجستير في مدرسة اللغات الشرقية من جامعة لندن عام 1922م، واشتهر بزيارته إلى الشرق ودراسته للأدب العربي ، إذ حصل على لقب الأستاذية من جامعة لندن في تدريس اللغة العربية ، وخلف توماس أرنولد عام 1930م،على كرسي اللغة العربية بجامعة لندن [5] .

([1]) بدوي، موسوعة المستشرقون (ص460).
([2]) العقيقي، المستشرقون (ص323 – 324).
([3]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص460).
([4]) كاهين، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية (ص20).
([5]) بدوي، موسوعة المستشرقون، انظر (ص174 -175).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعد بعض الباحثين هاملتون جب أنه نتاج عالمين ، عالم الشرق بحكم مولده بالإسكندرية ، وعالم الغرب الذي كان تحت هيمنة إنجلترا ، وبدت عليه بعض الإشارات بإدراكه للحكم الاستبدادي للشعوب المغلوبة [1] .

تميزت دراساته العلمية في عدة مجالات عدة أبرزها التاريخ الإسلامي والأدب العربي والأفكار السياسية الدينية عند المسلمين ، وأصدر العديد من المؤلفات أبرزها كتاب فتوح العرب في آسيا الوسطى ، كما نشر سلسلة مقالات عن الأدب العربي المعاصر ، بينما ترجم كتاب تاريخ دمشق لابن القلانسي الذي تحدث عن الحروب الصليبية الأولى ، فضلاً عن العديد من المؤلفات والمقالات الأخرى [2] .

اشتهر جب برحلاته المتواصلة إلى بلاد الشرق ، وتأثر بأستاذه توماس أرنولد الذي كان يشيد بالإسلام وعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط واجتمع بكبار أدباء العرب وقرأ مصنفاتهم [3] .

وتظهر كتابات جب بين ثناياها اتهاماً وعدواناً مبطناً على الإسلام، وتأثراً بالفكر الغربي ، والذي يظهر من خلاله اتهامات متعددة للإسلام أبرزها العجز الحضاري .

3 -كارل بروكلمان :

مستشرق ألماني ولد عام 1868، وتوفي عام 1956م، تلقى اللغات السامية على أعلام المستشرقين، وتميز بشهرته في اللغة العربية وقراءتها قراءة فصيحة وكتابة سليمة، وكذلك نبغ في التاريخ الإسلامي والأدب العربي وعد من البارعين فيها، وانتخب عضواً في مجامع العديد من الجمعيات الآسيوية [4] .

قدم بروكلمان أعمالاً جليلة سخرها لخدمة الإستشراق، إذ كان عضواً في جمعية المستشرقين الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية، وكذلك الجمعية الشرقية الأمريكية، وقدم دراسات في العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وتعمق في الدراسات الشرقية الإسلامية [5] .

تميز بشهرته في فقه اللغة العربية وقراءتها قراءة صحيحة وكتابتها كتابة سليمة، وفي التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي [6] .

ويتبين من خلال كتاباته مدى تعمقه في الدراسات الشرقية واهتمامه بها، وإقدامه على الطعن والتشويه في حقائق الدين الإسلامي، والافتراء على الإسلام ، غير أنه ذكر بعض المحاسن للفتوحات الإسلامية التي ظهرت بعد استقرار المسلمين في البلاد التي فتحوها وهو بذلك يظهر نفسه أنه محايد، غير أنه حقيقة يخلط السم بالعسل .

([1]) سعيد، الإستشراق (ص73).
([2]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص 175).
([3]) العقيقي، المستشرقون (ص551).
([4]) المصدر السابق (ص 777).
([5]) المنجد، المستشرقون الألمان (ج1 / 153 - 155) .
([6]) العقيقي، المستشرقون (ص 778).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : المستشرقون المتحاملون على الفتوحات الإسلامية

1 - برنالد لويس :

سياسي ومستشرق أمريكي، ولد عام 1916م، تخرج من جامعتي لندن وباريس، وعمل مدرساً للتاريخ الإسلامي، اهتم بالدراسات الشرقية، أبرز مؤلفاته الأزمة الإسلامية، والدبلوماسية والسياسة العربية، والعرب في التاريخ، والشيوعية والإسلام [1] .

ويظهر كتابه العرب في التاريخ أن العرب والمسلمين غير مؤهلين وغير قادرين على القيادة ، إذ كان في كتاباته يبحث عن الهنات والزلات ويتحدث عنها بشكل كبير ، ويتغاضى عن الإنجازات التي قدمها المسلمون للعالم ، توفي عام 2018م .

2 - أنتوني نتنج :

دبلوماسي بريطاني، عمل عضواً في حكومة رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرتشل التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وتبوأ عدة مواقع أبرزها نائب وزير الخارجية البريطاني، كما عمل في السفارة البريطانية بباريس، واحتل منصب رئيس المحافظين الشبان في حزب المحافظين، وقاد المفاوضات مع جمال عبد الناصر عام 1954م حول جلاء القوات البريطانية عن مصر [2] .

ويظهر من خلال الاطلاع على كتاب العرب، انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية عداءً واضحاً لتلك الفتوحات إذ يعتبر أن هذه الفتوحات تمت لدوافع مادية محضة بسبب الكسب والثراء والمال، وليس بهدف نشر الدين أو التسامح .

وبناء على ما سبق يمكن القول أن المناصب الدبلوماسية التي وصل إليها ذلك المستشرق هي التي كانت عاملاً مؤثراً في زيادة عدائه للمسلمين، وانعكست كتاباته العدائية اتجاه المسلمين، والتي جعلت الدولة البريطانية تقدم على الاهتمام به، وترقيته، وجعله مفاوضاً لجمال عبد الناصر .

3 - فلهاوزن :

مؤرخ ألماني، مسيحي، أرخ لليهودية ولصدر الإسلام، ولد 1844م، وتوفي:1918م، واهتم باللغات السامية والكتابات اليهودية، ونقد الكتاب المقدس القديم، والإنجيل، كما قام بتدريس اللغات الشرقية وألف العديد من المؤلفات أبرزها: تاريخ إسرائيل، وسقوط الدولة العربية، واستفاد من كتب الطبري [3].

برع بالبحث بالتاريخ العربي، وعمل مدرساً بميدان تاريخ العهد القديم، وأستاذاً للغات الشرقية، وترجم الكثير من الكتب العربية والإسلامية منها: كتاب المغازي للواقدي، واعتمد في كتاباته على تهويل الأحداث والألفاظ المنمقة [4].

ومن خلال الاطلاع على كتاب تاريخ الدولة العربية للمستشرق تبين أنه يهول الأحداث التي وقعت بين المسلمين، ولا سيما الصراعات بينهم.

4 - فان فلوتن :

مستشرق هولندي، ولد عام 1866 – 1903م، اهتم بالدراسات الشرقية الإسلامية ، أبرز أعماله أبحاث في السيطرة العربية، آثار العباسين بخرسان، تعمق في كتب المسلمين كالطبري والجاحظ وغيرهم [1] .

([1]) الزركلي ، الأعلام (ج1/284) ؛ العقيقي ، المستشرقون (ص561).
([2]) أنتوني ، ناتنج ، ناصر(ص5).
([3]) بدوي، موسوعة المستشرقين (ص408-409).
([4]) فلهاوزن، الدولة العربية (مقدمة الكتاب).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر كتاب السيادة العربية لفان فلوتن تشويهاً واضحاً لصورة الإسلام، وكذلك كذب وافتراءات وتحريف للمصادر الإسلامية، ولم يرد فيه أي مدح أو إشادة بالمسلمين الفاتحين فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية ، إنما كانت كل آرائه تحمل حقداً دفيناً وواضحاً على الإسلام .

([1]) بدوي، موسوعة المستشرقون (ص410) ؛ العقيقي، المستشرقون (ص662).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

حقيقة الفتوحات الإسلامية

- المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية .
- المبحث الثاني: انتشار الدين الإسلامي .
- المبحث الثالث: مشروعية الجهاد في الإسلام وأسبابه .
- المبحث الرابع: أبرز الفتوحات الإسلامية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

عالمية الدين الإسلامي

أرسل الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم للعالمين جميعاً ، مما يدلل على عالمية الدعوة الإسلامية للناس كافة، على شتى أصنافهم وأجناسهم وأماكن تواجدهم ، وجعل المولى سبحانه وتعالى الدعوة الإسلامية، وهي أشرف وأعظم مهنة مهمة الأنبياء والرسل والمسلمين من بعدهم، والتي هدفت بشكل رئيس لإخراج الناس من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية .

وقد أكد المولى سبحانه وتعالى ذلك بقوله: **"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ "**[1] ، وقوله أيضاً : **"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا"**[2]

وختم الله سبحانه وتعالى برسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رسالات الأنبياء جميعاً ، وختم بالقرآن جميع الكتب السماوية السابقة ، فدلل على ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بالحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بقوله : " **فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ** " [3] ، كما جاءت هذه الرسالة شاملة ، كاملة ، ليس لبلد محدد ، أو صنف معين ، وإنما كانت للناس جميعاً .

دعوة الإسلام عالمية :

انطلقت دعوة الإسلام لتكون دعوة عالمية شاملة لكل نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية والعسكرية وغيرها ، وتعامل الناس جميعاً على أنهم بشر ، وتميز بين من آمن بها فتعامله معاملة خاصة ، ومن سالمها ، فله معاملة أخرى إذ يعيش في ظلها ويأمن في جوارها ولا يتعرض لأي مكروه ، وهناك من وقف في طريقها فله حكم آخر [4] .

فالدين الإسلامي دين جاء لكل الأجناس و الأجيال ، كما جاء شاملاً لكل الأزمنة حتى قيام الساعة ، فضلاً عن كل البلاد دون استثناء ، فهو لم يفرق ولم يميز بين دم أو عرق أو لون أو لغة أو جغرافيا ، بل يتأقلم مع كل مكان وزمان وفي كل ميدان .

ومما يدلل على عالمية الإسلام أيضاً خطاب المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الذي يوجهه لمخاطبة الناس كافة، وقد بان ذلك من خلال الآيات المبدوءة بعبارة "يا أيها الناس "، وفي ذلك دلالة واضحة على عالمية الرسالة والدين الإسلامي [5] .

---

(1) [الأنبياء: 107].
(2) [سبأ : 28].
(3) صحيح مسلم، (حديث523).(ج371/1).
(4) الجعوان ، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته (ص95).
(5) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (ص47).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ورد أيضاً في كثير من المواضع القرآنية على أن الدين الإسلامي هو دين عالمي للناس كافة ، وللعالم أجمع فقال تعالى : " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ "[1] ، وقوله تعالى : "قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا "[2]، وقوله أيضاً :"وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا " [3] .

ويؤكد على عالمية الدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ:" **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُوتِيتُ خَمْسًا لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ كَانَ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَيُرْعَبُ مِنِّي الْعَدُوُّ عَنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهْ، فَاخْتَبَأْتُهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** "[4] .

وقوله كذلك : " **والذي نفسي بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار** " [5] .

وقد جاء الدين الإسلامي ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد لأن الدين عند الله الإسلام ، والدين الإسلامي هو الدين الشامل والكامل لكل المسلمين في أرجاء الأرض كافة ، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [6] .

ولعل قول الله سبحانه وتعالى:"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ"[7] ، يؤكد بأن الدعوة الإسلامية هي دعوة عامة للناس كافة ، إذ يفهم من خلالها أن هناك من يستثنى من الإيمان بهذه الدعوة وهو من لا يريدها ، ولا يجبر ويكره علها ، غير أن تبليغ الدعوة إليه أمر واجب .

وتدلل الآية السابقة على عدم جواز إكراه الناس للدخول في الدين الإسلامي ، لأنه بين واضح في دلائله وبراهينه ، ولا يحتاج إلا أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل يدخل فيه من شرح الله صدره للإسلام ، وهداه للإيمان ، ونور بصيرته للهداية ، بينما لا ينفعه الدخول في الإسلام مكرهاً من أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره [8] .

([1]) [التكوير : 26]، [يوسف : 104] ، [الأنعام : 90].
([2]) [الأعراف : 158].
([3]) [الشورى: 7].
([4]) مسند الإمام أحمد، (ج35 / 224).
([5]) صحيح مسلم، (ج1 / 134) .
([6]) [آل عمران: 19].
([7]) [البقرة: 256].
([8]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج1/416).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يتوجه الإسلام إلى جنس معين دون آخر ، فكان خطابه موجهاً للناس كافة دون استثناء ، وليس للعرب وحدهم أو لقبائل محددة أو غير ذلك :" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ"[1] ، وقوله أيضاً : "قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا "[2]، وتعقيباً على تلك الآية يذكر ابن كثير بأن الرسالة كانت موجهة للناس جميعاً الأحمر والأسود ، العربي والعجمي ، وهو في حد ذاته تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم باستهداف رسالته الناس جميعهم ، وبأنه خاتم النبيين [3] .

كما أن قول الله سبحانه وتعالى:" هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ "[4] ، إشارة أخرى على أن الرسالة للعالم بأسره وليست على فئة معينة فقط .

ولعل انتشار الدعوة الإسلامية بشكل سريع في بلاد الشرق ، وانهيار الإمبراطورية الفارسية ، والتسامح الديني مع أولئك الناس ودخولهم في الإسلام بإرادتهم ، غير مكرهين ، وزحف الإسلام إلى وسط آسيا ، ووصوله إلى أفغانستان ، وكذلك دخول المغول في الدين الإسلامي دليل على أن الدين الإسلامي هو دين عالمي انتشر بجهود الصحابة والدعاه من التجار المسلمين حتى وصل الهند وأندونيسيا والصين وكوريا واليابان وغيرها من البلدان [5] .

كما أن انتشار الدين الإسلامي في بلاد أفريقية ووصوله إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، ودخول أهل تلك البلاد في الإسلام وجهادهم مع الصحابة ، وامتداد الدين الإسلامي إلى بلاد أوروبا وعلى رأسها أسبانيا وفرنسا أيضاً دليل على عالمية الدعوة الإسلامية [6] .

الدعوة الإسلامية واجبة :

أوجب الله سبحانه وتعالى الدعوة إلى الإسلام على كل مسلم ، وتكليف له على حسب جهده وإمكانيته ، ولم يجعلها اختيارية ، وقد دلل على ذلك قول الله تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ"[7] ، وقوله تعالى

([1]) [النساء: 1].
([2]) [الأعراف : 158].
([3]) تفسير القرآن العظيم (ج3 / 235).
([4]) [التوبة : 33].
([5]) صقر، الدين العالمي ، انظر (ص72 - 77).
([6]) المصدر السابق ، انظر (ص77 – 85).
([7]) [المائدة :67].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً : " وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ "[1] ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "[2] ،كما جعل هداية الناس ودعوتهم للإسلام من أفضل الأعمال وأحبها إليه فقال : " وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ " [3] ، وقوله أيضاً : "وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ " [4] .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى هداية البشر وعدم تركهم لأهوائهم ومعتقداتهم ، فأرسل إليهم الرسل لدعوتهم للدين الإسلامي ، فقال تعالى : "رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا " [5] .

وقد حث القرآن الكريم الناس للتأمل في مخلوقات الله سبحانه وتعالى ليهتدوا إلى الطريق الصحيح والسليم فقال تعالى : "سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ"[6] ، وجعل الله سبحانه وتعالى البحار والجبال والسماوات والأنهار وغيرها من الكائنات والمخلوقات دلالة واضحة للتفكر والتأمل للناس ليسيروا في طريق الهداية والرشاد فقال تعالى : " خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ "[7] .

الدعوة الإسلامية استكمال للرسالات السابقة :

لم تقتصر دعوة الناس للهداية والرشاد على محمد صلى الله عليه وسلم وإنما كانت منذ أمد طويل من قبله ، إذ أرسل الله سبحانه وتعالى من قبله الرسل ، وجعل رسالته خاتمة

---

(1) [إبراهيم : 4].
(2) صحيح البخاري (ج4 / 170).
(3) [فصلت : 33].
(4) [آل عمران: 104].
(5) [النساء: 165].
(6) [فصلت:53].
(7) [لقمان: 10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للرسالات ، فقال تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ "[1] .

وقد أنصف الإسلام كل الأديان السماوية ، وفرض على المسلم أن يكون مؤمناً بالرسل جميعهم ، وأولى تلك الديانات التقدير والاحترام ، فقال تعالى : "قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ " [2] .

ويتفق الدين الإسلامي مع الرسالات السابقة على وحدة الأديان وتشريعها السماوي ، لكنه لا يتفق مع تلك الديانات في كون الدين الإسلامي هو خاتم الرسالات ، ولهذا قدر الله سبحانه وتعالى لجميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعوا أتباعهم للإيمان به [3] .

وتعد العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة ومتكاملة ، تخدم الناس عامة ، إذ إنها تخاطب الفطرة التي جبل عليها الإنسان ، وتجيب عن كل استفساراته الروحية والعقلية [4] .

وإذا كانت معجزات الأنبياء السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم هي حسية مثل إبراء الأكمة والأبرص أو انفلاق البحر أو نجاة إبراهيم عليه السلام من النار وغيرها الكثير والتي تنتهي مع وفاة هؤلاء الأنبياء ، إلا أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تميزت بأنها غير شخصية ووجودها ليس مقتصراً على حياة النبي ، وإنما بقيت للأجيال التي تلته ، مصداقاً لقوله تعالى:" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ " [5].

البشارات النبوية دلالة على عالمية الدعوة :

- دللت بشارات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ونبوءاته بالفتوحات الإسلامية على أن الدين الإسلامي هو دين عالمي ، ويظهر ذلك مما رواه عدي بن حاتم ، **قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، – قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ –،**

([1]) [غافر: 78].
([2]) [البقرة: 136].
([3]) السيد، مقال بعنوان الإسلام وحده هو دين الإسلامية الراجلة ، مجلة اللغة العربية ، العدد2 (ص59).
(4) الزغبي، الإسلام ضرورة عالمية (ص42).
([5]) [الحجر:10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ " [1] .

ومن هذه البشارات أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : **عَنْ أَبِي بَصْرَةَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا "**[2] ، وكذلك الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تبشر بالفتح وتدلل على عالمية الدعوة الإسلامية ، وأن الدين الإسلامي سينتشر في مشارق الأرض ومغاربها

كما تظهر بشارات النبي صلى الله عليه وسلم بوعده لسراقة بن مالك بن جعشم [3]، بسواري كسرى[4]، عندما لحق به في هجرته من مكة إلى المدينة وهي دلالة أخرى على فتح العراق والمشرق [5].

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : **" إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل "** [6] .

وتعد هذه البشارات النبوية هي مبشرات نقية لا تحتمل التأويل وإنما هي إيمان ويقين بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي أشار إلى فتح تلك البلاد ، ومكن الله سبحانه وتعالى المسلمون من فتحها بعد وفاته ، وهذا مصداق لقول الله تعالى في وصف نبيه : **"وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ "**[7] .

سفراء النبي دليل على عالمية الدعوة :

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى القبائل المجاورة للمدينة المنورة وفي الجزيرة العربية أيضاً لنشر دعوته وحمل رسائله إليهم وعرض الدين الإسلامي عليهم ، إذ

---

(1) صحيح البخاري (ج4/197).
(2) صحيح مسلم(ج4/1970).
(3) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني صحابي، له شعر، كان ينزل قديدا، له في كتب الحديث 19 حديثا، وكان في الجاهلية قائفا أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله صلّى الله عليه وسلم حين خرج إلى الغار مع أبي بكو وأسلم بعد غزوة الطائف سنة 8هـ؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (179/1)؛الزركلي، الأعلام (ج80/3).
(4) كسرى: لقب يطلق على كل ملك من ملوك بلاد فارس؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج58/5).
(5) ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية (ج75/7).
(6) المصدر السابق (ج59/7).
(7) [النجم: 4].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان منهم: معاذ بن جبل [1]، لليمن، وخالد بن الوليد، لنجران [2]، وهمذان[3]، وغيرهم ، مما يدلل على عالمية الدين الإسلامي ، كما دللت بعثاته الخارجية لخارج الجزيرة العربية على ذات الهدف ، حيث امتدت هذه البعثات لثلاث قارات ، وكان منهم الحارث بن أبي شمر الغساني الذي أرسل إلى هرقل[4]، قيصر الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي[5]، الذي أرسل إلى كسرى ملك فارس ، وحاطب بن أبي بلتعة [6]، الذي أرسل إلى المقوقس [7]، بمصر ، وغيرهم [8] .

وقد دلل النبي صلى الله عليه وسلم على عالمية دعوته ورسالته عندما أرسل كتابه إلى ملكي عمان بقوله : **"فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين"**[9] .

ويستنتج مما سبق أن إرسال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الرسل إلى دول عظمى في ذلك الزمان كالروم والفرس وتسليم زعمائهم كتب النبي صلى الله عليه وسلم بدعوتهم للإسلام لا يدع مجالا للشك بأن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية ، بل إن دعوة هؤلاء الملوك للإسلام في بداية الدعوة الإسلامية تؤكد وتدلل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع نصب عينيه أن تعم دعوة الإسلام فوق ربوع العالم بأسره ، فهو لم يقتصر على مناطق محيطة بالمدينة المنورة ، ولم يكتف بدعوته في الجزيرة العربية ، وإنما أرسل إلى أبعد من ذلك حتى بلغ تلك الإمبراطوريات .

موقف المستشرقين من عالمية الدعوة :

تباينت آراء المستشرقين اتجاه عالمية الدعوة الإسلامية ، إذ اعتبرها عدد كبير منهم أنها للعرب فقط ولم تكن موجهة للعالم بأسره .

فقد رأى ويليم موير[10]، أن الدعوة الإسلامية اقتصرت في بدايتها على العرب ، وأن تعميم الرسالة للعالم أجمع كان متأخراً ، ورأوا كذلك بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يجتهد في دعوته إلا على إطار العرب فقط ، وأن امتداد دعوته ليس نتيجة الرؤية والخطط المستقبلية ، وإنما بفعل الظروف التي ساعدت على انتشارها خارج العرب [11] .

([1]) معاذ بن جبل: بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد أخي سلمة بن سعد وأمه هند بنت سهل من جهينة، ويكنى معاذ أبا عبد الرحمن. وشهد العقبة في روايتهم جميعا مع السبعين من الأنصار؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (437/3).

([2]) نجران: مدينة يمنية تشتهر بدباغة الجلود والمزارع والضياع والتجارة ؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج1/151).

([3]) همذان: مدينة ببلاد فارس، مليئة بالجبال، ماءها عذب، هواءها طيب، افتتحها المغيرة بن شعبة، عام24هـ في خلافة عمر بن الخطاب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج5/410).

([4]) هرقل: ملك الروم في بلاد الشام ؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج5/58).

([5]) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة: صح أبي أسلم قديما، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرا، وأسره الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه وشهد فتح مصر، وتوفي بها في أيام عثمان؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (345/3)؛ الزركلي، الأعلام (ج4/78).

([6]) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: صحابي؛ شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان من أشدّ الرماة في الصحابة وكانت له تجارة واسعة؛ بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية. ومات في المدينة؛ وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (365/3)؛ الزركلي، الأعلام (ج2/159).

([7]) المقوقس: القبطي صاحب الإسكندرية؛ كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قرأ الكتاب قال: خيرا، وأخذ الكتاب، فكان مختوما، فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، وكتب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - جواب كتابه، ولم يسلم، وأهدى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - مارية القبطية وأختها سيرين وحماره يعفور وبغلته دلدل وكانت بيضاء، ولم يك في العرب يومئذ غيرها؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (ج1/107).

([8]) صقر، الدين العالمي ، انظر (ص55 – 58) .

([9]) القسطلاني، المواهب (ج1/ 225).

([10]) مستشرق يهودي نمساوي، عالم بالآثار الإسلامية، هاجر إلى فلسطين عام1921م، واستقر بها، عمل مدرساً في معهد الدراسات الشرقية بالقدس؛ ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقون (ص539).

([11]) حسن ، تاريخ الإسلام (ج1 / 169).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما بروكلمان، فيرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى العرب فحسب ، إذ كان عليه أن يعمل لإحياء ملة إبراهيم التي حرفها اليهود والنصارى ، ويشكك في أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استشعر أن دعوته للعالم أجمع [1] .

أما ول ديرونت، فيرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في توزيع سلطانه خارج البلاد العربية [2] .

وخلافاً لذلك يرى مونتغمري وات[3]، أن دخول الأجناس المختلفة في الدين الإسلامي ، ولا سيما من غير العرب دليل واضح على أن الإسلام هو دين عالمي لم يقتصر في خطابه على العرب وحدهم ، كما أن قبول الإسلام لأناس من جنسيات مختلفة يدلل على أن رؤية الإسلام على درجة كبيرة من العالمية [4] ، ويؤكد ذلك أيضاً توماس أرنولد بأن الرسالة المحمدية كانت للعالم قاطبة وأن هناك إلهاً واحداً وديناً واحداً [5] .

وأما نصري سلهب [6] فيرى أن عالمية الرسالة لم تتوقف عند الغرب فحسب ، وإنما تحدث عنها أبناء الشرق من غير المسلمين ، مشيراً إلى أن الإسلام هو دين الأزمنة جميعها ، وقد أعد لجميع الشعوب على حد سواء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو للعالم أجمع ، وليس للعرب فحسب [7] .

ولعل قول النبي صلى الله عليه وسلم مستبشراً " إن بلال [8]، أول ثمار الحبشة ، وإن صهيب[9]، أول ثمار الروم، وإن سلمان أول ثمار فارس [10]، إشارة على أن الدين سيشمل الأجناس كافة ، وليس العرب فحسب ، بل إن إقبال العجم والروم والفرس على اعتناق الدين الإسلامي وتعلم اللغة العربية دلالة أخرى على أن الرسالة المحمدية أرسلت إلى غير العرب [11] .

ولعل خروج علماء جهابذة يعتد بآرائهم وتأليف الكتب التي تعد من أضخم المرجعيات للمسلمين ، وهم من غير العرب دليل آخر على أن الرسالة كانت في شتى ربوع الأرض ، ومن هؤلاء أبو حنيفة [12] ، والبخاري [13] ، وغيرهم الكثير .

([1]) تاريخ الشعوب الإسلامية (72).

([2]) قصة الحضارة (ج21/13) .

([3]) مونتغمري وات: مستشرق اسكتلندي عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبرة، وكان بداية حياته قصاً بالكنيسة الاسكتلندية، له مؤلفات متعددة لها علاقة بالإسلام؛ ينظر: العقيقي، المستشرقون (ص554).

([4]) ما هو الإسلام (ص123).

([5]) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (ص48).

([6]) نصري سلهب : مسيحي لبناني تميز بنشاطه الملحوظ بتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان .

([7]) لقاء المسيحية والإسلام (ص403).

([8]) مولى أبي بكر ويكنى أبا عبد الله وكان من مولدي السراة كان يعذب حين أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاهم قط كلمة مما يريدون، وكان الذي يعذبه أمية بن خلف؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (ج174/3).

([9]) صهيب بن سنان بن مالك: من بني النمر بن قاسط صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس وهو أحد السابقين إلى الإسلام، كان أبوه من أشراف الجاهليين؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (349/3)؛ الزركلي: الأعلام (ج210/3).

([10]) النجار، الدعوة والدعاة في الإسلام (ص64).

([11]) الزيادي ، طاهرة انتشار الإسلام (ص43 – 44).

([12]) هو النعمان بن ثابت التيمي ، ولد بالكوفة عام (80 هـ - 699م)، وتوفي عام (150 هـ - 767م)، وهو أحد الأئمة الأربعة ، ينظر: ابن سعد، الطبقات (233/7)؛ تاريخ بغداد (ج13).

([13]) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، ولد في بخاري عام (194هـ - 810 م) ، وتوفي عام (256 هـ - 870 م) ، ويعد صاحب أوثق كتاب بالسنة وهو صحيح البخاري ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (188/4)؛ تذكرة الحفاظ (ج2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد كرم وشرف العرب دون غيرهم لحمل تلك الرسالة ، والتي من معقلهم صدع بالدعوة الإسلامية لتنطلق إلى بلاد أخرى " ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا " [1] .

(1) [الحج :71].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

انتشار الدين الإسلامي

يعد الدين الإسلامي من أكثر الديانات التي انتشرت بهذه السرعة على وجه الأرض في مدة قياسية محدودة من حيث الزمان ، لتشمل معظم بقاع الأرض ، وتثير التساؤلات حول طبيعة الدين الإسلامي الذي انتشر في مناطق واسعة من العالم .

ولعل كل فكرة جديدة تظهر على وجه الأرض ، لا بد أن يكون لها معارضة يكون دورها التقليل من شأن تلك الفكرة والطعن بها ، ومحاولة تشويهها ، وهذا ما كان مع ظهور الدين الإسلامي في مكة .

الأوضاع السائدة قبيل ظهور الإسلام :

يرى المتتبع لأحوال الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام الكثير من الظواهر السلبية كالاقتتال بين القبائل ، وظهور العصبية ، فضلاً عن الوثنية وعبادة الأصنام ، في وقت لا يوجد فيه أي تمييز عقلي لدى سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يعبدون الأصنام تارة ، ويأكلونها تارة أخرى بالإضافة إلى العديد من العادات الجاهلية المقيتة ، غير أننا لا نستطيع أن نتجاهل بعض العادات الأصيلة لديهم كالكرم والسخاء والشهامة وغيرها .

وأما الروم فقد دبت بينهم الخلافات المذهبية والصراعات القبلية ، ودقت طبول الحرب فيما بينهم التي أدت بهم إلى الفوضى والدمار والخراب [1] .

بينما كانت الفرس في أسوء حالاتها قبيل الإسلام ولا سيما أنهم كانوا يعبدون الشمس والنار ، وآخرين يعبدون الشمس والنار ، ووصل الفساد والانحطاط في مجتمعاتهم إلى ذروته في ذلك الوقت [2] .

وسياسياً فقد بدأ الاستبداد في جزيرة العرب ، وظهر النظام القبلي ، وسيطرت رابطة الدم والنعرة ، فضلاً عن اتباع سياسة الهجوم من أجل الحصول على الرزق ، وكذلك سياسة الدفاع من أجل الحفاظ على وجود القبيلة ، وكانت السيادة والغلبة للأكثر عدداً وعدة وقوة [3] .

كما كان هناك تقديس الملك في بلاد الفرس وتعظيم الإمبراطور في بلاد الروم ، وكانت الاضطرابات والفتن والفوضى الداخلية تسيطر على الفرس والروم معاً [4] .

وعلى الصعيد الاجتماعي انتشرت وبشكل كبير الرذائل والمفاسد والخمور والزنا والانحلال الأخلاقي والاجتماعي وذابت أسس الفضيلة ، وانتشر الحقد والكراهية والضغينة بين أبناء المجتمع الواحد [5] .

([1]) الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص35).
([2]) شلبي ، الإسلام (ص41).
([3]) سالم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج1/ 28).
([4]) شلبي ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي (ص18 – 19).
([5]) الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص76).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب انتشار الإسلام

يعد الدين الإسلامي دين المحبة والإخاء "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ" [1] ، وقد ذكر السلام في كتاب الله سبحانه وتعالى في مئة وأربعون آية ، بينما كانت الحرب فقط في ستة مواضع [2] .

ولعل سبب انتشار الإسلام بهذا الشكل الواسع يعود إلى عدة عوامل أبرزها قوة المنهج الرباني الذي يتحدث عنه المنظرون والداعون للإسلام ، وكذلك يسر تكاليف الدين الإسلامي ووجباته والتي يستطيع أي فرد يريد الدخول فيه من أداء تلك الواجبات دون مشقة أو تعب ، وفضلاً عن ذلك توافق الدين الإسلامي مع السنن الإلهية ، ولا سيما أنه دين الفطرة إذ إنه يذم ويحرم المنكرات ، ويدعو إلى الهدى والفضائل ، وفضلاً عن ذلك القوانين العادلة التي جاء بها الدين الإسلامي والتي تنسجم مع المسلمين والأعداء على حد سواء ، وهذا يؤكده قول الله سبحانه وتعالى :" إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا " [3] .

ويدلل على ذلك الشيخ محمد عبده بقوله : " إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وإن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربي على التسليم بغير عقل وعلى العمل - ولو صالحاً - بغير فقه ، فهو غير مؤمن " [4] .

ويمكن تصنيف أسباب انتشار الإسلام إلى :

- أسباب اجتماعية :

لعبت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم التي قدمها القرآن الكريم الدور الكبير في كسب قلوب الناس تجاه الدين الإسلامي [5] .

وقد تكفل الإسلام بحرية العبادة للبشر أجمع ، وكذلك تكفل بالرعايا والضعفاء والعبيد والأسرى وغيرهم ، ولم يكن ضمن أهدافه إجبار الناس على الدخول في الإسلام [6] .

وقد دخل الإسلام آسيا بقلوب المسلمين وسعة أخلاقهم ورحمتهم وعدالتهم التي أثرت في قلوب الناس ، وكان هناك ألفا جزيرة اندونسية قد دخلت الإسلام دون أن يشهر سيف في تلك الجزر [7] .

ويذكر غوستاف لوبون بأن القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام ، لأن العرب قد تركوا أهل تلك البلاد أحراراً في دياناتهم ، إذ إن العدالة التي تحلى بها المسلون وسهولة

---

(1) [الحجرات: 14]
(2) الشال ، السلام رسالة السماء (ص58).
(3) [الإسراء: 9].
(4) وافي ، حقوق الإنسان بالإسلام (ص223).
(5) الحامدي ، فصل موجز في أخلاق محمد وخاتم النبيين (ص36).
(6) وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام (ص260).
(7) شقرة، السيرة النبوية العطرة (ج13 / 15).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدين الإسلامي عن غيره من الأديان الأخرى كان عاملاً مهماً في انتشار الدين الإسلامي [1] .

وكانت سماحة أخلاق الحكام المسلمين حاضرة في البلاد التي دخلها المسلمون، والتي كان لها الأثر الكبير في اقتناع الناس بالدين الإسلامي ، إذ يذكر المقريزي بأن أحد الحكام المسلمين كان يصحب الفقهاء وينشر العدل ، بل بلغ به الحال من شدة عدله أن اقتص من ابنه لابن أحد الرعية بالرغم من عفو صاحب الحق ، وغيره كان يعطف على المساكين ويرحم الصغار ويقدر الكبار ويهتم بالأرامل والأيتام وينصف المظلوم [2] .

وكان للتجار الذين يترددون على البلاد المفتوحة قبيل الإسلام أثر واضحٌ ، حيث استمر ترددهم عليها بعد الإسلام وجاءوا لأهلها بدين جديد أثناء اختلاطهم معهم في تجارتهم مما أدى إلى اعتناق الكثير من أهالي تلك البلاد للإسلام [3] ، كما لجأ بعض المسلمين إلى داخل أفريقيا وأقاموا بها وتزوجوا من أهلها ، وتقاربوا مع سكانها ، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في نشر الدين الإسلامي [4] ، كما عمل هؤلاء التجار على توطيد علاقتهم بحكام تلك المناطق إلى أن تطورت العلاقات إلى صداقات بينهم انقلبت فيما بعد إلى دعوتهم للإسلام [5] .

ويذكر عمارة أن هناك طوائف كثيرة من الناس آمنت بالدين الإسلامي ، رغم أنهم كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم وحالاتهم ، ولم يكن الإسلام مقتصراً على البسطاء فحسب ، وإنما على ميسوري الحال أيضاً [6] .

وكان لعوامل الرقي والحضارة التي يحملها الإسلام أثر كبير أيضاً في انتشار الدين الإسلامي ، إذ كانت ظاهرة أكل لحوم البشر وتقديم الناس قرابين ، بالإضافة إلى وأد الأطفال وهم أحياء ، كل هذه الظواهر كانت موجودة في المجتمع الإفريقي على وجه الخصوص ، ولكنها اختفت مع قدوم الإسلام [7] .

كما أن اشتمال المنهج الإسلامي على العدل بين الناس ، وتحقيق المساواة على الجميع ، وضمان حقوق الناس من المميزات التي اشتمل عليها الدين الإسلامي ، كان لها الدور الكبير في انتشار الإسلام .

وقد جعل الإسلام التقوى هو الصفة التي من خلالها تقييم البشر، إذ دعا الإسلام إلى إكرام الناس وتمني الخير لهم، وعمل على إدخال السرور عليهم ، الأمر الذي كان له الدور الكبير في التأثير على قلوب الناس وتحفيزهم على الدخول في الإسلام .

---

(1) حضارة العرب (ص127).
(2) الإلمام (ص14 - 18).
(3) متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (ج2 / 377).
(4) القلقشندي ، صبحي الأعشى (ج3 / 524).
(5) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (ص358).
(6) هذا هو الإسلام (ص74).
(7) أرنولد ، الدعوة الإسلامية (ص396).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **أسباب دينية :**

حث الإسلام على دعوة الناس بالطرق السلمية والرفق واللين في أكثر من موضع من كتاب الله فقال : " وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا " [1] .

وقال أيضاً : " قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ " [2] .

وقد وصف الدين الإسلامي في انتشاره كالفجر يبدو ضئيلاً ثم يتسع حتى يعم الأفق ليحقق انتشاره معجزة لم تحصل لأمة غير الإسلام ، ولعل سر انتشاره هو الإسلام نفسه الذي يحمل في طياته الخير والحق والقوة [3] .

ويرى الدكتور حسين مؤنس بأن داعية الإسلام الأكبر هو الإسلام نفسه ، إذ إن فضائل الإسلام عقيدته وشرائعه أكثر ما يشجع الناس على الدخول فيه ، وأن الإسلام يعطي الداخل فيه كل شيء ، بينما لا ينتقص منه شيء ، ويكفيه فقط النطق بالشهادتين ، كما يرى مؤنس بأن ثلث المساحة التي يسيطر عليها المسلمين فتحت بالسيوف فقط بينما فتح الثلثان الآخران دون جيوش منظمة ، وبوضوح الإسلام وصدقه التي جعلت الناس يدخلون فيه ويؤمنون به ويقتنعون بما يرونه بأسباب منطقية واضحة ويرون بأعينهم رأي العين عجائب الكون [4] .

ولعل وضوح الدين الإسلامي في فهمه وتكاليفه وتطبيقه شجعت الناس للدخول فيه [5] ، كما أنه دين المساواة الذي يضم الغني والفقير والحر والعبد والحاكم والرعية [6] .

ويكمن عنصر القوة في طبيعة الدين الإسلامي وبساطته وشموله وملائمته للفطرة البشرية [7] .

وقد جعل الإسلام الناس أحراراً في معتقداتهم فقال " لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ " [8] ، كما دعا الإسلام إلى احترام معتقدات المخالفين والمحافظة على دور العبادة الخاصة بهم وحمايتها ، وأباح للمسلم المتزوج من الكتابية أن يخرجها إلى أداء عبادتها ، بل يصحبها إلى دار العبادة إن لزم الأمر [9] ، فضلاً عن دعوة الإسلام الناس إلى اتباع المنطق

([1]) [المزمل: 10 – 11].
([2]) [النور: 54].
([3]) عرفة ، أنظر السر في انتشار الإسلام (ص2 – 5).
([4]) الإسلام الفاتح، انظر (ص20- 24).
([5]) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ص454).
([6]) أحمد، سر انتشار الإسلام (ص3).
([7]) قطب، المستقبل لهذا الدين (ص21).
([8]) [الكافرون: 6].
([9]) وافي ، حقوق الإنسان بالإسلام (ص221).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحكمة قبيل اختيار معتقداتهم ، ودعا المسلمين إلى مناقشة المخالفين بالحجة والحكمة والموعظة الحسنة فقال : "وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ " [1] .

وقد وصلت القناعة لدى الإفريقيين بأن الإسلام بالنسبة لهم ليس ديناً يقبلون به فحسب ، وإنما ارتباطٌ بقلوبهم يسمعون به لأول مرة في حياتهم ، إذ انتشرت المدارس ودور القرآن الكريم وغيرها التي مهدت لانتشاره [2] .

كما أصبح الدين الإسلامي الملجأ الطبيعي لأفراد الكنيسة الشرقية الذين أعجبوا بصورته النقية وبساطته ، فأقبلوا على هذا الحنين [3] .

ويذكر كيتاني[4]، أن العرب لم يضطهدو ا أحداً في السنوات الأولى من أجل الدين ، ولم يعملوا على ضم أحداً إلى دينهم ، وقد تمتع المسيحيون الساميون في ظل الإسلامي بعد الفتوحات الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة [5] ، كما أمر عمر بن الخطاب أن يعطى قوم مجزومون من النصارى من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت [6]

- **أسباب سياسية :**

إن من مميزات الإسلام التي شجعت الناس للدخول فيه الشمولية التي تجمع بين النفس والضمير ويستطيع الإنسان أن يجمع أيضاً بين تعداد الأقوام والأوطان [7] .

ويرى فريق من المؤرخين الغربيين أن ظاهرة انتشار الإسلام عقيدة كونية وقوة عالمية، بينما يراها آخرون، قوة عجيبة تشع من العقيدة الإسلامية التي ظهرت في مكة ، ومن المكان الذي نشأت منه وتمددت في شتى البقاع، والتي أظهرت حضارة قوية تثير الاستغراب [8] .

كما يرى فريق آخر بأن الشريعة الإسلامية تمارس الجاذبية على ملايين البشر الذين يدخلون الإسلام بشكل متواصل ، حيث من الصعب الوقوف أمام تلك الظاهرة ولا سيما في أوروبا ، التي متوقع أن يسيطر فيها الإسلام في يوم من الأيام ، وهو دين جذاب ويرجع ذلك إلى وضوح رسالته وسمو أخلاقه ، مما دفعه لأن يكون أسرع الديانات انتشاراً في العالم [9] ، كما وصف الإسلام بانتشاره كبقعة الزيت في توسعها [10] .

ولعل تأثر الجرمان [11]، بالحضارة الرومانية في القرن الخامس الميلادي عندما احتلوا الرومان يعكس أن الجرمان لم يكن لهم حضارة يتأثر بها أهالي تلك البلدان ، على عكس المسلمين تماماً عندما فتحوا البلدان ، ووجد أصحاب تلك البلدان الدين الإسلامي الذي تأثروا به ، ونهلوا من معينه واقتنعوا بفكرته [12] .

([1]) [العنكبوت: 46].
([2]) نقيرة ، انتشار الإسلام في شرقي أفريقية (ص114).
([3]) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام (ص185).
([4]) كايتاني، مستشرق إيطالي، عد من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديث، اشتهر بكتابه حوليات الإسلام، وتوسع في تاريخ الإسلام في العصرين النبوي والراشدي؛ ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقون (ص493).
([5]) عمارة ، هذا هو الإسلام (ص93).
([6]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/ 129).
([7]) العقاد ، الإسلام في القرن العشرين (ص33).
([8]) شاخت ، تراث الإسلام (ج1 / 85).
([9]) سكارسيا ، العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية (ص214).
([10]) شاخت / تراث الإسلام (ج1 / 173).
([11]) الجرمان: مجموعة من القبائل والشعوب، ذات صفات جسمية معينة ، تغلب عليها الشقرة وطول القامة قدمت إلى أوربا من وسط آسيا منذ الألف الأولى السابقة للميلاد، وعمرت القارة الأوربية شمالى جبال الألب؛ ينظر: مجمع اللغة العربية(ج22/16).
([12]) زيتون ، الفتوحات العربية الإسلامية ، قراءة تحليلية ، مجلة العربي ، العدد516 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعل مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي أيضاً أنه دين وثقافة معاً ، إذ يختص بأمور الدين والدنيا على حد سواء [1] ، فضلاً عن أن الوثنيون رأوه رقياً لهم أكثر من الحضارة والمنزلة التي كانوا بها ، فضلاً عن أنه لم يطلب من المجتمعات التخلي عن قوميتهم ولا أوطانهم ولا أهليهم ، بل عمل على المؤاخاة بين سائر الأجناس [2] .

كما أن النظرة العامة للنصرانية بأنها دين الظلم والتفرقة والاستبداد ، بعكس الإسلام الذي هو دين التسامح والعدل والإخاء ساعد على انتشار الدين الإسلامي [3] .

ويرى عمارة أن محمد صلى الله عليه وسلم كان يهدف إلى تأسيس دين جديد ، ونجح في إقامة نظام سياسي بتميز كبير ، إذ لم يهدف الإسلام للقضاء على العادات البربرية الوحشية فحسب ، وإنما كان انقلاب كامل لمثل الحياة التي كانت من قبل [4] .

انتشار الدين الإسلامي بالإقناع :

انتشر الدين الإسلامي بشكل كبير وفي بقاع كثيرة من خلال الإقناع، وليس من خلال السيف، كما زعم العديد من المستشرقين الغربيين أمثال: فلوتن ونتنج وغيرهم .
وحول ادعاءات البعض الذين يزعمون بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف والإكراه وإجبار الناس على الدخول فيه يتساءل الباحث أين هو الاضطهاد والتجبر والإكراه الذي استخدمه المسلمون على إجبار الناس للدخول في الدين الإسلامي؟ وكذلك ألم تقسم الخلافة الإسلامية لاحقاً إلى دويلات صغيرة ، وسيطر عليها الاستعمار ، وزرع ومارس الكثير من الأساليب التي تثني الناس عن دينهم ، غير أن المسلمين بقوا على دينهم رغم قسوة المستعمر وشدته ، ورغم كل المحاولات لحرفهم عن الدين الإسلامي ، فلو كان الدين الإسلامي انتشر بالقوة والعنوه والإكراه لترك أولئك الناس الدين الإسلامي وارتضوا ديناً غير الإسلام ، كما أن تعاقب الأجيال الإسلامية وبقاءها على الإسلام حتى يومنا هذا يدلل على أن الإسلام عقيدة تغلغلت في قلوب تلك الأجيال المتلاحقة ، وليس الجيل الأول فقط .

ويؤكد بعض المستشرقين الغربيين أمثال: توماس أرنولد، ولورافيشيا فاغاري، وغيرهم، على ذلك بقولهم: بأن دعوة الإسلام وانتشارها لم تقم في يوم من الأيام على القوة ، وإنما قامت على الإقناع ، إذ إن هناك دعاة منتشرون في شتى البقاع يدعون إلى الإسلام ، ولا يملكون إلا الإيمان العميق في قلوبهم ، وهذا ما سهل انتشار الدين الإسلامي ، فضلاً عن أنه يسير التناول وسهل التطبيق والتكيف [5] .

كما لم يسجل التاريخ أن الجيوش العربية الإسلامية قد أجبرت شعباً على اعتناق الإسلام ، وقد شوهدت ميول الناس إلى الفاتحين في البلاد التي يفتحونها ، فضلاً عن اختفاء معتنقي المسيحية في تلك البلاد [6] .

كما لم يذكر القرآن ولا السنة أي دعوة للإرهاب أو الاختطاف ، حتى أن مدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي قاد منها الدولة الإسلامية لم تفتح بالسيف وإنما فتحت بالدعوة والمحبة والإخاء ، وكان توكأ النبي صلى الله عليه وسلم على العصا في خطبته وليس على

([1]) محمود ، الإسلام والثقافة العربية (ص41).
([2]) نقيرة ، انتشار الإسلام في شرقي أفريقية (ص117).
([3]) صقر ، الدين العالمي (ص82).
([4]) هذا هو الإسلام (ص85).
([5]) شلبي ، الإسلام والقتال (ص18).
([6]) هونكا ، شمس الله تسطع على الغرب (ص365).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السيف رداً على أولئك الجهلة الذين يمسكون السيوف ويزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف [1] .

ولم يسجل التاريخ يوماً أي محاولة لإرغام غير المسلمين على الدخول في الإسلام أو أي اضطهاد ضد الدين المسيحي ، ولو أراد المسلون ذلك لاكتسحوا المسيحية بكاملها [2] .

وتؤكد زغريد هونكه بأن العرب لم يفرضوا يوماً على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فأصحاب الديانات الأخرى الذين تعرضوا قبل الإسلام لأبشع أنواع التعصب الديني وأفظعها ، سمح لهم جميعاً دون أي عائق بممارسة شعائر دينهم ، وترك المسلمون لهم بيوت العبادة دون أن يمسوها بأذى [3] .

ويرى توماس أرنولد أن الإسلام قد انتشر بالدعوة السلمية دون إجبار على اعتناقه إذ إن الكثير من المناطق التي دخل فيها الناس للإسلام لم يكن للمسلمين بها سلطة سياسية تقوم بإجبار الناس على الدخول في الإسلام وهذا يفند مزاعم البعض [4] ، كما يرى أن الأساليب السلمية هي السائدة في إدخال الناس للإسلام في بلاد أفريقيا ، إذ شهد بذلك الرحالون وغيرهم [5] ، كما أن الإسلام لم يتقدم بقوة السلاح إلا في مواضع قليلة ، بل الأمر على العكس تماماً [6] .

ويصف جورج سيل[7]، ظهور الإسلام وانتشاره فيقول : " لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم ، وإن الذي يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعاً عظيما " [8] .

بينما يرى هوبير ديشان [9] أن انتشار الدعوة الإسلامية لم يقم على القسر وإنما قام على الإقناع الذي قام به دعاة متفرقون لا يملكون إلا قوة الإيمان ، وبدء يتسرب من قوم إلى قوم [10] .

بينما يرى عمارة أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة [11] .

كما نرى أن الإسلام قد انتشر في مكة التي كانت معقلاً ونواة للدولة الإسلامية دون أن يحمل أحد من الصحابة السيف ويشهره في وجه أحد من المشركين دليل آخر على أن الإسلام انتشر بالهدايه ولم ينتشر بالسيف .

([1]) ابن القيم ، زاد المعاد (ج1/ 178).
([2]) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (ص228).
([3]) شمس العرب تسطع على الغرب (ص364).
([4]) الدعوة إلى الإسلام (ص384).
([5]) المصدر السابق (ص390).
([6]) المصدر نفسه (ص400).
([7]) جورج سيل: مستشرق إنجليزي ولد بلندن عام1697، واشتهر بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية؛ ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين (ص358).
([8]) عمارة ، هذا هو الإسلام (ص73).
([9]) هوبير ديشان: حاكم المستعمرات الفرنسية بأفريقية حتى عام1950م، عمل أستاذاً بمعهد الأجناس البشرية بجامعة باريس، انظر: ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء (ص1).
([10]) الديانات في أفريقيا السوداء (ص128).
([11]) هذا هو الإسلام (ص93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الباحث أن هنالك العديد من الدلالات التي تفند انتشار الإسلام بالسيف أبرزها :

- الاقتناع بأن الدين الإسلامي هو الدين العالمي الوحيد الملزم للناس بالدخول إليه هي نظرية فاشلة ، إذ إنها تخالف سنة الوجود التي جعلها الله سبحانه وتعالى :" وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ " [1] .

- أن المنهج الرباني دعا إلى دعوة غير المسلمين للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فقال : " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ "[2] ، ، ولم يأمرنا بإكراه الناس وإجبارهم على الدخول في الإسلام بالقوة فقال :" لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ "[3].

- أن ديننا الإسلامي يوصينا خيراً بمشركي قريش وهم على الديانة الوثنية " وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ "[4] ، فكيف تكون المعاملة مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى ، إذ الواجب علينا هدايتهم وإرشادهم للحق فقط ، وليس إجبارهم للدخول في ذلك المنهج .

- دعوة الإسلام إلى أن يكون موقف المسلمين بغيرهم موقف بر ورحمة وسماحة ومحبة " لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ " [5] .

- اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ألا يبقى شيء على حاله ، وأن الأحوال تتغير وتتبدل مع مرور الزمن ، فإذا كان أولئك الذين دخلوا الإسلام قد دخلوه بالإرهاب والإكراه ، فلماذا لم يتراجعوا عنه وأجيالهم المتعاقبة من بعدهم على مدار أربعة عشر قرناً .

- هناك دلالات كثيرة للمحققين والمؤرخين التي تدلل وتؤكد على أن الإسلام دين التسامح والمحبة والإخاء ، وليس دين السيف والإكراه والاضطهاد .

---

(1) [هود : 118].
(2) [النحل : 125].
(3) [البقرة: 256].
(4) [التوبة: 6].
(5) [الممتحنة : 8].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى انتشار الدين الإسلامي لعل أبرزها:

- سهولة تعاليم الدين الإسلامي ، وبساطة تكاليفه وواجباته .
- القدوة الحسنة والسلوك الحميد الذي قدمه المسلمون الفاتحون ، ولا سيما التجار في معاملاتهم مع أهالي البلاد المفتوحة .
- مرونة الدين الإسلامي وواقعيته وقابليته للتطبيق ، وقربه من معاملات الناس .
- الرغبة الجادة من المسلمين على نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة السماء ، فانطلقوا في الأقطار يبلغون دعوة الله سبحانه وتعالى .
- الأخلاق العالية التي تمتع بها المسلمون الفاتحون ، وفي مقدمتها خلق النبي صلى الله عليه وسلم .
- تأزم الأوضاع السياسية ، والانحراف الاجتماعي ، وانتشار الفساد وتراجع الأوضاع الاقتصادية قبيل انتشار الإسلام دفع الناس للإقبال على الدين الإسلامي .
- الدين الإسلامي دين المساواة والعدالة والرحمة ، والذي يحمل في طياته نبذ العنصرية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

مشروعية الجهاد في الإسلام وأسبابه

ظهر الدين الإسلامي في مكة زارعاً المحبة والإخاء والمودة بين البشر ، حاملاً الخير للجميع ، فلم يظهر ليشهر السيف على أحد ، أو ينتقم من مستأمن ، أو يسفك الدماء ، أو يعتدي على أحد ، وإنما لينشر العدل والمساواة على الأرض .

وقد جعل الإسلام حماية الناس مسؤولية جماعية ، وجعل الاعتداء على أحد منهم اعتداء على الناس جميعاً ، بل إن إحياء نفس هو إحياء للناس جميعاً ، " مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا "[1] ، كما حرم الإسلام قتل النفس البشرية وإزهاقها، ونهى عن ذلك ، وجعل ذلك من الكبائر فقال : " وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ "[2] .

الإسلام دين السلم :

يرفض الدين الإسلامي الحرب ويدعو للسلم الذي يؤكد عليه القرآن في مواضع عديدة "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً " [3]، فهو يدعو إلى المودة والإخاء ، واحترام الإنسان وحفظ كرامته ، وجعل العلاقة بين الإنسان وأخيه في المجتمع قائمة على الاحترام المتبادل القائم على قاعدة المساواة التي مرادها ألا يكون هناك فضل لأحد على آخر [4] .

والإسلام يحث المسلمين على الركون إلى السلم والابتعاد عن الحرب ، فهو لا يحارب من سالمه استناداً إلى قوله تعالى:" فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا "[5] ، إذ يظهر من خلال الآية السابقة أن الإسلام نهانا عن قتال من سالمنا ، وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجنوح إلى السلم بعد

---

(1) [المائدة:32].
(2) [الإسراء:33].
(3) [البقرة: 208].
(4) السباعي ، من روائع حضارتنا (ص61).
(5) [النساء: 90].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتهاء القتال ، عندما يجنح العدو فقال تعالى :" **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ** " [1] .

وقد جعل الدين الإسلامي رسالته اليومية هي السلام فحث على افشائه ، ودعا إليه ، وجعله عنوان للحياة السعيدة فقال تعالى :**"تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا** " [2] ، وقال تعالى : **"لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ** "[3] .

- وكذلك يرفض الإسلام الحرب التي تقوم من أجل الطائفية والعصبية والعرقية إذ يقول صلى الله عليه وسلم : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ** "[4] ، وكذلك يرفض الحرب من أجل المكاسب المادية والاقتصادية فيقول:" **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ** "[5] ، كما يرفض الإسلام الحرب من أجل الشهرة أو الجاه أو المكانة ، إذ كان رد النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عندما سئل عن الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» **"** [6] .

ويرفض الإسلام كذلك الحروب والقتال من أجل الأهداف الدنيوية كالمال والثروة وغير ذلك، إذ يمنع الإسلام أن تقوم الحروب التي تهدف إلى جلب المغانم الدنيوية كالأموال وغيرها ، كما يرفض أن تكون هناك غايات معنوية كالجاه والشهرة ، وجعل ذلك يفسد الجهاد ويضيع أجره إن دخل في غاية الجهاد أو نية المقاتلين [7] .

وعلى النقيض تماماً فإن أوروبا بإعلانها للحروب الصليبية هدفت إلى الكسب والطمع ، حيث ظهر ذلك في خطاب البابا أوربان الثاني عندما قال : إن الحرب على المسلمين ليست لاكتساب مدينة واحدة فحسب ، وإنما لأقاليم كاملة ، بخزائنها التي لا تحصى ، ودعا إلى تخليص الأراضي المقدسة التي تفيض لبناً وعسلاً من أيدي المختلسين [8] .

([1]) [الأنفال:61].
([2]) [الأحزاب:44].
([3]) [الأنعام:127].
([4]) مسند الأمام الأحمد(ج38/474).
([5]) [الأنفال: 67].
([6]) صحيح البخاري(ج4/20).
([7]) القرضاوي ، فقه الجهاد (ج1/462).
([8]) المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (ص34).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونستطيع أن نرى الفرق الشاسع بين عقيدة المسلمين وسماحتهم في نشر دينهم بالهدايه، وبين النصارى وسبلهم باستخدام القتل والبطش والسلب بفرض دينهم على الناس، وكذلك نستطيع أن نميز من الغاية من القتال عند المسلمين، فهي غاية سامية تهدف إلى نشر دين الإسلام، بينما هي بعيدة كل البعد عن ذلك عند النصارى، والهادفة إلى الاستيلاء على المدن والثروات والخيرات فقط .

مغزى مشروعية القتال :

شرع الجهاد في الإسلام من أجل أهداف سامية ، ومقاصد نبيلة ، كلها خير وبركة وعدل ورحمة ، إذ لم يكن الهدف منها إشعال الحروب من أجل أسباب تافهة ، ولم تكن من أجل العصبيات الجاهلية ، ولكنه طريق الأمن والحرية والسلام الذي ينتشر في ربوع المعمورة ، من خلاله وقف أهل الشر عند حدهم ، والقضاء على الفتن ، ونصرة المظلومين أياً كانوا ، لأن الإسلام لا يشتهي القتال ، ولا يسعى إليه وإنما يدعو للسلم ، ومع ذلك فإنه يواجه الواقع لأنه منهج حياة يواجه البشرية كلها ، ويدعوها لتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى ، وهناك من يقبل ويرضى ، وهناك من يعترض ويقابل الإسلام بالعداء والتسلط ، فكان لا بد للمسلمين أن يتصدوا لتلك القوى المناوئة لمنهج الله سبحانه وتعالى ، والمحاربة له ، فكان لا بد من القتال حتى يدخل أولئك في دين الله أو يأمن المسلمون وتأمن الدعوة ويكون الدين كله لله [1] .

والقتال في الإسلام لا يتم إلا عندما تغلق المنافذ والبدائل ، إذ إنه يكون آخر الخيارات التي يلجأ إليها المسلمون ، فهو جسرٌ يعبر عليه المسلمون من أجل نشر العدل والسلام ، ويحمل السلاح من أجل أهداف نبيلة ، ومقاصد سامية لأن الحروب التي يقومون بها هي حروب عادلة بعيدة عن التسلط والقهر والاستبداد والظلم ، ونتائجها نشر العدل والمساواة وتأمين حرية الناس ، وليس الرعب والهلاك والدمار والإفساد في الأرض ، وضرب الناس بعضهم ببعض ، وإشعال نار الفتنة بينهم ليتطاحنوا [2] .

وقد تعرضت الدعوة الإسلامية منذ أن صدح بها النبي صلى الله عليه وسلم في بطحاء مكة ، للإيذاء الشديد ، وتهديد قريش لأصحابها ، وتعذيبهم والتنكيل بهم ، إلى أن اضطروا لترك الأهل والمال والوطن لينتقلوا إلى المدينة المنورة إلى أن مكن الله لهم ، فأمرهم أن يدفعوا الظلم عن أنفسهم ويمهدوا للدين الإسلامي للوصول إلى الناس كافة [3] .

كما يعد الجهاد وسيلة لنشر الدين الإسلامي ، إذ إنه لم يأذن بالحرب إلا لدفع العدوان ، وحماية الدعوة ، ومنعاً للاضطهاد ، وضماناً لحرية الدين [4] .

ويرى الإمام ابن تيمية بأن أصل القتال المشروع هو الجهاد بهدف أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن منع ذلك قوتل باتفاق المسلمين [5] .

بينما يرى الزحيلي ، بأن الجهاد غير هجومي ، لأن الهجوم يعني الظلم [6] ، مشيراً إلى أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم في كل حروبه كان دفاعياً [7] .

([1]) الجعوان ، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته (ص91).
([2]) المصدر السابق (ص92).
([3]) الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام (ص148).
([4]) سابق ، فقه السنة (ج 617/2).
([5]) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص18).
([6]) العلاقات الدولية (ص35).
([7]) آثار الحرب في الفقه الإسلامي (ص74).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يصوره آخرون بأنه جهاد بالدفاع ، لقتال من يقاتل المسلمين ، أو يمنع نشر الدين الإسلامي ، أو يلقي الفتنة بين المسلمين ، وهذا هو حقيقة جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وأصحابه [1] .

وقد وضع الإسلام أسساً ومعايير للمسلمين ليسيروا عليها في جهادهم ، فقال تعالى :" لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ " [2] .

- كما يستدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»[3].

أسباب الجهاد لدى المسلمين ودوافعه :

1 - دفع الظلم عن المستضعفين ورد العدوان :

أباح الإسلام الجهاد والقتال من أجل دفع الظلم عن المستضعفين والمظلومين الذين يتعرضون للأذى فقال : " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "[4] .

وقد جعل الإسلام الدفاع عن الدين والنفس والأهل والمال أمر مشروع فقال تعالى : "وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ"[5] ، و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». " [6] .

والدين الإسلامي دين عزة وقوة ومنعة ، لا يرضى لأصحابه إلا أن يكونوا سادة الدنيا ، وقادة العالم ، فهو لم يجبلهم على الذل والاستسلام أو الخنوع ، وإنما فطرهم على أن يؤدبوا

---

(1) القاسمي ، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام (ص147).
(2) [الممتحنة:8 - 9].
(3) صحيح مسلم(ج4/1362).
(4) [الحج:39].
(5) [البقرة:190].
(6) صحيح البخاري(ج3/130).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعتدين ويردوا العدوان[1] ، فقال تعالى : " فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ " [2] .

ودعوة الإسلام للمسلمين لدفع العدوان وصد الأذى لا يهدف من خلاله الإيذاء ، أو الرغبة في القتل والبطش وسفك الدماء والعبث بممتلكات الآمنين ، وإنما نصرة المسلمين ورفع الظلم عنهم وإيقاف المعتدين عند حدهم ، حتى لا يتم التخريب وهدم بيوت العبادة ، وإيذاء الناس وترويعهم ، ونهب الأموال ، إذ إن رفع الظلم لا يتم إلا من خلال القوة ، فكان لا بد للمسلمين من أن يجاهدوا لينتصروا بعقيدتهم أولاً ، ثم ليمنعوا الظلم والجور من أجل إحقاق الحق وإزالة الباطل ودحر الظالمين الأمر الذي يؤدي إلى تعزيز شأنهم وتقوية سلطانهم ، وحصولهم على الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى [3] .

ويؤكد على ذلك قول الله سبحانه وتعالى : " وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " [4] .

2 - نصرة المظلومين والمستضعفين في بلاد المسلمين :

أمر الإسلام المسلمين بنصرة إخوانهم في الدين الذين يتعرضون للعدوان من قبل أعداء الله في أي بقعة كانت من أرض المسلمين فقال تعالى :" وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا" [5] .

وتظهر الآية السابقة حث الدين الإسلامي على نصرة المظلومين والمستضعفين من النساء والولدان والعجزة ، وحمايتهم ، إذ لا يرضى ويقبل الإسلام بأن يعاني أولئك العذاب والهوان بسبب ضعفهم وعجزهم وقلة حيلتهم ، وإنما يجب على المسلمين أن يهبوا لنصرتهم والدفاع عنهم ، ورفع الظلم .

وعليه فإن نصرة المستضعفين وإغاثة المظلومين هي إحدى أهم واجبات الدولة المسلمة التي تحقق العدل وترفع الظلم ، حتى ولو كان أولئك من غير المسلمين ، لأن رفع الظلم والقهر

---

(1) الجعوان ، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته (ص96).
(2) [البقرة : 194].
(3) الجعوان ، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته (ص97).
(4) [الحج : 40].
(5) [النساء: 75].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن جميع الناس ما لم يكونوا محاربين للمسلمين مطلوب من المسلمين إذا كانوا قادرين على ذلك [1] .

ويدلل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى : "وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ" [2] .

ويرى الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بأنه من الواجب على المسلمين نصرة إخوانهم إن استنصروهم على عدو لهم ، لأنهم إخوانهم في الدين [3] .

ويرى الزحيلي أن إحقاق الحق وإزهاق الباطل هو دفاع عن الإنسانية في حال اضطهاد أي دولة للأقليات من رعاياها [4] .

ونرى مما سبق أن نصرة المظلومين ومساعدة المضطهدين الذين يتعرضون للبطش والظلم والعدوان هو واجب شرعي ، وقتال الأعداء في هذا الموقف هو قتال في سبيل الله شرعه المولى سبحانه وتعالى .

ويظهر ذلك أيضاً من خلال نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لتلك المرأة التي تعرضت للإهانة في السوق على يد يهود بني قينقاع عندما كشفوا سوءتها ، وصاحت بأعلى صوتها ، وحين هب النبي والمسلمون لنصرتها [5] .

كما يظهر ذلك من خلال نصرة المعتصم لتلك المرأة المسلمة التي صرخت بعد وقوع الظلم عليها في جزيرة زبطرة ، فتألم لها ، وأقسم أن ينتقم لها ، وسار بجيش كبير ، و قاتل الروم قتالاً مريراً ، وأخذ بثأر تلك المرأة المسلمة [6].

3 - نشر الدين الإسلامي وتأمين حرية الدعوة :

أجاز الإسلام الجهاد من أجل إفساح المجال أمام الدين الإسلامي ليصل لكافة الناس ، وإزالة العقبات التي تحول بين نشر الدعوة الإسلامية ، فقال تعالى : " وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ " [7] .

ويعد حمل الإسلام إلى بلدان أخرى ، وإخضاعها إلى الدين الإسلامي أحد أبرز دوافع الجهاد في الإسلام ، حتى وإن لم يصدر من تلك البلدان أي عدوان على المسلمين أو معارضة لنشر الدين الإسلامي ، لأن المراد هو أن يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فمن امتنع عن ذلك قوتل [8] .

---

(1) القرضاوي ، فقه الجهاد (ج1/242)
(2) [الأنفال : 72].
(3) تفسير القرآن العظيم (2/434).
(4) آثار الحرب في الفقه الإسلامي (ط3 / 94).
(5) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج3 / 51).
(6) الطبري، تاريخ (ج9/57).
(7) [البقرة : 193].
(8) ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص159).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر ذلك جلياً في قول الله سبحانه وتعال : "هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا " [1] .

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» [2] .

ويدلل على ذلك ما ورد في رسالة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل فارس التي دعاهم فيها إلى الإسلام ، ويطالبهم بالجزية إن أبوا ، ويتوعدهم بالقتال إن رفضوا الجزية [3] .

ولعل الغرض الأساسي من القتال لدى المسلمين هو إقامة منهج الله سبحانه وتعالى في الأرض من خلال دعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى والاحتكام إلى منهجه ، والارتضاء بالدين الإسلامي ديناً وعقيدة ومنهج حياة [4]، وهذا ما دفعهم إلى تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى والزحف إلى كل مكان يوجد به من تسول لهم أنفسهم رفع السلاح في وجه الدعوة الإسلامية وأصحابها ، أو يريق دماء المسلمين وينتهك أعراضهم ، وهذا كله في سبيل تأمين نشر الدين الإسلامي .

ويقتضي نشر الدين الإسلامي للناس أن يقوم المسلمون بعرض دعوتهم على الناس ، فإن رفضوا ذلك قاتلهم المسلمون بهدف نشر الدعوة الإسلامية وليس احتلال بلادهم أو الاستيلاء على ثرواتهم ، قال تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ " [5].

ويعتبر ذلك تكليفاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أنزل إليه من ربه ، وألا يخشى أحداً في ذات الله [6] .

وبناءً على ذلك يتوجب العمل على نشر الدين الإسلامي والعمل على إزالة العقبات التي تقف في طريق ذلك ، ولو اقتضى ذلك اللجوء للقوة [7] .

4 - فض الخلافات بين الناس :

تظهر أهمية الجهاد في الإسلام في منع القتال بين فئتين ، أو إذا اعتداء فئة على أخرى ، وذلك بهدف تحقيق التعايش السلمي بين الناس وهذا ما يؤكده قول الله تعالى :" وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي

---

(1) [الفتح :28].
(2) صحيح البخاري(ج14/1).
(3) الطبراني ، المعجم الكبير (ج105/4).
(4) الجعوان ، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته (ص94).
(5) [المائدة:67].
(6) الطبري ، جامع البيان (ج646/4).
(7) شلتوت ، تفسير القرآن (ص540).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ " [1] .

وقد أوجب الإسلام على المسلمين إن تقاتل فريقان من المسلمين أن يصلحوا بينهم ويحكموا شرع الله سبحانه وتعالى ، فإن اعتدت طائفة على أخرى بعد ذلك ولم تقبل الصلح ، وجب على المسلمين قتال تلك الطائفة حتى تعود إلى حكم الله [2] .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم برفع الظلم عن المظلومين ، كما ورد في الحديث الذي يرويه أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»**[3] .

5 - تأديب المرتدين والممتنعين عن شعائر الإسلام :

أجاز الإسلام قتال من يترك شعائر الدين الإسلامي ، لأن ذلك دليل على الاستخفاف به.

ويدلل على ذلك الإمام ابن تيمية عندما أباح قتال أي طائفة تنتسب إلى الإسلام ، وتمتنع عن أداء بعض شعائره ، ويرى جهادها باتفاق المسلمين ، مستدلاً بقتال أبي بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة [4] .

ويرى القرضاوي وجوب قتال هذه الفئة لأنها تعد انقلاباً على المجتمع ، وتشكل خطراً عليه ، بل إنها تعد تغييراً للولاء والانتماء ، إذ هو أشبه بالخيانة العظمى ، فلا يجوز أن يغير المسلم ولاءه من الإسلام إلى أمة أخرى [5] .

6 - تأديب البغاة والعابثين وناكثي العهود:

أمر الإسلام بقتال ناكثي المعاهدات والمواثيق الذين ينقضون العهود دون سبب ، وتأديبهم على أفعالهم ، فقال تعال :" إِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ " [6] .

ومما يدلل كذلك على مشروعية قتال أولئك قول الله سبحانه وتعالى :" إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ

([1]) [الحجرات: 9].
([2]) الشوكاني ، فتح القدير (ج5/89).
([3]) صحيح البخاري(ج3/128).
([4]) ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص159).
([5]) فقه الجهاد (1/180 - 181).
([6]) [التوبة : 12].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [1] .

كما أمر الإسلام بتأديب المخالفين والعابثين ، وقتال أولئك الذين يعبثون في أمن البلاد ويسعون لإثارة الفوضى ، وقد أقدم أبو بكر الصديق على قتال المرتدين الذين أنكروا ركن الزكاة ، وعمل على محاربتهم حتى كتب له إخماد الفتنة التي أرادوها [2] .

وختاماً يرى الباحث، أن الدين الإسلامي بهذه الأسباب والدوافع التي شرعها للقتال والجهاد هدف من خلالها إلى حماية النفس البشرية، وتأمينها، والعمل على راحتها، وهو أمر تميز به الدين الإسلامي عن غيره من الديانات الأخرى .

(1) [المائدة:33].
(2) الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية(ص214).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

أبرز الفتوحات الإسلامية

انطلقت الدعوة الإسلامية من الجزيرة العربية تحمل رسالة الخير والهداية للبشر جميعاً، واستطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يضع النواة الأولى للدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد صراع مرير مع أهل الباطل تعرض من خلاله المسلمون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد والقهر والأذى، إلا أنهم استطاعوا بفضل الله أن يشقوا طريقهم حتى إقامة الدولة الإسلامية في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم .

ومع وضع اللبنة الأولى للدولة الإسلامية، واصل المسلمون نشر الرسالة التي كلف بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشر بها أصحابه من بعده، ألا وهي تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى .

وبدأ الإسلام ينتشر بالبعثات والرسل الذين يوفدهم النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى عم الإسلام أجزاء من الجزيرة العربية .

ومع خلافة أبي بكر الصديق، وتمكن المسلمين من القضاء على المرتدين عن الإسلام ومانعي الزكاة، كان لا بد من مواصلة المشوار الذي بدأه النبي صلى الله عليه وسلم وبشر به ، وهو انتشار الإسلام في كامل ربوع الجزيرة العربية وخارجها، ووصول المسلمين لقصور كسرى وقيصر والقسطنطينية ، ليبلغ ملك أمته ما زوى الله سبحانه وتعالى له من هذه الأرض .

والمتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يتبين له أنه كان يسير بالهدي والوحي حتى يصل الإسلام إلى ربوع العالم بأسره، إذ بعد انطلاق دعوته من مكة، وإقامته للدولة في المدينة، وإرساله للبعوث لليمن والبحرين وعمان وغيرهم من القبائل العربية يدعوهم إلى الإسلام، كانت عينه على بلاد الشام من خلال إرساله للمسلمين في غزوة مؤتة، ثم تجهيزه لجيش أسامة بن زيد [1]، رضي الله عنه ليتوجه إلى مشارف الشام، ووصيته للمسلمين بإنفاذ جيش أسامة قبيل وفاته .

ومن خلال ما سبق يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير بخطى واثقة، ورؤية مستقبلية على بصيرة لينشر الدعوة الإسلامية على أكبر بقعة من الأرض .

وتمكن المسلمون بعد وفاته بقيادة الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم الخلفاء الأمويون من نشر الدين الإسلامي عبر الفتوحات الإسلامية التي خاضتها جيوش المسلمين، وتم من خلالها نشر الدين الإسلامي على مساحات واسعة من الأرض، أقيمت عليها شعائر الإسلام وصدح فيها بالأذان، وتم اكتساح الطريق أمام ملايين البشر ليدخلوا في الدين الإسلامي الذي أمرهم الله سبحانه وتعالى بالدخول فيه .

---

(1) ابن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومولاه، وابن مولامزيد، استعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر وكبار الصحابة، فلم يسر حتى توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فبادر الصديق ببعثهم؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج/107).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي

- أولاً : الفتوحات على جبهة بلاد العراق وفارس

عزم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه على البدء بتحرير العراق رغم المخاطر والصعوبات التي كانت قد تحدق بالجيش الإسلامي، ولا سيما مواجهة إحدى أكبر الإمبراطوريات في العالم وهي الإمبراطورية الساسانية [1] .

ويتبين لنا أن الخليفة أبو بكر الصديق وكبار الصحابة قد اتخذوا هذا القرار انطلاقاً من الرسالة النبوية التي أسس لها النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كانت أنظاره تتجه إلى نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية .

وقد كلف أبو بكر الصديق المثنى بن حارثة [2]، بالبدء بتحرير العراق بعد اقتناعهم بذلك الأمر، ولا سيما بعد انتهائهم من حروب الردة، ووجود الفرصة المناسبة لذلك أفضل من أي وقت مضى [3] .

ومع بداية خلافة عمر بن الخطاب تم تكليف أبو عبيد بن مسعود [4]، الثقفي قيادة جيوش المسلمين في بلاد العراق، وفتح المسلمون النمارق [5]، وهزموا الفرس هزيمة مدوية، أجبرتهم للفرار صوب المدائن [6] .

ومع نشوة الانتصار تقدم أبو عبيد صوب الجسر على مشارف نهر الفرات، حيث عبر بجيشه النهر لملاقاة الفرس، ونتيجة الخطر الفادح الذي وقع به بعبوره للنهر استشهد ومعه عدد من قادة الجيش، إلى أن تمكن المثنى من إنقاذ من تبقى من الجيش [7].

وحزن الخليفة عمر بن الخطاب حزناً شديداً على ما أصاب المسلمين، وكلف المثنى بقيادة جيوش المسلمين وعمل على إمداده بالجيوش [8]، حتى تمكن المثنى من هزيمة الفرس في موقعة البويب[9] [10].

- فتح المسلمون للعراق :

نتيجة الهزيمة القاسية التي تلقاها الفرس في معركة البويب بدأوا باستنفار قوتهم وحشد طاقاتهم [11]، بينما استنفر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولاته أيضاً وأرسل إليهم أن يوجهوا إليه الجيوش والسلاح في العام الثالث عشر للهجرة، وكلف سعد بن أبي

([1]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص8).

([2]) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: من كبار القادة. أسلم سنة9 وغزا بلاد الفرس في أيام أبي بكر، ولما ولي عمر أمدّه بجيش عليه أبو عبيد بن مسعود الثقفي فكانت وقعة الجسر وقتل أبو عبيد، وجرح المثنى، فأمدّه عمر بجيش يقوده سعد ابن أبي وقاص. وشهد المثنى عدة وقائع بعد شفائه، فانتقضت عليه جراحته، فمات قبل وصول سعد إليه ينظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء (420/3)؛الزركلي، الأعلام (ج276/5).

([3]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص12).

([4]) أبو عبيد بن مسعود الثقفي: قائد، من الشجعان، أمّره عمر بن الخطاب على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس، وهو أول جيش سيره عمر،أستشهد في وقعة الجسر؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (424/2)؛ الزركلي، الأعلام (ج190/4).

([5]) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق،ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج304/5).

([6]) أنظر: ابن كثير ،البداية والنهاية (ج7 /27).

([7]) انظر: ابن الأثير، الكامل (ج2/ 438 - 439).

([8]) أنظر: الطبري ، تاريخ (ج3 / 461).

([9]) البويب: نهر كان بالعراق موضع الكوفة،وقعت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج512/1).

([10]) أنظر: ابن الأثير ،الكامل (ج444/2).

([11]) أنظر: الطبري ،تاريخ (ج3 / 477).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقاص[1]، بقيادة جيوش المسلمين في العراق، حيث التقى الجيشان في معركة القادسية [2]، وانتصر المسلمون بها بعد مواجهة حامية ومعارك ضارية استشهد فيها ثمانية آلاف وخمسمئة من المسلمين ،بينما قتل خمسون ألف من الفرس، و أسفرت هذه المواجهة عن هزيمة مدوية للفرس وانهيار كامل لهم ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة [3] .

وبعد انتصار المسلمين في معركة القادسية توجهوا إلى منطقة بهرسير [4]، إحدى مدن كسرى ، ولاح لهم إيوان كسرى فكبروا [5]، وفتح السلمون المدينة بعد أن هرب منها أهلها في شهر صفر من العام السادس عشر للهجرة [6] .

وبعد سيطرة المسلمين على مدينة بهرسير أمر سعد بن أبي وقاص الجيش بالعبور إلى الشاطئ الآخر لنهر دجلة بقوله : "نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " [7]، إذ دخل المسلمون المدائن [8]، فاتحين ولم يجدوا أحداً بعد أن فر منها أهلها ، وصلى المسلمون صلاة الفتح بها في صفر من العام السادس عشر للهجرة [9] .

ونتيجة لهزائم الفرس المتتالية على يد المسلمين ،قرروا أن يجمعوا شملهم ويثأروا من المسلمين [10]، فكانت معركة نهاوند [11]، التي التقى فيها مئة وخمسون ألفاً من الفرس مع ثلاثين ألف من المسلمين في العام الواحد والعشرين للهجرة [12]، وتمكن المسلون بقيادة النعمان بن المقرن[13]، الذي استشهد في هذه المعركة من هزيمة الفرس هزيمة مدوية بعد مقاومة شرسة من أهلها ودخل المسلمون نهاوند [14]، وأطلق على هذه المعركة معركة فتح الفتوح لأن الفرس لم يكن لهم بعدها أي اجتماع وانتهت شوكتهم [15] .

وفي عام 24هـ / 644م تمكن المسلمون من فتح همذان [16]، بقيادة جرير بن عبد الله البجلي[1] [2]، كما تمكن المسلمون من فتح مدينة نيسابور [3]، وقراها في عام 31هـ /651م

([1]) مالك بن أهيب عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج66/3).

([2]) القادسية: مكان بالعراق ألتقى فيه المسلمون والفرس في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في سنة16 من الهجرة، وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج291/4).

([3]) أنظر: ابن كثير ، البداية والنهاية (ج44/7)؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج568/3) .

([4]) بهرسير: مكان بالعراق نزله سعد بن أبي وقاص لما فرغ من القادسية ونزل بها و ففتحها وأقام عليها تسعة أشهر، وقيل ثمانية، حتى أكلوا الرّطب مرّتين، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة؛ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج515/1).

([5]) أنظر: ابن الأثير ،الكامل في التاريخ (ج354/2).

([6]) الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (ص139).

([7]) أنظر، الطبري، تاريخ (ج10/3)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج65/7).

([8]) المدائن: مدينة بالعراق خطها الفرس، وأصبحت معقلاً لهم، دخلها سعد بن أبي وقاص والمسلمون بعد معركة حاسمة عام16هـ ؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج74/5).

([9]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج66/4).

([10]) المصدر السابق (ج122/4).

([11]) نهاوند: معركة وقعت سنة 21 أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأمير المسلمين النعمان بن مقرّن المزنيّ؛ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج313/5).

([12]) الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (ص152).

([13]) النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن حبشية ابن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة ويكنى أبا عمرو، نزل في الكوفة، واستعمله عمر بن الخطاب على كسكر ثم عزله فوجهه على الناس يوم نهاوند؛ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج96/6).

([14]) أنظر: البلاذري ،فتوح البلدان (ج1/ 303)؛ الطبري، تاريخ (ج132/4).

([15]) أنظر : ابن الأثير، الكامل (ج7/3).

([16]) همذان: فتحت في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة 24 من الهجرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج410/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[4] ، بينما تمكن سعيد بن العاص من استعادة طبرستان [5]، و انتصر المسلون كذلك في طخارستان[6]، وتم فتحها [7]، وكذلك فتحوا جزيرة رودس[8] [9] .

وفي خلافة عثمان بن عفان تمكن المسلمون من غزو أذربيجان [10]، بقيادة الوليد بن عقبة[11]، إذ ألزم أهلها بدفع الجزية [12]، كما تمكن الجيش الإسلامي من فتح الكثير من حصون الروم ، وأعاد للمسلمين هيبتهم [13] .

وفي عام 35هـ/656م تمكن حبيب بن مسلمة الأنصاري [14]، من فتح أرمينية بعد عشر سنوات من محاولة فتحها، وصالح أهلها بعد أن ألزمهم دفع الجزية [15] .

- ثانياً : الفتوحات على جبهة بلاد الشام

مع تولي أبو بكر الصديق الخلافة سار على نهج النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كانت عينه على بلاد الشام، و قام بإرسال بعثة أسامة بن زيد تنفيذاً لوصية النبي صلى الله عليه وسلم رغم حاجة المسلمين للجيش الإسلامي لمواجهة المرتدين في تلك الفترة [16].

ويمكن القول بأن هناك عدة عوامل دفعت الخليفة أبو بكر الصديق لاتخاذ قراره ببدء تحرير بلاد الشام هي :

- إخضاع أبو بكر الصديق للمرتدين، مما دفعه إلى استغلال هذا الحال لبدء الفتوحات الإسلامية.
- نشر الدعوة الإسلامية بين الناس، وإنفاذ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي مهد لها قبل وفاته .
- تحسين أوضاع المسلمين المعيشية من خلال الانطلاق إلى خارج الجزيرة العربية، إذ كانت الجزيرة العربية شحيحة في مواردها الاقتصادية [17] .
- ثقة المسلمين بأنفسهم، ولا سيما بعد سيطرتهم الكاملة على المرتدين، وإعادتهم إلى الإسلام .

([1]) جرير بن عبد الله البجلي: أسلم في السنة التي قبض فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - ووجهه رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى ذي الخلصة فهدمه ونزل الكوفة بعد ذلك وابتنى بها دارا في بجيلة ينظر: ابن سعد، الطبقات(ج99/6).

([2]) ابن خياط ، تاريخ (ج131/1).

([3]) نيسابور: فتحها عبد الله بن عامر عام 31هـ في خلافة عثمان بن عفان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان(ج331/5).

([4]) المعاضيدي، عثمان بن عفان (ص119).

([5]) قدامة، الخراج (ص377).

([6]) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج23/4).

([7]) أنظر: ابن الأثير، الكامل(ج126/3).

([8]) جزيرة رودس: هي جزيرة في بلاد الروم غزاها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان؛ ينظر:الحموي، معجم البلدان (ج78/3).

([9]) المعاضيدي، عثمان بن عفان (ص142).

([10]) أذربيجان: فتحها المغيرة بن شعبة عام22هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وارتدت، ثم أعيد افتتاحها مرة أخرى في خلافة عثمان بن عفان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج128/1).

([11]) ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير؛ أبو وهب الأموي؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج427/4).

([12]) أنظر: البلاذري ،فتوح البلدان (ج1/ 324).

([13]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج248/4).

([14]) حبيب بن مسلمة بن مالك، أبو عبد الرحمن "أبو مسلمة" القرشي الفهري؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج191/17) .

([15]) البلاذري، فتوح البلدان (ج204/1)؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون (ص125).

([16]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص9).

([17]) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (ص45).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان اهتمام الخليفة أبو بكر الصديق بتحرير الشام مقدماً على تحرير العراق ، إذ إنه أنفذ بعثة أسامة بن زيد، غير أن تطور الأحداث في العراق هي التي دفعت أبا بكر الصديق لتأجيل البدء بتحرير الشام [1] .

وجهز أبو بكر الصديق أربعة جيوش للبدء بتحرير بلاد الشام بقيادة كلاً: من عمرو بن العاص [2]، ويزيد بن أبي سفيان [3]، وشرحبيل بن حسنة([4])، وأبو عبيدة عامر بن الجراح [5][6] .

ونتيجة التكافؤ في قادة الجيوش الإسلامية الأربعة ، أرسل الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد لقيادة جيش المسلمين في بلاد الشام قائلاً: "والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد" [7]

وتمكن خالد بن الوليد من توحيد الجيش الإسلامي في معركة اليرموك [8] [9]، وواجه الروم في معركة حاسمة انتصر في نهايتها واستشهد فيها ثلاثة آلاف بينهم ألف من الصحابة ، منهم مئة من البدريين [10] .

- فتح بلاد الشام :

بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك وبداية خلافة عمر بن الخطاب، تم تكليف أبو عبيدة عامر بن الجراح قائداً لجيش المسلمين في بلاد الشام، و أمره بالتوجه صوب دمشق[11]، لفتحها، بينما أمر عمرو بن العاص بالتوجه إلى فلسطين [12] .

وتمكن المسلمون من حصار دمشق إلى أن تم اقتحامها وفتحها بقيادة خالد بن الوليد[13]،وفر هرقل إلى القسطنطينية [14]، بعد تلك الهزيمة وهو يودع سورية [15]، بينما اتجهت أنظار المسلمين بقيادة أبو عبيدة إلى مدينة فحل، وتمكن المسلمون من هزيمة الروم شر هزيمة في تلك الموقعة [16] .

([1]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص20).

([2]) عمرو بن العاص بن وائل، أبو عبد الله "أبو محمد" القرشي الصحابي؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج554/17) .

([3]) ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير وأمه هي زينب بنت نوفل الكنانية وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة، كان من العقلاء الألباء، والشجعان المذكورين أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(199/3).

([4]) شرحبيل بن حسنة الأزدي حليف بني زهرة ابن كلاب وهو أحد أمراء الأجناد على الجيوش لأبي بكر إلى الشام ينظر: ابن سعد، الطبقات (ج356/7).

([5]) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي الفهري المكي أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، وسماه أمين الأمة؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج5/3).

([6]) أنظر: ابن الأثير، الكامل (ج2 / 406).

([7]) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج5/7)؛ ابن الأثير، الكامل (ج407/2).

([8]) اليرموك: موضع في بلاد الشام، إلتقى فيه الروم والمسلمون، وهزم فيه الروم؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج1393/4).

([9]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج95/3 – 96).

([10]) انظر: ابن الأثير، الكامل(ج2 /410).

([11]) دمشق: البلدة المشهورة بقصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب بها؛ ينظر: الحموي، فتوح البلدان (ج463/2).

([12]) أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج437/3)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج230/7).

([13]) أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، (ج128/1)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج30/7).

([14]) قسطنطينية: عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه وكانت تعد دار ملك الروم؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج347/4).

([15]) انظر: ابن الأثير، الكامل (ج2 /494).

([16]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج3/ 443)؛ ابن الأثير، الكامل (ج429/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد فتح دمشق اتجهت أنظار المسلمين إلى مدينتي بيسان [1]، وطبريا اللتان استسلمتا للمسلمين، وتم فتح الأردن صلحاً بقيادة شرحبيل بن حسنة [2] .

وتمكن معاوية بن سفيان من فتح مدينة قيسارية [3]،التي تعد مقدمة لفتح فلسطين، وبسيطرة المسلمين عليها يتوقف المدد إلى الروم على أرض فلسطين [4] .

ومع توجه عمرو بن العاص إلى فلسطين التقى المسلمون في معركة أجنادين [5]، في مواجهة مع الروم ، وانهزم الروم في تلك المعركة شر هزيمة [6]، كما تمكن عمرو بن العاص بعد هذه المعركة من فتح مدن أجزاء من فلسطين [7]، وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس لمدة أشهر، إلى أن طلب أهلها الصلح من المسلمين [8]، وأرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستقدمه لفتح بيت المقدس، حيث قدم عمر بن الخطاب إلى القدس وصالح أهل إيلياء، وأعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم على أن يعطوا الجزية للمسلمين، وتم ذلك في العام الخامس عشر للهجرة [9] .

- فتح مصر :

بعد سيطرة المسلمين بشكل كامل على بلاد الشام وفتح بيت المقدس أقنع عمرو بن العاص الخليفة بضرورة فتح مصر [10]، و توجه بجيش قوامه ثلاثة آلاف وخمسمئة مقاتل إلى مصر [11]، وأمده الخليفة بعد ذلك بجيش قوامه أثني عشر ألف مقاتل بقيادة الزبير بن العوام [12][13] .

وبعد وصول عمرو بن العاص إلى العريش [14]، تمكن من السيطرة على أجزاء من مصر، بعد معارك ضارية استمرت شهراً واستطاع المسلمون التقدم صوب مدينة بلبيس وفتحها بعد معركة ضارية بين الجانبين، كما تمكن المسلمون بعد هذه المعركة من الزحف إلى حصن أم دنين واستولوا على الحصن بالكامل [15] .

وتمكن المسلمون من السيطرة على قصر بابليون بعد خطة الزبير بن العوام بالصعود إلى القصر، واضطر المقوقس بعد هذه الهزيمة الموافقة على الصلح مع المسلمين وقام بدفع الجزية لهم [16] ، رغم أن ملك الروم هرقل لم يوافق على هذا الصلح ودعا المصريين

([1]) بيسان: مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج1/527).
([2]) انظر: الطبري، تاريخ (ج4/442 – 444)؛ ابن الأثير، الكامل (ج2 /431) .
([3]) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين، واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان(421/4).
([4]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج3/ 604).
([5]) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، وقعت بها معركة بن المسلمين والروم، وانتصر بها المسلمون؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (103/1).
([6]) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج7/ 54).
([7]) انظر: ابن الأثير، الكامل (ج2 /459)؛ البلاذري، فتوح البلدان (ج1/144).
([8]) الواقدي، فتوح الشام(ج1/228).
([9]) أنظر: الطبري ،تاريخ (ج3/ 607 – 609) .
([10]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها (ج1/ 81).
([11]) البلاذري، فتوح البلدان (ج1/214) .
([12]) الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وابن عمته صفية بنت عد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أهل الشورى وأول من سل سيفه في سبيل الله؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/31)
([13]) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج7/ 97).
([14]) العريش: مدينة أول مصر من ناحية الشام على ساحل البحر المتوسط في وسط الرمل؛ ينظر: البكري، المسالك (ج1/517).
([15]) هيكل، الفاروق عمر (ج2/ 93)؛ الوكيل، جولة تاريخية في سيرة الخلفاء الراشدين (ص216).
([16]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها (ج1/ 94)،(ج1/103).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقتال المسلمين ، إلا أن المقوقس [1]، رفض التراجع عن الصلح الذي وقعه مع عمرو بن العاص[2]، وتم فتح مصر في ربيع الأول من العام السادس عشر للهجرة [3] .

وبعد فتح مصر واصل عمرو بن العاص فتح ما تبقى من مناطق بها، إذ فتح الفيوم[4]،بعد فتح حصن بابليون بعام واحد [5]، كما تمكن من الزحف إلى الإسكندرية [6]، بعد استشارة الخليفة ، وانتصر على الروم في معركة نقيوس [7]، في طريقه إلى الإسكندرية ، واستولى المسلمون على هذه المدينة فيما فر الروم إلى الإسكندرية [8] .

وتمكن عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية عام 21هـ / 641 م ، بعد حصار لها دام عدة أشهر، وبعد جهد كبير من قبل المسلمين إذ بلغ عدد المقاتلين المتحصنين بها خمسين ألف مقاتل [9] .

وتحررت مصر بعد سبعمئة عام من الاحتلال الروماني لها، وأصبحت جزءاً من العالم الإسلامي [10] .

وأعطى عمرو بن العاص صلحاً لأهل مصر بقيادة المقوقس يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، على أن يعطوا الجزية للمسلمين [11] .

- **فتح أفريقيا**

مع بداية خلافة عثمان بن عفان تم تكليف عبد الله بن سعد بن أبي السرح [12]، للتوجه صوب أفريقيا لفتحها [13] ، وتمكن المسلمون من الوصول إلى سبيطلة [14]، وهزم الروم هزيمة مدوية في تلك المدينة [15] .

وتمكن المسلمون في عهد عثمان بن عفان من مواجهة الروم في جزيرة قبرص، وتم فتح الجزيرة صلحاً بعد أن وافق أهلها على دفع الجزية، وموافقتهم على ألا يساعدوا البيزنطيين على المسلمين في الشام[16]، ويعد هذا الفتح أول معركة بحرية يقودها المسلمون بعد موافقة الخليفة عثمان بن عفان [17]، إذ تم ذلك في عام 27 هـ / 647م [1] .

([1]) المقوقس بن قرقب اليوناني: سلطان هرقل بمصر؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (107/1)؛الحموي، معجم البلدان(ج262/4).
([2]) المقريزي (ج293/1).
([3]) أنظر: الطبري، تاريخ (ج111/4)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج99/7).
([4]) مدينة بمصر: أرضها منخفضة، كان لا يوجد بها ماء، فقام يوسف الصديق عليه السلام، لما ولي مصر بحفر نهر وساقه من النيل إلى الفيوم؛ ينظر: القزويني، آثار البلاد (ج238/1)؛ الحموي، معجم البلدان (ج286/4).
([5]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ،(ج228/1).
([6]) الإسكندرية: مدينة بناها الإسكندر المقدوني على البحر المتوسط، وكان بها ملكه ومستقره، وبها الجوامع والمساجد والفنادق والأسواق، إليها يهوى التجار براً وبحراً؛ ينظر: البكري، المسالك(ج628/2-635)؛ العمري، مسالك الأبصال (ج490/3).
([7]) قرية بين الفسطاط والإسكندرية كانت بها وقعة لعمرو بن العاص والروم لما نقضوا؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج303/5).
([8]) البلاذري، فتوح البلدان (ج221/1)؛ هيكل ، الفاروق عمر (ج119/2).
([9]) المقريزي، السلوك(ص165)؛ هيكل، الفاروق عمر (ج126/2).
([10]) عبد الهادي، فتح مصر (ص41).
([11]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج396/2)؛ أنظر، ابن كثير، البداية والنهاية (ج98/7).
([12]) عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أبو يحيى القرشي الصحابي؛ بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي، وكان قد أسلم قديما وكتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – الوحي؛ ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتدا فأهدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دمه يوم الفتح فجاء عثمان بن عفان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأمن له فآمنه. وكان أخاه من الرضاعة وولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص،فنزلها وابتنى بها داراً.ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج459/17)؛ ابن سعد، الطبقات(ج344/7).
([13]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج89/3)؛ البلاذري، فتوح البلدان (ج228/1).
([14]) سبيطلة: مدينة من مدن إفريقية، حاصرها المسلمون عدة أشهر في خلافة عثمان بن عفان بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح وافتتحوها؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (187/3).
([15]) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج152/7)؛ ابن الأثير، الكامل (ج90/3) .
([16]) أنظر: ابن كثير ، البداية والنهاية (ج153/7)؛ المعاضيدي، عثمان بن عفان (ص136) .
([17]) البلاذري، فتوح البلدان(ج157/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفتح المسلمون جزيرة صقلية [2]، عام 32هـ/ 652م بعد معركة حاسمة وطويلة استمرت عدة أيام استخدم فيها المنجنيق [3] .

كما تمكن المسلمون من صد أسطول الروم في عرض البحر بقيادة عبد الله بن أبي السرح بعد أن قرر قسطنطين الثاني مهاجمة الأسطول الإسلامي واستعادة السيطرة على البحر، وتمكن المسلمون من هزيمة الروم هزيمة قاسية في معركة ذات الصواري البحرية[4] .

الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي

- أولاً : الفتوحات في الميدان الإفريقي

واصل الأمويون الفتوحات الإسلامية التي توقفت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة عام 41هـ/662م، إذ تم استئناف حركة الفتوحات الإسلامية في الميدان الإفريقي .

وتقدم عقبة بن نافع[5]، عام 42هـ/663م صوب منطقة غدامس[6]، فافتتحها ثم توجه عام 43هـ/664م صوب السودان فافتتح كوراً من أكوارها، وأخضع ليبيا للنفوذ الإسلامي[7].

كما واصل عقبة بن نافع فتوحاته في بلاد المغرب حتى وصل القيروان [8]، وأصبح ما بين برقة والقيروان خالصاً للمسلمين وتحت سيطرة الفتح الإسلامي [9]، بينما تقدم أبو المهاجر بن دينار خليفة عقبة بن نافع على بلاد أفريقيا صوب المغرب الأوسط، وأخضعها لسيطرة المسلمين [10] .

ومع بداية خلافة يزيد بن معاوية عام 60هـ/680م ، وعودة عقبة بن نافع قائداً لجيش المسلمين في بلاد أفريقيا، تمكن من اختراق المدن الأفريقية حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسي[11]، رافعاً راية الفتح الإسلامي [12] .

وفي خلافة عبد الملك بن مروان[13]، تمكن زهير بن قيس[14]، قائد الجيش الإسلامي في بلاد أفريقيا من القضاء على البربر وتحقيق الانتصارات الكبيرة في بلاد أفريقيا ، وقتل

---

(1) ابن اعثم، الفتوح (ج2/118).

(2) صقلية: جزية مليئة بالبساتين، افتتحها أسد بن الفرات عام32هـ؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (416/3).

(3) ابن اعثم (ج 142/2).

(4) ينظر الطبري، تاريخ (ج4/290)؛ ابن أعثم، الفتوح (ج2/128).

(5) عقبة بن نافع القرشي:الفهري الأمير: نائب إفريقية لمعاوية وليزيد، وهو الذي أنشأ القيروان، وأسكنها الناس وكان ذا شجاعة وحزم وديانة، شهد فتح مصر واختط بها؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (4ج/500).

(6) غدامس: وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/187).

(7) البلاذري، فتوح البلدان (ج1/222-229)؛خطاب، قادة فتح المغرب (ج1/98).

(8) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقيا بناها عقبة بن نافع عام55هـ ؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/420).

(9) اليعقوبي، تاريخ (ج1/168)؛ شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص132).

(10) خطاب، قادة فتح المغرب (ج1/141).

(11) المحيط الأطلسي: وهو البحر المحيط، يخرج منه شعبتان أحدهما في الشرق والآخر في الغرب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج1/344).

(12) ابن الأثير، الكامل (ج3 / 590)؛ شبلي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (ص121) .

(13) عبد الملك بن مروان: ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة، الفقيه، أبو الوليد الأموي. ولد: سنة ست وعشرين وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج5/140)؛ ابن سعد، الطبقات (ج5/172).

(14) زهير بن قيس البلويّ: من القادة الشجعان الفاتحين يقال إن له صحبة، شهد فتح مصر، وولاه أميرها عبد العزيز بن مروان على برقة، سنة 69 هـ فكانت له مع البربر والروم وقائع أقام في القيروان مدة، فوجه الروم من القسطنطينية مراكب إلى برقة، فعاد إليها وقاتلهم، فكثرت عليه جموعهم فثبت إلى أن قتل على أبوابها؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/52).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كسيلة قائد الروم ، وبسط نفوذه على تلك البلاد [1]، كما تمكن حسان بن النعمان [2]، من السيطرة مجدداً على أفريقيا بعد أن نقض جزء من أهلها العهود مع المسلمين ، واستطاع أن يتغلب على البربر في قرطاجنة [3]، عام 82 هـ/ 701م [4]، وواصل حسان بن النعمان سيطرته على أفريقيا بعد تمكنه من قتل الكاهنة، التي كانت تحرض من حولها على قتال المسلمين ومحاربتهم، إذ أوقعت خسائر فادحة بالجيش الإسلامي في عدة محاور، وبعد رحيل الكاهنة أصبح المسلمون أكثر تمكناً في بلاد أفريقيا [5] .

وفي عام 86هـ /705 م تولى موسى بن نصير [6]، قيادة الجيش الإسلامي في بلاد أفريقيا وسار به حتى وصل طنجة [7]،وفتحها، ثم واصل فتح بلاد المغرب الأقصى كافة [8]

- ثانياً : الفتوحات في الميدان الأوروبي

تمكن طارق بن زياد [9]، عام92 هـ /711م من عبور مضيق جبل طارق [10]، ونزل بجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل وتمركز في منطقة الجزيرة الخضراء [11]، بعد سيطرته عليها، ودارت معركة حاسمة في وادي برباط [12]، لمدة ثمانية أيام بين المسلمين والروم انتصر فيها المسلمون، وفتحت هذه المعركة أبواب الأندلس للمسلمين[13].

وفي عام 93 هـ / 712م أعاد موسى بن نصير فتح ماردة [14]، وإشبيلية[، وغيرها من مدن شبه جزيرة الأندلس، بعد قدومه بجيش ضخم بلغ قرابة ثمانية عشر ألف مقاتل قادماً من بلاد أفريقيا [15] .

وفي عام 94 هـ/ 299م تقدم موسى بن نصير إلى شمال الأندلس وافتتح مدينة سرقسطة[16]، واستكمل فتح باقي الجزيرة الأندلسية، وبذلك أتم المسلمون فتح شبه جزيرة الأندلس في غضون ثلاث سنوات والتي اعتبرت بيئة هامة لتوسع الدولة الإسلامية [17] .

([1]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص142).

([2]) حسان بن النعمان: ابن المنذر الغساني، من ملوك العرب، ولي المغرب، وكان بطلا، شجاعا، مجاهدا،وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة، توفي سنة ثمانين؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج5/73).

([3]) قرطاجنة: مدينة جميلة تشتهر بطيبها وجمالها من ضواحي أفريقيا ؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/323).

([4]) اليعقوبي، تاريخ (ج1/221-223)؛ نور، بوخالة، الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي (ج1 / 158)؛ ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (ج2/181) .

([5]) خطاب، قادة فتح المغرب (ج1/155).

([6]) موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد: قيل أن جده زيداً كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر بعضهم أن والده أسلم بعد حملة خالد بن الوليد على بلدة عين التمر سنة12 هـ، كان من التابعين رضي الله عنهم، وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله سبحانه وتعالى ولم يهزم له جيش ، وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده قوية؛ انظر: ابن بشكوال، الصلة (ج2/499)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج5/519).

([7]) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان(ج4/43).

([8]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص145).

([9]) طارق بن زياد: فاتح الأندلس. أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله، ولما تم لموسى فتح طنجة، ولّى عليها طارقا، فتح أجزاء كبيرة من الأندلس؛ أنظر: الزركلي، الأعلام (ج3/217).

([10]) مضيق جبل طارق : هو مضيق يفصل بين جزيرة جبل طارق وسبتة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/262).

([11]) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البرّ بلاد البربر سبتّة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج2/136).

([12]) وادي برباط: واد بالأندلس من أعمال شذونة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج1/368).

([13]) المقري، نفح الطيب (ج1/241 – 244).

([14]) ماردة: مدينة رائقة كثيرة الرخام عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجب، وبينها وبين قرطبة ستة أيام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج5/38).

([15]) المقري، نفح الطيب (ج1/252 - 253)؛ سالم، تاريخ المسلمون وأثرهم في الأندلس (ص68).

[16] سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج3/212).

[17] ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (ج2/ 207)؛ شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص166-167).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد سيطرة المسلمين على شبه جزيرة الأندلس اتجهت أنظارهم إلى فتح بلاد الغال ، حيث وطئت أقدام السمح بن مالك الخولاني [1]، عام 102هـ/721م تلك المنطقة، وتمكن السمح من اجتياح جنوب بلاد الغال وسيطر عليها، إلى أن استشهد في معركة حاسمة في منطقة طولوشة[2]، على مشارف باريس عام 102هـ/721م [3] .

وتمكن عنبسة بن سحيم الكلبي [4]، من مواصلة الفتح بعد استشهاد السمح [5]، حتى وصل إلى وراء البرتات عام 105هـ/724م [6]، كما وصل عنبسة بجيش المسلمين إلى نهر الرون، وفتح مدن كثيرة في تلك البلاد، إذ فتح المسلمون المناطق الفرنسية الجنوبية والشرقية ، إلى إن اصطدم بمقاومة أهل سانس، على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس ليستشهد في طريق عودته [7] .

وتمكن عبد الرحمن الغافقي [8]، بجيش قوامه سبعون ألف مسلم عام 114هـ/ 732م من اجتياح نصف فرنسا الجنوبي، ووصلت جيوش المسلمين إلى أبواب باريس، واستولى المسلمون على مدن بواتيه، وآرول، وبردال، ودوقية، وآرل، وتقدموا صوب تور [9] .

- **معركة بلاط الشهداء :**

وصل طموح المسلمين ولا سيما عند القائد موسى بن النصير في اختراق جبال البرنس والتقدم صوب جنوب فرنسا حالياً، إلا أن استدعاءه من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ،في دمشق أوقف هذا الطموح [10] .

وفي عام 106هـ/725م تقدم المسلمون صوب المناطق الواقعة من تيمس إلى نهر الرون ووصلوا إلى أوتون، وسيطروا على كلا المناطق التي تقع شمالاً حتى اللوار .

وفي عام 114هـ/732 م وقعت معركة بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي بين المسلمين والفرنجة عند مدينة تورز والتي أوقفت الفتوحات الإسلامية صوب فرنسا وخسر فيها الطرفان خسائر كبيرة، وتراجع المسلمون نحو الجنوب [11] .

- **ثالثاً : الفتوحات في الميدان الآسيوي**

مع بداية الخلافة الأموية استكمل الأمويون الفتوحات في بلاد الروم، وحاصر معاوية بن أبي سفيان القسطنطينية لمدة سبع سنوات [12] .

([1]) السمح بن مالك الخولانيّ: من بني خولان، من قضاعة استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس، استشهد غازيا بأرض الفرنجة، في الوقعة المشهورة بوقعة البلاط وكانت قرطبة عاصمة إمارته وهو الذي بنى قنطرتها؛ ينظر: الزركلي، الأعلام(ج3/139).

([2]) طولوشة: مدينة بضواحي باريس .

([3]) المصدر السابق (ص302).

([4]) عنبسة بن سحيم الكلبي: فاتح، من الغزاة الشجعان كان عامل الأندلس في أيام هشام بن عبد الملك عام 103 هـ وأوغل في غزو الفرنج، وأوغل في بلاد فرنسا فعبر نهر " الرون " إلى الشرق وأصيب بجراحات في بعض الوقائع، فكانت سبب وفاته؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج5/91).

([5]) ابن عذاري، البيان المغرب (ج2 /49).

([6]) الشريف، الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد ابن عبد ملك (ص308).

([7]) مؤنس، فجر الأندلس (ص247 – 248).

([8]) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي: أمير الأندلس، من كبار القادة الغزاة الشجعان أصله من غافق، من قبيلة عك، في اليمن؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (279/7)؛الزركلي، الأعلام (ج312/2).

([9]) مصطفى، الدولة الأموية دولة الفتوحات (ص65)؛ مؤنس، فجر الأندلس (ص277).

([10]) شلبي، التاريخ الإسلامي الحضارة الإسلامية (ص129).

([11]) جلوب، امبراطورية العرب (ص261 – 262).

([12]) ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (ج2/ 46).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تمكن جنادة بن أمية من إعادة بسط نفوذ المسلمين على جزيرة رودس عام 53هـ/672م، وتم استكمال فتح العديد من الحصون على جبهة الروم ، بينما عقد معاوية بن أبي سفيان هدنة مع بعض قادة الروم ليمهد الطريق أمام المسلمين لفتح القسطنطينية [1] ، كما تمكن عبد الله بن عبد الملك بن مروان من فتح المزيد من الحصون على جبهة الروم في خلافة والده [2] .

وازداد نفوذ المسلمين أيضاً في آسيا الصغرى في خلافة الوليد بن عبد الملك، إذ استقرت سيطرة العرب في أرمينية، بالإضافة إلى دك العديد من حصون الروم لإضعافها وتسهيل سيطرة المسلمين عليها [3] .

وتمكن المهلب بن أبي صفرة [4]، من التقدم صوب خراسان على الحدود الشمالية الشرقية للدولة الإسلامية [5]، ودخل الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث أرض كابول[6]، لأول مرة [7] .

وفي عام 86هـ/ 704 م تمكن قتيبة بن مسلم الباهلي [8]، من التقدم صوب الصاغنيان ودخلها دون قتال ، كما تقدم صوب طاجكستان [9]، ثم واصل فتوحاته حتى فتح بيكند عام 87هـ/706 م بعد حصارها لمدة طويلة [10] .

وتمكن عبد الله بن عامر من فتح زرنج، وخواش، وكشك، وكابل، وأصبح إقليم ساجستان ولاية مستقلة أمر عليها معاوية بن سفيان عبد الرحمن بن سمرة [11] .

كما تمكن عبد الله بن زياد من قطع نهر جيحون إلى إقليم بخارى [12][13]، بينما تمكن قتيبة بن مسلم من بسط نفوذه على كل بلاد ما وراء النهر [14]، بين جيحون ووادي زرفشان، و تمكن من السيطرة على خوارزم،وولى أخاه عبد الرحمن بن مسلم والياً عليها [15]، بينما فتح سمرقند عام 93 هـ /712م بعد حصارها لمدة طويلة [16] .

وفتح المسلمون طاشقند، عام 94هـ/712م [17]، كما تقدمت جحافل المسلمين صوب منطقة كاشغر [1]، الصينية عام 96 هـ - 714 م وعبرت نهر جيحون الحد الطبيعي بين الفرس والترك وبين المغول [2].

([1]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص124 - 128).
([2]) المصدر السابق (ص139 - 141).
([3]) البلاذري، فتوح البلدان (ج1/193-197).
([4]) المهلب بن أبي صفرة: ولد في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، وولي إمارة البصرة وفقئت عينه بسمرقند، ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة79 هـ ومات فيها؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (350/5)؛ الزركلي، الأعلام(ج315/7).
([5]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص154) .
([6]) كابل: أرض بين الهند ونواحي سجستان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج426/4).
([7]) ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (ج221/2).
([8]) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي: افتتح كثيرا من المدائن، كخوارزم، وسجستان، وسمرقند وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها واشتهرت فتوحاته، فاستمر ولايته ثلاث عشرة سنة، وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (86/4)؛الزركلي، الأعلام، (ج189/5).
([9]) عماش، قتيبة ابن مسلم (ص74 – 75).
([10]) المصدر السابق (ص81) .
([11]) البلاذري، فتوح البلدان (ج388/1).
([12]) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، وكانت قاعدة ملك السامانية ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج353/1).
([13]) خطاب، قادة فتح المغرب (ص125).
([14]) يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان،وسموه المسلمون بذللك؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج45/5).
([15]) عماش، قتيبة ابن مسلم (ص102 - 104).
([16]) ابن كثير، البداية والنهاية (ج9 / 95) ؛ عماش، قتيبة ابن مسلم (ص114) .
([17]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص181 – 182).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقدم المسلمون عام 89هـ/708م بقيادة محمد بن القاسم صوب بلاد السند وفتحوا أرمئيل إحدى أكبر بلاد السند، وكذلك سيطروا على الديبل [3]، ميناء السند العظيم، وتمكن محمد بن القاسم من السيطرة على بلاد السند كاملة بعد ذلك ودخل عاصمتها راور حتى وصل إلى حدود كشمير [4] .

وفي عام 97هـ / 715م تمكن المسلمون من فتح بلاد بحر قزوين [5]، وبذلك سيطر محمد بن القاسم على كل بلاد الهند والسند حتى حدود الصين [6] .

([1]) كاشغر: هي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/430).

([2]) عماش، قتيبة ابن مسلم (ص1304)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج9 / 141).

([3]) الديبل: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج2/495).

([4]) البلاذري، فتوح البلدان (ج1/420)؛ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (ج2/236 – 237).

([5]) شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية (ص192 – 195).

([6]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج2 / 289).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

دوافع الفتوحات الإسلامية لدى المستشرقين والرد عليها

- **المبحث الأول : شبهة انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها .**
- **البحث الثاني : الدوافع الاقتصادية والرد عليها .**
- **المبحث الثالث : الدوافع القومية والسياسية والاجتماعية والرد عليها .**
- **المبحث الرابع : شهادات المستشرقين الغربيين المنصفين للفتوحات الإسلامية .**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

شبهة انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها

أثارت السرعة الكبيرة التي انتشر بها الدين الإسلامي مقارنة مع الديانات الأخرى حفيظة العالم بشكل عام ، والغرب بشكل خاص ، وبدأ الغرب يسلط دراساته لمعرفة سر هذا الانتشار ، ويرسل علماءه للبحث والاستفسار عن أسرار هذا الدين تارة ، ويعلن الحرب عليه تارة أخرى .

ورغم الدراسات العلمية الكبيرة التي قام بها المستشرقون الغربيون وتعمقهم في أسباب الفتوحات الإسلامية ودوافعها ، ودراستهم العميقة للوقائع والأحداث بالفتوحات الإسلامية ، إلا أن جزءاً منهم لم ينصف الدين الإسلامي من ناحية علمية ، وإنما قالوا آراءهم ومواقفهم خدمة لأسيادهم ، وتحقيقاً لرغباتهم وأغراضهم الشخصية وأهوائهم الحاقدة على الإسلام .

و أظهرت بعض الدراسات التي أجراها المستشرقون الغربيون بهذا الموضوع تزييفاً للحقائق، وتشويهاً لصورة الفتوحات الإسلامية، وتجنياً واضحاً على المسلمين الفاتحين، بالإضافة إلى طعن وتكذيب للحقائق والوقائع التي خاضها الفاتحون المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية .

بينما كانت بعض الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع منصفة للمسلمين ، إذ أشادت بما قام به المسلمون في هذا الجانب وأثره الكبير على العالم .

وتباينت آراء المستشرقين الغربيين حول الدوافع التي اتهموا بها المسلمين كخوضهم للفتوحات الإسلامية من أجلها ، فعزوها إلى أسباب دينية وأن الإسلام قد انتشر بالسيف والإكراه ، بينما عزاها آخرون إلى دوافع اقتصادية متهمين فيها المسلمين بأنهم لم يفتحوا البلدان إلا من أجل المال والغنائم ، كما أرجعها فريق آخر إلى أسباب قومية ، وآخرون أرجعوها إلى دوافع سياسية واجتماعية ، بينما ظهر فريق من المستشرقين أنصف تلك الفتوحات ، وبين أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والمحبة والتسامح والعدل ، وأن هذه الفتوحات لم يكن هدفها إلا نشر الخير .

ورغم أن حال المستشرقين الحاقدين وتلاميذهم هو البحث لاستخراج الهنات الصغيرة التي ينسج من خلالها الافتراءات على الإسلام يشوهونه بها ويتهمونه بأنه دين قهر وإذلال وقصر وسفك للدماء وقتل للأبرياء ، إلا أنه أسمى وأعز من أن ينالوه بتزييفهم وافتراءاتهم ، فتاريخه أبيض ناصع ، وحكمة الله فوق كل مزاعم أولئك ، فقد أراد الله لدينه أن ترتفع غايته وأن يعلو بناءه حتى يصل إلى كل بقعة من بقاع المعمورة .

وفي هذا الفصل نتطرق إلى آراء المستشرقين ودوافعهم محاولين رد تلك الاتهامات والافتراءات والأكاذيب المضللة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مدافعين عن تلك الفتوحات التي ملأت الأرض عدلاً ورحمة ومحبة وتسامحاً .

ونذكر في هذا المبحث العديد من المستشرقين الذين صوروا الفتوحات الإسلامية بأنها انتشرت بالسيف والقتل والبطش والإكراه ، ونفند تلك المزاعم ، مستحضرين أيضاً آراء للعديد من المستشرقين الذين فندوا تلك المزاعم ، ورأوا أن الدين الإسلامي هو دين عدل ورحمة وخير وتسامح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آراء المستشرقين :

يرى المستشرق الألماني جون هيجل بأن الإسلام كان دائماً ، وسيبقى دائماً دين السيف ، إذ إنه لا يمكن العثور على فكرة الحب في القرآن الكريم [1] .

ويذكر المستشرق الفرنسي بلزاك (1799-1850) ، في كتابه تاريخ حضارات الشرق الأدنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أمر أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة ذلك [2] .

أما المونسنيور كولي فيرى في كتابه (البحث عن الدين الحق) بروز عدو جديد في الشرق ، وهو الإسلام الذي أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ، إذ وضع محمد السيف في أيدي من اتبعوه ، وسمح لهم بالسفك والقتل ، وهدد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع في الجنة ، وسيطر على آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا وأصبحت تلك البلدان فريسة له ، واحتل نصف فرنسا ، وهدد إيطاليا [3] .

وأما المستشرق النمساوي ليويولد فايس [4]، والذي أسلم ، وغير اسمه إلى محمد أسد فيذكر بأن أوروبا لا تتقبل تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوسية ، وتتحفظ عليهم بموقف عقلي متزن ، مبني على التفكير ، غير أن هذا التوازن يختل عندما يتعلق الأمر بالإسلام [5] .

ويرى فلوتن كذلك أن الإسلام قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق التهديد والوعيد ، ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للدين الإسلامي وخضوعهم له نتيجة الدعاية السلمية ، وإنما كان نتيجة الإرغام والقوة والنفوذ من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على القبائل العربية ، ويظهر هذا التهديد أيضاً مع خليفة النبي صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق عندما أرغم تلك القبائل على العودة للإسلام بالقوة والوعيد بعد ارتدادهم عنه عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

ويرى أيضاً بأن شعباً غريباً غير مثقف قد استطاع بما له من قوة وبأس أن يصل إلى الولايات المسيحية ويوطد سلطانه ، وينشر دينه [6] .

ويظهر من خلال المناهج الغربية التي كان الغرب يدرسونها لأبنائهم مدى الحقد والكراهية التي يحملونها تجاه جيوش المسلمين التي فتحت البلاد إذ يقولون : "وتدفقت جموع العرب المتوحشين بوجوههم السوداء فوق أرض أسبانيا التي تركها أهلها فزعاً، وأنبتت الأرض ألماً تحت وقع سنابك خيولهم التي خربت الحقول وهدمت المنازل، ولم تترك نبتاً ولا زرعاً "، وهذا الكلام تذكره المؤرخة الألمانية زغريد هونكا في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" ، وتروي أن أطفال المدارس كانوا يقرأون ذلك عن المسلمين، كنا نظنها حقائق لا تقبل الشك ، غير أننا علمنا أن العرب أسسوا حضارة رائدة في بلاد أوروبا .

ويرى ريسلر بأن الإسلام سيطر أثناء خمسمئة عام من 700هـ – 1200 م على العالم بالقوة [7].

([1]) عبد القادر، الرؤية الإستشراقية لجهود الصحابة في نشر الإسلام (ص49).
([2]) أبو خليل ،الإسلام في قفص الاتهام (ص86).
([3]) عبد القادر ،الرؤية الإستشراقية لجهود الصحابة في نشر الإسلام (ص50).
([4]) ليويولد فايس: أشهر إسلامه، سمي بمحمد أسد، أنشأ مجلة الثقافة الإسلامية، عمل على تصحيح أخطاء المستشرقين، ترجم صحيح البخاري، له العديد من المؤلفات وأبرزها: كتابه الشهير الإسلام على مفترق طرق؛ انظر العقيقي، المستشرقون (ص643)
([5]) أسد ،الإسلام على مفترق طرق (ص15).
([6]) فلوتن ، فان ، السيادة العربية (ص5 - 15).
([7]) ريسلر، الحضارة العربية (ص82).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرد على دوافع المستشرقين :

ورداً على تلك الاتهامات والافتراءات التي يسوقها أولئك المستشرقون لتشويه صورة الفتوحات الإسلامية ، واتهامهم للدين الإسلامي بأنه انتشر بحد السيف والإكراه يفند الباحث تلك الافتراءات من خلال التالي :

أولاً- المسلمون يزيلون العراقيل من طريق الدعوة الإسلامية :

يغفل كثير من المستشرقين عن جهود الفاتحين المسلمين لإزالة العراقيل في طريق الدعوة الإسلامية ، وبين اعتناق الناس للإسلام بالإكراه ، فهم يرون أن الجهود التي يقوم بها المسلمون لتذليل الصعاب في طريق الدعوة الإسلامية أنها إجبار للناس بالدخول في الإسلام .

والمتأمل في معنى كلمة " فتح " يرى أنها عبارة عن إزالة القوة التي تقف أمام كسر الحواجز المادية، التي يقيمها الحكام والأمراء والأباطرة التي ينفذ إليها الإسلام رغبة في تحقيق اللقاء بين الإسلام وبين الشعوب المغلوبة على أمرها [1] .

فالإسلام يحارب الأنظمة الحاكمة التي تعيق تقدم الدعوة الإسلامية ، غير أنه لا يحارب الشعوب ، بل تترك حرية الاختيار للشعوب في الدخول في الإسلام .

كما أن توقيع النبي صلى الله عليه وسلم للعهود والمواثيق مع اليهود في المدينة المنورة يشير إلى أن الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه، ولو كان الإسلام ينتشر بالإكراه لأجبر النبي صلى الله عليه وسلم أولئك اليهود على الدخول في الإسلام ولم يوقع معهم أي ميثاق أو عهد .

كما أن إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم العهد ليهود بني عوف حين قدموا المدينة فقال :"إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم " [2]، يؤكد ذلك الأمر، وكذلك قول عمر بن الخطاب للعجوز النصرانية : :"أسلمي أيتها العجوز تسلمي ، فإن الله بعث محمداً بالحق ، فقالت : أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب ، فقال عمر : اللهم أشهد ، وتلا لا إكراه في الدين " [3] .

ويظهر من خلال الموقفين السابقين أن المسلمين لم يجبروا أحداً على الدخول في الدين الإسلامي وإنما تركوا لهم الحرية المطلقة في ذلك .

ولم يكن المسلمون يرغبون يوماً في سفك الدماء أو إيذاء الناس أو القتل والبطش ، ويظهر ذلك جلياً في قول النبي صلى الله عليه وسلم موجهاً ومربياً ومعلماً لصحابته، فَقَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ». " [4] .

ونظراً لأن القوة لا تواجه إلا بالقوة ، فلا تصلح الحجة والبينة لمواجهة القوة ، فكان لا بد من لجوء المسلمين إلى القوة في بعض المواقف التي ترصد الدولة القوية جنودها ليحاربوا المسلمين ويحولوا دون نشر الدين الإسلامي [5] .

وتكون الحرب ضرورة تقدر بقدرها وليس المراد بها سفك الدماء وحب الانتقام [1] .

([1]) الجندي، الإسلام وحركة التاريخ (ص59).
([2]) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج1 / 503).
([3]) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (ج3/ 280).
([4]) صحيح مسلم (ج3/1362).
([5]) العقاد ، الإسلام أباطيله وخصومه (ص166) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد أحد المستشرقين ذلك بقوله : بأن الإسلام قد أذن لرسوله بالجهاد من أجل إزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية وترفع الظلم والاضطهاد ، ومن أجل السماح للناس بالدخول في الإسلام الذي هو دين السلام مع الله والسلام مع الناس [2] .

كما أن هذه الفتوحات لم تكن غزواً عسكرياً بقدر ما هي تفوق حضاري لعب دوراً حاسماً في هذه الفتوحات [3] .

و حارب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة أئمة الكفر في مكة ، غير أنهم لم يحاربوا مكة ، ولما استسلم رؤساؤها دخل المسلمون مكة بدون قتال [4] .

وكذلك الأمر مع بقية البلاد التي فتحها المسلمون ، فكانت الحرب على الزعماء الذين كانوا يحولون بين الأهل والعشيرة والمجتمع من الدخول في الإسلام ، ولم نسمع يوماً أن العرب المسلمين قد قاتلوا أهل الشام أو أهل مصر أو أهل العراق أو أهل أفريقيا أو غيرهم ، وإنما قاتلوا زعماء تلك البلاد الذين كانوا يعيقون نشر الإسلام في تلك البلدان .

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان متسامحاً مع اليهود ومرفقاً بهم أكثر من رفقه مع كفار قريش رغم الغدر والخيانة التي تلقاها منهم ، ورغم نقدهم للعهود والمواثيق التي عقدوها معه ، وهذا يؤكد أن الدين الإسلامي دين سماحة ورحمة وليس دين قتال [5] .

ثانياً- الإسلام ينتشر بالفكر والإقناع :

يجهل أولئك المستشرقون أن صاحب أي فكرة أو رسالة يستحيل له فرض دينه على العالم بأسره ، ولاسيما أنه دين جديد يظهر لأول مرة في الجزيرة العربية ولم يسبق لأي دين أو فكرة أن انتشرت وآمن بها الناس جميعاً دون استثناء .

ويؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى " وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ " [6] .

بينما على النقيض تماماً نرى أن فرنسا وأسبانيا والبرتغال مارست أبشع الطرق لفرض مذهبها بالقوة ، كما استخدمت روسيا الأرثوذوكسية أساليب الإبادة والتهجير ضد المسلمين .

وقد كان تعامل المسلمين مختلف تجاه اليهود والنصارى وغيرهم ممن اعتبرتهم دياناتهم شقيقة للإسلام إذ لم يكن الغرض من قتالهم تحويلهم للإسلام بقدر ما كان اعترافهم بالحكم الإسلامي [7] .

ويشير توماس كارليل[8]، إلى أن اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة بدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس من المنطق أن يشهر رجل وحده السيف ليقتل به الناس ويستجيب الناس لدعوته [1] .

([1]) حجازي ،التفسير الواضح (ج26 / 22).
([2]) رودريك ، بيجي ، رجال ونساء أسلموا (ج116/6) .
([3]) كارودي ، روجيه ، حوار الحضارات (ص97).
([4]) ابن هشام السيرة النبوية (ج344/3)؛ ابن كثير ، البداية والنهاية (ج344/2).
([5]) إبراهيم ، تاريخ الإسلام (ج1 / 132).
([6]) [يونس:99].
([7]) مونتكمري ، وات ، تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى (ص13 – 14).
([8]) توماس كارليل: فرنسي، ولد عام1795م وتوفي عام 1881م، اهتم بترجمة جزء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ينظر: العقيقي، المستشرقون (ص481).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى باحثون أن الإسلام قد فتح نفسه بنفسه أضعاف ما فتح بالسيف والجهاد ، وقد سجل التاريخ الإسلامي أن دعوة الحق كانت أمضى وأسرع من كل سلاح ، حتى أن البلاد التي خاضت معارك دخول الإسلام إليها كان الإسلام هو الذي فتح قلوب أهلها ، واستقر بها وجعل بلادهم دياره [2] .

وقد ظهر ذلك مما وجداه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما من ترحاب كبير من القبائل بمجرد وصولهما إلى المناطق المراد فتحها ، حتى أن الأقباط أظهروا عطفهم على الغزاة المسلمين، بسبب ما كانوا قد تعرضوا له على أيدي الروم من أنواع القمع والبطش، لأنهم رفضوا التخلي عن مذهبهم ، وكانوا يعذبون ويجلدون ويلقون في البحر ، فأحسنوا استقبال المسلمين لما اشتهروا به من تسامح [3] .

وقد أنشل الفتح الإسلامي مصر من الانحطاط التي سقطت مدوية فيه بعد أن كانت قد فرضت على السكان انتحال النصرانية ، وكان سكانها ينتظرون ساعة تحريرها من ظلم القياصرة المستبدين [4]، كما أخضعت الدنمارك الأمم المغلوبة بالقوة والإرهاب للقانون المسيحي [5] ، بينما انتشرت النصرانية في روسيا بالبطش والإرهاب [6] .

وفي أسبانيا قتل ثلاثة ملايين مسلم ما بين ذبح وحرق وتهجير في مجازر اقترفت ضد المسلمين في دلالة على الحقد والكراهية الذي يحمله أولئك في قلوبهم [7] .

ويظهر من خلال الروايات السابقة بأن هناك فرقاً كبيراً بين دعوة المسلمين للإسلام ، ودعوة غيرهم للديانات الأخرى ، إذ يظهر التسامح والحرية في دعوة المسلمين ، بينما تظهر القوة والقتل والبطش في ديانة غيرهم .

وخير دليل على ذلك أننا لم نجد بلد في العالم تفتح أرضه ثم يبكي أهل تلك البلاد لانسحاب الفاتحين منها بعد الفتح ، فقد بكى أهل حمص [8]، عندما قرر المسلمون الانسحاب وقالوا وهم يبكون للمسلمين : "أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، وأوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا"[9] .

ويرى ابن كثير أن المسلمين لم يكرهوا أحداً قط على الدخول في دين الإسلام ، لأن الإسلام بين واضح لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، فمن هداه الله للإسلام وشرح صدره دخل على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً [10] .

ثالثاً- **الإسلام يكفل حرية العبادة :**

يغفل ويجهل المستشرقون الغربيون المفترون على الدين الإسلامي القاعدة الفقهية التي تقضي بحرية العبادة ، وأنه لا إكراه في الدين ، وأن الدين الإسلامي قائم على الدعوة بالنصح

([1]) العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص227).
([2]) عبد الحميد، الروح الإنسانية لانتشار الإسلام في المغرب العربي وبلاد الأندلس (ص26).
([3]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص77).
([4]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص336).
([5]) أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام (ص30).
([6]) المصدر السابق (ص31).
([7]) لوبن ، غوستاف ، حضارة العرب (ص272).
([8]) حمص: مدينة كبيرة أثرية لها أسوار محاطة بها، وقلعة حصينة على تل عال كبير، وهي بين دمشق وحلب، وجميع طرقها معبدة بالصخر؛ ينظر: البكري، المسالك (ج1/461)؛ ابن جبير، الرحلة (ج1/208-209).
([9]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/137).
([10]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج1 / 416).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقدوة والإقناع مصداقاً لقول الله تعالى : " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ " [1] ، وقوله أيضاً :" ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ " [2] .

ويدلل على ذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع ثمامة بن أثال الحنفي [3]، الذي أسره المسلمون في أحدى السرايا ، وأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فعرفه وأكرمه ، وكان يعرض عليه الإسلام في كل يوم فيأبى ، فأطلق سراحه النبي صلى الله عليه وسلم ، واسترقت قلب ثمامة لهذه السماحة وتلك المعاملة الكريمة ، فعاد مسلماً مختاراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً له: " يا محمد والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليه ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلي من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلي "[4] .

وفي موقفه أيضاً صلى الله عليه وسلم من فتح مكة عندما قال لأهلها :"اذهبوا فأنتم الطلقاء"، شاهد آخر على أن الدين الإسلامي هو دين السماحة والمحبة والإنسانية [5] .

وكذلك قوله لوحشي [6]، قاتل حمزة بعد إسلامه : "إن استطعت أن تعيش بعيداً عنا فأفعل" ، وكان هذا تعامله مع قاتل عمه وماضغ كبده [7] .

كما يدلل على ذلك حسن معاملة المسلمين ولطفهم لأسراهم مما رواه الإمام أحمد من أن أبى عزيز بن عمير قال :" مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال له : شد وثاقه فإن أمه ذات مال "[8] .

ويظهر ذلك أيضاً في موقف عمر بن عبد العزيز الذي تقدم إليه أهل سمرقند بأن قائد الجيش الإسلامي قتيبة قد دخل مدينتهم بغير حق ، فأمر عمر بن عبد العزيز أن يخرج المسلمين من تلك المدينة بعد حكم القاضي المسلم في تلك القضية وخرج المسلمون من تلك المدينة ، ثم سرعان ما أسلم أهلها نظراً لعدالة المسلمين [9] .

ويذكر أحد المستشرقين الغربيين بأن فتوح العرب الأولى كانت من الممكن أن تعمي أبصارهم ، وتجعلهم يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ، ويسيئوا معاملة المغلوبين [10] .

ويرى الباحث مما سبق مدى العدل والرحمة والتسامح التي تحلى بها أولئك الفاتحون في طريق نشر الدعوة الإسلامية ، إذ لم يسلكوا طريق السلب والنهب والظلم .

---

(1) [البقرة : 256] .
(2) [النحل : 125].
(3) ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي، من بني حنيفة، أبو أمامة: صحابي، كان سيد أهل اليمامةله شعر. ولما ارتدَّ أهل اليمامة في فتنة (مسيلمة) ثبت هو على إسلامه، ولحق بالعلاء بن الحضرميّ، في جمع ممن ثبت معه، فقاتل المرتدين من أهل البحرينينظر: ابن سعد، الطبقات (76/6)؛ الزركلي، الأعلام (ج100/2).
(4) ابن حبان، الإحسان (ص41)؛ الشوكاني، نيل الأوطار (ج7 / 344) .
(5) السباعي من روائع حضارتنا (ص160).
(6) وحشي بن حرب: كان أسود من سودان مكة عبدا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، ولم يبلغنا أنه شهد مع المشركين بدرا، ولكنه خرج معهم إلى أحد ، فقالت له ابنة الحارث بن نوفل بن عامر: إن أبي قتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة؛ فأنت حر، إن قتلت محمدا أو حمزة بن عبد المطلب أو علي بن أبي طالب، فقتل حمزة رضي الله عنه؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات(ج475/1).
(7) المصدر السابق (ص159).
(8) الهيثمي ، مجمع الزوائد (ص86).
(9) السباعي، من روائع حضارتنا (ص262).
(10) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص605).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يشهد أحد المستشرقين الغربيين أن الدولة الإسلامية لم تتبع نهج القسر والقهر في نشر دينها كما اتبعته الوثنية والمسيحية من قبل وعلماء الغرب يشهدون بذلك [1] .

رابعاً- لا بد للإرهاب والسيف من نهاية وانهيار :

لم يتأمل أولئك المستشرقون أن الدين الذي ينتشر بالإرهاب والسيف والقمع والقوة ، ويجبر الناس على الدخول فيه لا بد له من نهاية وانهيار ، فلماذا لم يتراجع المسلمون عن الدين الإسلامي في حالات الضعف التي مرت بها الدولة الإسلامية وتغير الظروف .

والمتأمل في بداية انتشار الدعوة الإسلامية يرى أن السباقين إلى الدين الاسلامي حملوا فكرة الإسلام عن قناعة أجبرتهم على ترك الأصنام التي كانوا يعبدونها حيناً من الدهر ، وأنهم استشعروا حلاوة الإيمان ومذاق العقيدة وشعروا براحة في شعائرهم وعباداتهم .

وهذا يفسر تحمل بلال بن رباح وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، وغيرهم الكثير للأذى والبطش على أيدي كفار قريش، كما أن ذلك يفسر ترك المسلمين بلادهم وأهليهم وأموالهم في مكة والهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم الذي اعتنقوه عن طيب خاطر ، ولو كان بانتمائهم للإسلام ذرة من إجبار أو إكراه لما قدموا تلك التضحيات الجسام من أجل الفكرة والمنهج الذي حملوه[2].

ولعل شريعة الإسلام هي شريعة العدل والإنسانية ، واشتماله على مبادئ تفوق السيف في قوتها واستقامتها جعلت الإسلام يأسر الناس إليه بلا سيف ولا قتال [3] .

ويذكر سوسة بأنه ينبغي على أتباع موسى وعيسى عليهما السلام مراجعة التاريخ الإسلامي ليقفوا على رفق الإسلام بالأطفال والشيوخ والنساء وغيرهم [4] .

ولم يعهد يوماً أن العقائد تستقر في نفوس الناس تحت وطأة السيف والتهديد والقهر ، وإنما تستقر بالحجة الواضحة والإقناع ، ولو كانت الشعوب دخلت الإسلام مجبرة ، لتمردت عليه ولفظته ، ولكنها من أكثر الشعوب تمسكاً بدينها رغم ما يحل بها من فتن وحروب وصراعات واضطهادات .

كما أن التاريخ قد سجل إسلام بعض القوات والجيوش التي حاربت المسلمين وانتصرت عليهم ، مثل التتار [5]، فقد أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً في سابقة لم تعهد من قبل ، فكيف للمنتصر أن يدخل في دين مهزوماً ؟ .

وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، ولما تمكن النصارى من عرب الأندلس فضل العرب القتل والطرد على ترك الإسلام ، كما لجأ النصارى إلى قتل العرب على حد سواء حتى من تنصر منهم لأنه من المستحيل معرفة صدق إيمانهم [6] .

وكذلك لا يريد القرآن نشر الإسلام بالقوة ، إذ إن الذين يدخلون الإسلام عن هذا الطريق قد يكونون منافقين ، ولعل بروز ظاهرة النفاق في المدينة المنورة أكدت للمسلمين ضرورة الابتعاد عن إكراه الناس على قبول الإسلام [7].

([1]) ستيوارت ، حول الحرية (ص73 - 74).
([2]) الذهبي: سير أعلام النبلاء (ج3/210).
([3]) سوسة ، في طريقي إلى الإسلام (ج2/ 38).
([4]) المصدر السابق (ج1/ 94).
([5]) التتار: قوم من أطراف الصين، جيشوا الجيوش، وخربوا البلاد ودمروا الأمم، بقيادة جنكيز خان؛ ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب (ج7/199).
([6]) لوبون ، حضارة العرب (ص127 - 128).
([7]) الطبري، تاريخ (ج2/60).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أسلم كبار الصحابة عن قناعة بالإسلام رغم أن سيوف المشركين كانت مسلطة على رقابهم لتحول بينهم وبين الإسلام[1] .

ويخير المسلمون أصحاب البلاد التي يدخلونها ما بين الإقامة في مكان والأمان على نفسه ودينه وحريته ، وما بين الرحيل إلى بلاد دولته المنهزمة ، وتوفر له الأمان في طريقه ، وما بين الإدانة بالإسلام والقبول في زمرة المسلمين ، ومن بقي على دينه فليس عليه إلا أن يؤدي الجزية ، فتحميه الدولة ، كما تحمي سائر رعاياها [2] .

ويدلل على ذلك ما ذكره روبرتسون أن الإسلام لم يكره عليه أحداً بالسيف ولا باللسان ولا يعدو انتشاره، بسبب الرسل الذين كانوا وراء الجيوش أو الرهبنة التي كانت بعد الفتح ، ولكنه دخل القلوب عن شوق واختيار [3] .

وهنا نتساءل؟؟ ، أين هي القوة الكافية التي امتلكها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في مهد الدعوة الإسلامية لاضطهاد الناس ، وإجبار القبائل العربية على الدخول عنوة في الدين الإسلامي ، فكيف لهم أن يهددوهم ويتوعدوهم ويرغموهم على الدخول في الدين الجديد؟؟ .

ثم ألم تدبر قريش مؤامرة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم بعد اجتماعها في دار الندوة ، وجمعها من كل قبيلة رجلاً ليقضوا عليه بضربة رجل واحد [4] ، وكذلك محاولات اليهود قتل النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم، حيث حاولوا إلقاء صخرة عليه ليقتلوه ، لولا عناية الله التي دفعته لمغادرة مكانه بعد أن جاءه الوحي من السماء [5].

فكيف أسلم أولئك الصحابة في بداية الدعوة الإسلامية على يد النبي صلى الله عليه وسلم رغم أن المسلمين كانوا قلة ، وكانوا يسامون سوء العذاب ؟؟

وقد تحول البدو المسيحيون للإسلام بالتسامح ، ودخل الناس فيه عن قناعة لأن عمر بن الخطاب قد عين في كل بلد معلمين مهنتهم تعليم الناس القرآن وتفقيههم في الدين [6] .

خامساً- انتشار الإسلام في ربوع العالم دون سيف :

كيف يقبل اتهام الإسلام بأنه انتشر بالسيف، وقد وصل الدين الإسلامي إلى بلدان كثيرة كالصين وأندونيسيا دون الفتوحات الإسلامية ، وإنما وصلها بالإقناع والتأمل وحسن المعاملة والقدوة الحسنة ، وهي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم [7]، إذ سكن المسلمون جميع الشواطئ من سيراليون إلى موزمبيق البرتغالية مروراً بمراكش [8]، وولايات البربر وقناة السويس[9]، وامتد من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلنطي ثم إلى البحر الأبيض كما وصل إلى مدغشقر [10] .

([1]) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/210).
([2]) العقاد ، الإسلام أباطيله وخصومه (ص178).
([3]) طباره ، روح الدين (ص 412).
([4]) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج1 / 73 - 74).
([5]) ابن خلدون، تاريخ (ج2/439).
([6]) أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام (ص69 - 70).
([7]) العقاد ، الإسلام أباطيله وخصومه (ص169).
([8]) مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة470هـ؛ ينظر:الحموي، معجم البلدان (ج5/94).
([9]) قناة السويس: ممر مائي إستراتيجي وحيوي للشرق الأوسط في مصر؛ ينظر: معجم اللغة (ج1/90).
([10]) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص134).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد أن المسلمين قد تعرضوا لأحداث جسام ، غير أن هذه الأحداث لم تثنيهم عن دينهم وعقيدتهم ، ولعل أبرز تلك الأحداث قتل المغول للملايين من المسلمين ، وهدمهم لمئات المدن والقرى ، وإفسادهم وبطشهم في الأرض ، وإرعابهم وتخويفهم للمسلمين [1]، غير أن المسلمين لم يرتدوا عن دينهم ، ولم يستطع التتار أن يطفئوا نور الإسلام .

ويشير هوبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية في بلاد أفريقيا إلى أن انتشار الإسلام لم يقم على القسر ، وإنما قام على الإقناع لأنه دين فطرة ، سهل الانتشار بفضل الدعاة المتنقلين ، وسهل التناول ، لا لبس فيه ولا غموض [2] .

كما انتشر الإسلام في بلاد القوقاز وداغستان بفضل الدعوة ، بينما انتشر في جمهورية جورجيا الروسية بفضل القوافل التجارية [3] .

بينما وصل الإسلام جزيرة سومطرة الأندونيسيه بفضل الدعاة الذين تعلموا لغة أهل تلك البلاد وصادقوا وصاهروا أهلها ونشروا الإسلام في تلك البقعة [4] .

كما وصل الإسلام المجر عن طريق أفراد ينتمون إلى طائفة الإسماعيلية عملوا على نشر المذهب الإسماعيلي، بينما وصل إلى النمسا عن طريق جماعة من البوسنة والهرسك تزوجوا من أهل تلك البلاد وأنجبوا ذرية وعملوا على نشر الدعوة الإسلامية ، وأما في فندلندا فقد انتشر الإسلام من خلال مجموعة من التجار الأتراك الذين كانوا يجوبون روسيا واستقر بهم الحال في فندلندا ، كما وصل الإسلام إلى ألمانيا وهولندا عن طريق هيئة الدعوة الأحمدية التي أسست العديد من الجمعيات والمراكز الإسلامية وكذلك المساجد [5] .

وقد أسلم أهل عمان طوعاً [6] ، بينما أسلم أهل اليمن من غير قتال [7] ، أما اندونيسيه وهي أكبر بلد إسلامي في العالم اليوم لم تصلها جيوش المسلمين وإنما وصلها الإسلام عن طريق التجار ، كما أسلم أهل ماليزي ا دون أن تطأ أراضيهم الجيوش الإسلامية ، وكذلك اليابان وصلهم الإسلام دون قتال ، بينما غزى الإسلام أوروبا ولم تدخل جيوش الإسلام إلا أجزاء قليلة منها ، وكذلك انتشر الإسلام في كندا والولايات المتحدة وانتشر بين أهلهما ولم تصل جيوش المسلمين إلى تلك المناطق قط [8].

وقد أعلى الإسلام شأن الناس الداخلين فيه ، إذ انتشر في البر والبحر واخترق الجبال والشعاب وكانت القبائل التي تدخل في الإسلام تسعد وترتقي وتسود ، حتى أن أحد المستشرقين الهولنديين نصح حكومته بترك الإسلام ينتشر في أندونيسيا حتى ينشغل فيه المسلمون ويتركوا التجارة والأموال للهولنديين [9] .

ولم يكن التخيير في بلاد الروم أو الفرس بين الإسلام والسيف ، وإنما كان تخييراً بين الإسلام والجزية وهي الخطة التي استحقت الثناء [10] .

([1]) ابن خلدون، المقدمة (ج1/77).
([2]) شلبي، الإسلام (ص189).
([3]) محمود، انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية (ص32).
([4]) هازارد ، هاري ، أطلس التاريخ الإسلام (ص42).
([5]) الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام (ص229 - 230).
([6]) ابن سعد ، الطبقات (ج1/351).
([7]) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج2/203).
([8]) الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام (ص231-232).
([9]) مؤنس ، الإسلام الفاتح (ص23).
([10]) توينبي ، ما يقال عن الإسلام (ص27).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن وصول الإسلام إلى بلاد آسيا الوسطى على أيدي مجموعة من التتار، ونشرهم للدين الإسلامي وإنفاقهم الأموال لبناء المساجد والمدارس وتعليم الأطفال عقائد الإسلام ، حتى أصبح معظم أهل تلك البلاد مسلمين إشارة على أن الدين الإسلامي انتشر بالإقناع وليس بالسيف [1] .

وقد سيطر المسلمون على العالم من سوريا شرقاً حتى أسبانيا غرباً عبر شمال أفريقيا، وأزاحوا الحكم الروماني واليوناني، الذي سيطر قرابة ألف عام تقريباً على تلك الدول، وتدرج انتشار الإسلام حتى جمع بلاد الهند ووصل إلى أندونيسيا والصين شرقاً ، وأفريقيا الاستوائية شرقاً وجنوباً [2] .

ومما يدلل على ذلك أيضاً رسالة ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز الذي يقول فيها : "من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك والذي تحته ابنة ألف ملك، والذي في مربط الفيل، والذي له نهران ينبتان العود والألوة والجوز والكافور، والذي يوجد ريحه على مسيرة اثني عشر ميلاً، إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً ، أما بعد فإني بعثت إليك بهدية ، وما هي هدية ولكنها تحية وأحببت أن تبعث إلي رجلاً يعلمني ويفهمني الإسلام والسلام " [3] .

كما دخل بعض الناس في الإسلام طواعية واختيار في بلاد إيران وبلاد الترك والمغرب[4]، والأندلس عن طريق دخولهم في ولاء من نزل بأرضهم من قبائل العرب ، فأصبحوا في ولاء تميم أو ربيعة وغيرهم ، ومنهم من دخل في ولاء الفاتحين لأرضهم ، إذ أصبح منهم موالي خالد بن الوليد أو موالي موسى بن النصير وغيرهم ، فلم يكن هذا الولاء رق أو تملك ، وإنما كان حب المسلمين من غير العرب للعرب ولنبيهم ، وكان هذا الولاء تحريراً للناس ، إذ كان يشترط الإسلام ، فلا يدخل الفارسي أو الرومي في ولاء العربي إلا بعد إسلامه ، وكان دخول الرجل في ولاء العرب يضمن له حقه وحريته في أرضه بعد أن كان رقيقاً في حقبة الأكاسرة أو القياصرة أو الروم ، وهذا سبب هام في أن إسلام تلك الشعوب كان إسلاماً عميقاً صحيحاً . [5]

ويتفق الباحث مع الروايات السابقة الذكر التي تؤكد وتدلل دخول الناس في الدين الإسلامي عن طريق الدعوة والهداية، بمحض إرادتهم، ودون إكراه أو إجبار من أحد.

ويرى الباحث أيضاً أن الدعوة إلى الإسلام بالهداية والسماحة والقدوة الحسنة، حققت نتائج أكثر منها بالمعارك العسكرية التي خاضها المسلمون في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وكان عدد الذين دخلوا الإسلام بهذه الطريقة أكثر بكثير من الذين دخلوها بالمعارك العسكرية، ووصلت الدعوة الإسلامية بتلك الطريقة إلى مناطق أبعد من تلك التي فتحها المسلمون بالجهاد، غير أن المسلمين لم يواجهوا خصومهم من أجل نشر الدعوة الإسلامية إلا عندما اضطروا لذلك، ووضعت العراقيل في طريقهم، ولو لم يكن ذلك لكان انتشار الدين الإسلامي في كل ربوع الأرض بالدعوة والهداية .

سادساً- الفتوحات الإسلامية كانت من منطلق إيماني قرآني :

تعد الفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون، وانتصروا بها ذات بعد إيماني قرآني ، ولم نسمع يوماً أن قادة الجيش الإسلامي، قد أخذتهم النشوة بعد انتصاراتهم التي حققوها ، وإنما استقبلوا ذلك بالشكر والتضرع لله سبحانه وتعالى ، فقد كان المسلمون يقرءون سورة

([1]) فان فلوتن، السيادة العربية (ص12).
([2]) توينبي ، أرنولد ، الإسلام والغرب والمستقبل (ص16).
([3]) ابن عبد ربه ، العقد الفريد (ج2 /65) ؛ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة (ج1 / 240).
([4]) بلاد المغرب: ما يطلق عليه اليوم على ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج1/24).
([5]) مؤنس ، الإسلام الفاتح (ص19- 20).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهاد عند لقاء أعدائهم ، كما صلى خالد بن الوليد صلاة الفتح عند فتح الحيرة عام 12هـ/633م [1] ، بينما صلى سعد بن أبي وقاص صلاة الفتح عندما دخل إيوان كسرى [2] ، بينما استقبل عبد الله بن عامر [3]، الانتصار عندما فتح خارسان عام 31هـ/651م ، وأنهى دولة الفرس تماماً بأدائه فريضة الحج شكراً لله [4] .

ويرى توماس أرنولد أن الفتوحات الإسلامية تمت بعون من الله وأن المسلمين قد جمعوا بين نعيمي الدنيا وبين التوفيق الإلهي وأن النصر لم يتنزل إلا على أيدي عباد الله المختارين ، وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلا على صدق دينهم [5] .

ولعل السر أيضاً في تقدم المسلمين هي القوة الإلهية التي شكلت الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة وأن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق [6].

ولعل تواضع الخلفاء والسمت الإيماني للجند كان له دور في تحقيق هذه الفتوحات بمعية الله سبحانه وتعالى، فقد كان الخليفة إنساناً بسيطاً رغم كثرة الضرائب والغنائم التي يتحصل عليها، وكان بإمكان أي شخص أن يلتقيه، وكان ولاة الأقاليم الجديدة من المسلمين يتمتعون بحيز واسع من الاستقلال والحركة اليومية، ولعل قدوم الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدس شاهداً على ذلك [7] .

كما أن شجاعة القادة الفاتحين من المسلمين أمثال: خالد وعمر وغيرهم الذين أدوا الحماسة في مواجهة جيوش الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية ، وإنزال الهزائم بهم كان منبثقاً من إيمانهم واعتقادهم بالانتصار الذي غرسه فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن هناك أكثر من الغرض الديني الذي دفع العرب من السير ألاف الأميال وسط الصحاري ليواجهوا أخطاراً مجهولة لا يمكن حسابها [8] .

وقد أصبحت يثرب عاصمة للإمبراطورية الإسلامية وكانت مقر الحكومة كونها النواة التي انبثقت منها إمبراطورية العالم العربي ، مما يدلل حقاً بأن هذا الاندفاع الجارف من المسلمين هو فعل رباني [9] .

وتؤكد ذلك فاغليري التي تذكر بأن الفتوحات الإسلامية كانت بسبب القوة الإلهية وأن حكمة الله سبحانه وتعالى كانت مسؤولة عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم [10] .

كما يذكر نصري سلهب بأن حضارة الإسلام التي سيطرت على العالم خمسمئة عام كانت وليدة الإيمان ، والإيمان وحده [11] .

([1]) الطبري، تاريخ (ج3/397).
([2]) ابن كثير، البداية والنهاية (ج7/74).
([3]) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي أبو عبد الرحمن: ولد بمكة وولي البصرة في أيام عثمان سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل ينظر: ابن سعد، الطبقات (5/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج4/94).
([4]) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج7/204) ؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج3/183).
([5]) أرنولد ، توماس، الدعوة إلى الإسلام (ص94).
([6]) فاغليري ، دفاع عن الإسلام (ص28).
([7]) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص51).
([8]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص69).
([9]) توينبي ، أرنولد ، مختصر دراسة التاريخ (ج3/73 - 74).
([10]) فاغليري ، لورافيشيا ، دفاع عن الإسلام (ص28).
([11]) سلهب، لقاء المسيحية والإسلام (ص470).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يدلل على ذلك وفد المسلمين الذي ذهب إلى المقوقس في مصر برئاسة عبادة بن الصامت الذي كان شديد السواد ، فهابه المقوقس لسواده وطلب أن ينحوا عنه هذا الأسود ويقدموا غيره ، فكان موقف الوفد أن هذا الأسود أفضلهم رأياً وعلماً وسيدهم وخيرهم والمقدم عليهم [1] .

ويظهر البعد الإيماني الذي انطلق منه المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية تعرض العديد من قادتهم للاستشهاد في تلك الفتوحات منهم :المثنى بن حارثة الشيباني ، وأبو عبيد الثقفي [2] ،وعكرمة بن أبي جهل [3]، وضرار بن الأزور [4]، [5] والنعمان بن المقرن [6] ، كما استشهد الأقرع بن حابس [7]، في معركة اليرموك مع عشرة من أبنائه [8] ، وغيرهم الكثير من الصحابة ، وهذه إشارة إلى الثمن الذي دفعه المسلمون في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

وقاتل المسلمون من أجل غاية سامية لتحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وابتغاء الأجر والمثوبة ، إذ يدلل على ذلك ما حدث مع أبي محجن الثقفي [9]، أثناء معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عندما حبسه سعد لأنه كان يقول شعراً في الخمر ، ولما وقعت المعركة وسمع أبو محجن وقع الحديد وشدة البأس ، وندم على ما كان منه ، وتمنى مواجهة الخصوم ، فطلب من سعد أن يخلي سبيله غير أن سعد زجره ، ثم طلب من زوجة سعد أن تخلي سبيله على أن يعود إلى قيده بعد انتهاء المعركة ، واقتاد فرس سعد بن أبي وقاص وحمل على المشركين حتى زعزع صفوفهم ولم يبدو له فارس إلا هتكه ، ثم عاد إلى محبسه ووضع القيد في رجله [10] ، وهذه إشارة إلى أن المسلمين كانوا يبتغون من وراء فتوحاتهم مرضاة الله سبحانه وتعالى ، إذ أن أبو محجن الذي كان يتغنى بالخمر تمنى لقاء المشركين وندم على ما كان منه ، فكيف يكون حال بقية المسلمين الذين كانوا في أعلى درجات إيمانهم .

وقد سهل الله سبحانه وتعالى الطريق أمام الفاتحين المؤمنين الواثقين المخلصين له مما عجل بحركة تلك الفتوحات ودخول الناس في الدين الإسلامي .

([1]) الكلاعي ، الاكتفاء (ج4 /15) ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر (ج1 /146).

([2]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،(ج2/ 297 – 303).

([3]) عكرمة بن أبي جَهْل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنّبيّ صلّى الله عليه وسلم وأسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره 62 سنة؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (283/7)؛ الزركلي، الأعلام (ج4/244).

([4]) ضرار بن مالك (الأزور) بن أوس ابن خزيمة الأسدي: أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام،وكان شاعرا مطبوعا، له صحبة، وهو الّذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، وقاتل يوم اليمامة أشد قتال، حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل، والخيل تطأه، ومات بعد أيام في اليمامة؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (112/6)؛الزركلي، الأعلام (ج3/215).

([5]) ابن الأثير، الكامل (ج1/ 315 – 323).

([6]) المصدر السابق (ج2/356).

([7]) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارميّ التميمي: صحابي، من سادات العرب في الجاهليةقدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا، وشهد حنينا وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة.،وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة واستشهد بالجوزجان؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (27/7)؛ الزركلي، الأعلام (ج2/5).

([8]) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج1/208).

([9]) أبو محجن الثقفي: عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير ابن عوف أحد الأبطال الشعراء الكرماء، في الجاهلية والإسلام أسلم سنة 9 هـ وروى عدة أحاديث، وكان منهمكا في شرب النبيذ، فحده عمر مرارا، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، وأنشد أبياتا في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالا عجيبا، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (448/2)؛ الزركلي، الأعلام (ج5/76).

([10]) المسعودي ، مروج الذهب(ص178) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يصف كلود كاهن دخول طارق بن زياد إلى بلاد أسبانيا وحملته الأولى التي هزم فيها القوط[1]، بأنها أشبه بالنزهة العسكرية [2] .

سابعاً- الفاتحين لم يكن هدفهم الإستقواء على المستضعفين :

لم يكن هدف المسلمون الفاتحين الإستقواء على المستضعفين ، أو إشهار السيف على المغلوبين ، أو سفك الدماء ، وإنما كان هدفهم دعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى والدخول في الدين الإسلامي دون إجبار وبقناعة تامة منهم .

وقد كان المسلمون يوجهون الدعوة إلى المشركين قبيل القتال ، فقد دعا خالد بن الوليد حكام الحيرة وأشرافهم إلى الإسلام قبل قتالهم ، كما دعا خالد أيضاً جرجة أحد قادة الروم إلى الإسلام وأسلم وقاتل إلى جانب المسلمين ، واستشهد في معركة اليرموك [3].

كما أرسل سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة إلى رستم يعرض عليه الإسلام [4] ، بينما عرض عمرو بن العاص الإسلام على رسل المقوقس في حصار حصن بابليون بمصر عام 20 هـ [5] .

كما عرض المسلمون الإسلام في معاركهم كافة قبيل بدئها وأبرزها القادسية واليرموك وأجنادين والإسكندرية ونهاوند وجلولاء .

وهنا نتساءل لو وافق المشركون على دفع الجزية للمسلمين ، لما تقدم المسلمون إليهم وأشهروا السيف في وجوههم وقاتلوهم وغنموا من خزائنهم وثرواتهم وأموالهم ، وهذا شرع الله سبحانه وتعالى ، قال تعلى " قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ " [6] .

وقد حرص الإسلام على الإصلاح وتقديم الخير للناس كلهم في طريق الدعوة والفتح فكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا " [7] ، ويظهر ذلك في وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان عندما بعثه أميراً على جيش المسلمين في بلاد الشام فأوصاه بألا يقتل امرأة ولا صبياً ولا شيخاً ولا يقطع شجراً ولا يخرب عامراً ولا يعقر شاة أو بعيراً إلا لمأكله ولا يحرق نخلاً [8] .

([1]) القوط: وهم قوم ينسبون إلى قوط بن حام بن نوح، كانوا بالأندلس من أيام إبراهيم عليه السلام ينظر: الحموي، معجم الأدباء(ج2/418).
([2]) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص62).
([3]) الطبري، تاريخ (ج3/344 – 399).
([4]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/75).
([5]) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر (ص59 – 61) .
([6]) [التوبة: 29].
([7]) جامع الأصول، ابن الأثير (ج3/207).
([8]) الشوكاني، نيل الأوطار (ج6/282).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن المثلة في حروبهم ، فلما عزم محمد صلى الله عليه وسلم على أن يمثل بأولئك الذين مثلوا بعمه حمزة بن عبد المطلب [1] ،أنزل الله سبحانه وتعالى "وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ " [2] .

ويظهر ذلك من خلال موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندما فتح مكة وأرسل خالد داعياً ولم يرسله مقاتلاً ، فسار خالد حتى وصل بني حزيمة ، فلما رأى القوم استعدوا لقتاله قاله لهم : ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا ، ولما وضعوها قتل بعضاً منهم ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع يديه إلى السماء قائلاً : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ثم أرسل علياً بن أبي طالب بمال [3] .

وقد كانت آثار الإسلام في كل من أسبانيا وصقلية بالغرب المسيحي أشد مما هو في مراكزه ببغداد والقاهرة والموصل [4] ، بخلاف المسيحية التي انتشرت وفرضت نفسها بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع ومارست القسوة والوحشية ضد الأقلية [5] .

ويدلل ذلك وصية عمر بن الخطاب لقائد جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص قبيل توجهه للعراق بأن يبعد معسكرات الجنود عن قرى أهل الذمة وألا يسمح لأحد من جنوده دخول تلك القرى [6]

وقد كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء للجيوش الإسلامية الخارجة للفتوحات الإسلامية كانت رسالات رحمة وسماحة ويسر ، فقد ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: **«اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ، تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَعْتَدُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ»** [7] .

بينما كانت وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد قبل إنفاذه إلى الشام في نفس المضمون إذ جاء فيها : "أوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له" [8] .

ثامناً- حرمة قتل النفس المؤمنة :

حرم الدين الإسلامي قتل النفس المؤمنة ، وجعل ذلك من المحرمات فقال :" **وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ** " [9] ، وكذلك قول الله تعالى : " **مِنۡ أَجۡلِ**

([1]) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج3/97).
([2]) [النحل: 125].
([3]) الطبري ، تاريخ (ج3 /132 - 124).
([4]) باركر ، سرارنست ، تراث الإسلام (ص91).
([5]) جون ستيوارت ، حول الحرية (ص73).
([6]) الواقدي ، فتوح الشام (ج2 / 210).
([7]) الطبراني، المعجم الكبير(ج224/11)
([8]) الطبري، تاريخ(ص266 – 267).
([9]) [الإسراء :33].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا " [1] ، وتعد هذه الآية لنا نحن المسلمين ، كما ذكرت لبني إسرائيل [2] .

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم منتهى الظلم بقتل النفس بغير حق ، وحذر من الإقدام على ذلك فقال : «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**» [3]

وقد أمر عمر بن عبد العزيز أحد أمرائه في مسلم قتل ذمياً أن يدفعه إلى وليه ، فإن شاء قتله ، وإن شاء عفا عنه ، ويذكر ميمون بن مهران بأن ذلك الأمير قد دفعه إليه ، فضرب عنقه وأنا أنظر [4] .

يوصينا ديننا الإسلامي خيراً بالديانات السماوية الأخرى ، ويحثنا على حسن المعاملة معهم ، كما أوصانا كذلك بالوثنيين الذين هم ليسوا أصحاب رسالة ، فقال تعالى :" وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ " [5] ، فمن البداية أن تكون المعاملة مع أهل البلاد المفتوحة علاقة تسامح وخير وهداية .

وفي رفض النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة على المشركين عندما قيل له: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**» [6] .

ويظهر من خلال رسالة الأهالي المسيحيين في الأردن الموجهة للجيش الإسلامي عندما قالوا لهم أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا [7] .

والشريعة الإسلامية تأمر المسلمين أن يوفوا بعهودهم التي قطعوها على أنفسهم مع خصومهم ويلتزموا بها ويطبقوها امتثالاً لقول الله تعالى:" وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا " [8] .

---

(1) [المائدة : 33].
(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج2/ 353).
(3) صحيح البخاري ،(ج4/99).
(4) رواه عبد الرازق في مصنفه (ج10/ 101).
(5) [التوبة : 6].
(6) صحيح مسلم ، (ج4/2006).
(7) قطب ، السلام العالمي والإسلام (ص159).
(8) [النحل : 91].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الدوافع الاقتصادية والرد عليها

أثار المستشرقون الغربيون دوافع اقتصادية وراء الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون لعل أبرزها الجوع والفاقة التي كانت موجودة بالجزيرة العربية ، وأرجعوا خروج الصحابة الفاتحين إلى تلك البلدان طمعاً ورغبة فيما عند قياصرة الروم وأكاسرة الفرس وغيرهم من ثروات وأموال وخيرات ومتاع .

وقد ذكر توماس أرنولد أن الهجرة النشيطة والقوية للمسلمين كانت بسبب الجوع والحرمان والتي دفعت أولئك الناس إلى اجتياح البلاد الأكثر خصباً [1].

بينما أرجع ستانلي لين بول الفتوحات الإسلامية إلى طمع المسلمين في ثروة القياصرة والأكاسرة والأراضي الخصبة ، والسيطرة على المدن العامرة في الممالك المجاورة للجزيرة العربية [2] .

و رأى العديد من المستشرقين أيضاً في كتاباتهم أن الفتوحات الإسلامية لم تكن إلا من أجل الحصول على الغنائم ، ومن أجل استبدال العرب لصحاريهم الصخرية الجرداء التي لا يوجد بها إلا حياة البؤس بذلك الترف والنعيم [3] .

ويرى نتنج أن الضرورة الاقتصادية هي التي أخرجت العرب ليقيموا في الشمال حيث الغذاء لأسرهم ، والغذاء لقطعانهم [4] .

ويرى أيضاً أن الأسباب الاقتصادية و الإستراتيجية جلبت العرب إلى مصر مثلما جذبتهم إلى العراق والشام ، إذ كانت مصر مخزناً لغلال الروم في ذلك الوقت ، وذات موقع استراتيجي مهم ، ولا سيما أن أسطول الروم يستطيع من ميناء الإسكندرية أن يهدد فتوحات الإسلام الجديدة في فلسطين والشام [5] .

بينما يرى جلوب أن الإسلام الهائل في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي لم يكن وليد حركة دينية عظيمة ، وإنما كان نتيجة هجرات قام بها شعب امتاز بالحيوية والاندفاع ، إذ ساقته المجاعة ، ودفعه العوز إلى اجتياح الأراضي الأكثر ثراء ، والأسعد حظاً في بلاد جيرانهم [6].

وأما لابدوس فيصف الفتوحات الإسلامية التي سبقت أجنادين أنها كانت في بداياتها عبارة عن مجموعات صغيرة تبحث عن الغنائم في المقام الأول [7] .

وأما جوب فيرى أن التنظيم السياسي الذي أوجده الخلفاء كان تنظيماً عسكرياً في نشأته يهدف إلى التوسع وقطف ثمار الفتوح ، ولم يجهز بأي وسائل إدارية تحقق أغراض أخرى سوى الفتح والتوسع [1] .

([1]) الدعوة إلى الإسلام (ص64).
([2]) شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (ج1/ 291).
([3]) caetani ; studi disotria , orientale , p831 – 850 ؛ جب ، دراسات في حضارة الإسلام (ص7)؛ نتنج ، العرب وانتصاراتهم (ص47)؛ ويل ديورانت ، قصة الحضارة ،1305 ؛ ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (ص94).
([4]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص68).
([5]) المصدر السابق (ص76 - 77).
([6]) الفتوحات العربية الكبرى (ص371).
([7]) تاريخ المجتمعات الإسلامية (ص97).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى كذلك أن الفتوحات كانت نتيجة نزوح شعب دفعه الجوع والعوز إلى اجتياح أراضي جيرانه الأوفر ثراء وخصباً [2] .

وأما فلوتن فيري أن الأنانية والجشع شقت طريقها إلى نفوس العرب ، واستولت على قلوبهم ، عندما وجدوا النعيم والثراء ، إذ إن هذا الثراء لم يكن مؤلفاً عليهم من ذي قبل ، وأنه عمل على إفساد نفوسهم ولم يهذب أخلاقهم ، مشيراً إلى أن الأسر البارزة في أوائل الفتح الإسلامي قد جمعت مبالغ ضخمة من الغنائم والأعطيات [3] .

ويرى فلوتن أيضاً أن العرب ورؤساءهم كان هدفهم الأول مصالحهم الشخصية والمال والثراء قبل كل شيء ، وأما نشر الإسلام فكان أمراً ثانوياً بالنسبة لهم ، إذ كانت الروح التي سادت في عهد المسلمين بصدر الإسلام وتحديداً بني أمية روحاً غير دينية [4] .

ويستدل فلوتن بما يذكره المسعودي بأن الصحابة كانوا يملكون الضياع والقصور والثروات الكبيرة وغير ذلك مما كانوا يمنحونه من المنح العظيمة [5] .

ويرى فلوتن كذلك أن حالة الترف التي أصابت المسلمين ثمرة للفتوح التي خاضوها دفعتهم إلى اللجوء للاستدانة من أجل إشباع رغباتهم [6] .

ويدلل على ذلك أيضاً سارتون بذكره بأن الفاتحين المسلمين كان يعمر قلوبهم الإيمان العميق ، وأن الفتوحات لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع وبين سكان المدن ، وإنما كانت بين دين جديد وثقافة جديدة بالدرجة الأولى [7] .

ويرى فلوتن أن الطريقة التي كانت تجبى بها الجزية كانت مهينة إذ كان يذهب المطالبون بها ويجلس عامل الخراج على أريكة عالية ، ويتقدم معطو الجزية أذلاء خاضعين ، ويصفع بعض الحاضرين معطي الجزية صفعة يشيعه بها إلى الباب ، وكان عامة الشعب يشاهدون تلك المناظر التي يعتبرونها رمزاً لانتصار المسلمين على الكفار [8]

الرد على مزاعم وافتراءات المستشرقين حول الدوافع الاقتصادية

تفنيداً لمزاعم المستشرقين حول هذه الدوافع يرى الباحث أن هذه المزاعم باطلة وغير واقعية وذلك للأسباب التالية :

أولاً- الجزية ليست وسيلة للجباية :

ليس المراد بالجزية جمع المال ووضعها في خزائن المسلمين، وإنما هي خطوة من الخطوات التي يتقدم بها المسلمون لسكان البلاد التي يدخلونها ويعرضونها عليهم قبيل قتالهم، وإنما المغزى من أخذ الجزية من أهل الذمة إشعارهم بالصغار أمام المسلمين، وأن الإسلام هو الدين السائد في الأرض.

والإسلام عندما ظهر لا يريد من نشر الدعوة إلا تحقيق مصالح البشر، ونشر النور، وليس إجبار الناس على الدخول في الإسلام من أجل المآرب الدنيوية أو التسابق في مظاهر الغنى والترف .

([1]) دراسات في الحضارة الإسلامية (ص46).
([2]) المصدر السابق (ص68).
([3]) السيادة العربية (ص21).
([4]) المصدر السابق (ص24 - 26).
([5]) المسعودي ، مروج الذهب (ج4 /253).
([6]) السيادة العربية (ص67).
([7]) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط (ص46) .
([8]) فلوتن ، فان ، السيادة العربية (ص33).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد شهد التاريخ للمسلمين بحماية هؤلاء المواطنين عند أخذ الجزية منهم عندما يكونوا في ذمتهم، ورد الجزية إليهم عند العجز عن حمايتهم، ولعل ما حدث مع أبو عبيدة عمر بن الجراح عندما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الإسلامية في بلاد الشام ، فأوعز إلى ولاته برد ما تمت جبايته من الجزية أو الخراج قائلاً لهم: إنما رددنا لكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وقد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإننا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم [1] .

والفتوحات الإسلامية لم يكن الهدف منها ضم البلدان إلى الوطن بقصد سلب أموال الأهالي ، أو الاستيلاء والتسلط على ممتلكاتهم ، أو استغلال مواردهم الطبيعية ، وخيراتهم ومعالمهم ، وثرواتهم ، وهذا ما يؤكده عمر بن عبد العزيز بقوله : إن الله بعث محمداً بالحق هادياً ولم يبعثه جابياً [2] .

وقد شجع خلفاء المسلمين المسيحيين واليهود على اعتناق الإسلام قبل الجزية ، ولما شكا عمال عمر بن عبد العزيز القائمون على شؤون المال بأن هذه السياسة ستفقر بيت مال المسلمين نظراً لقلة الجزية التي يأخذونها ، فرد عليهم عمر بقوله : وددت لو أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنتم حراثين نأكل من كسب أيدينا [3] .

وكان المسلمون يأخذون الجزية ممن تحت سلطانهم إذ لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح ولا يدفعها ذو العاهات ولا المترهبون وأهل الصوامع ، كما يعفى منها النساء والذكور دون سن البلوغ والشيوخ والعجزة وشديدي الفقر [4] ، كما تسقط الجزية بالعجز عن أدائها وهذا رأي فقهاء المسلمين [5] .

ويرى العديد من المستشرقين أن الجزية تقدم مقابل رعاية وخدمة يقدمها المسلمون لأولئك مقابل حمايتهم [6] .

ويشير تفسير ابن حجر بقول الله تعالى : " حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ "[7] ، أي عن طيب نفس وكل من أعطى عن طيب نفس [8] ، بينما يرى النووي نقلاً عن جمهور العلماء أنها تأخذ برفق كأخذ الديون [9] .

وتعد الجزية ضريبة الرأس مقابل الحماية [10] ، وتسقط الجزية بمجرد الدخول في الإسلام ، وهناك فرق بينها وبين الخراج الذي لا يسقط بالإسلام لأنها مسألة اقتصادية بحثه ، ومن عدالة الإسلام أن قيمة الجزية ضئيلة ولا تقارن بقيمة الزكاة التي يدفعها المسلم بل إن الأمم السابقة كاليونان والرومان كانوا يأخذون الضرائب الباهظة قسراً من الشعوب التي

---

(1) عبد القادر ، الرؤية الإستشراقية لجهود الصحابة في نشر الإسلام (ص57).
(2) المصدر السابق (ص57).
(3) ديورانت ، ويل ، قصة الحضارة (ج12/132).
(4) متز ، آدم (ج1/96)؛ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة (ج12/130 – 131) .
(5) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة (ج1/250).
(6) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية ،74/1 ؛ أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ،58 ؛ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة (ج12/130) .
(7) [التوبة : 29].
(8) ابن حجر ، الجامع لأحكام القرآن (ج8/73).
(9) كفاية الأخيار (ج1/699).
(10) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة (ص22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حكموها ، وهي أكثر بكثير مما يأخذه المسلمون من أهل الذمة ، فضلاً عن تمتعهم بالامتيازات العديدة [1] .

ويذكر علماء الغرب أن المسلمين ما كانوا يتقاضون إلا شيء ضئيلاً من المال من مقهوريهم لا يقارن بما كانوا يدفعونه للحكومات السابقة [2] .

ويرى آخرون أن عدالة الجزية التي يفرضها المسلون إحدى أسباب انفتاح البلاد أمام المسلمين لأنها جزية خفيفة من الممكن أن تتوفر وتسلم بسهولة [3] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمن يجمع الجزية : "ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو" [4] .

ويؤكد ما سبق موقف عمر بن عبد العزيز بعزله الجراح بن عبد الله الحكمي [5]، عن إمارة خرسان ، لأنه أخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم تسلمون فراراً منها ، فأرسل إليه عمر بأن الله بعث محمد داعياً ولم يبعثه جابياً [6] ، وإني أرى سعادتي في أن يصبح النصارى أجمعون مسلمين ، لأن الإسلام غايته تبليغ الرسالة وليس جمع الأموال ، وأمر برفع الجزية عن كل رجل يعتنق الإسلام [7] .

وهذا يدلل على أن الهدف الأسمى والغاية من هؤلاء الناس هو دخولهم الدين الإسلامي وليس جمع المال أو الغنائم .

رداً على المستشرقين الذين يزعمون بأن المسلمين قد خرجوا من أجل المال وجمع الجزية ، فإن الجزية يعفى منها من لا يستطيع القتال كالمرأة والصبي والشيخ الكبير والرهبان ومن يؤدي خدمة للمسلمين [8] .

ولم تكن الجزية مطمع للمسلمين أقروها من تلقاء أنفسهم وإنما هي شريعة الله سبحانه وتعالى بقوله : **"*قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ* وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"** [9] .

ولذلك ما كان للمؤمنين أن يخالفوا أمر الله سبحانه وتعالى طاعة له ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من يهود بني قينقاع أو بني النظير أو بني قريظة ، لأن الآية السابقة لم تكن قد نزلت .

كما أن المسلمين لم يلزموا أهل الذمة ببيع ماشيتهم لدفع الجزية إذا لم يجدوا غيرها[10]، إذ كان الهدف الذي وضعه المسلمون الفاتحون نصب أعينهم هو هداية الناس إلى الإسلام مستشعرين فضل ذلك العمل الذي رغب عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

([1]) زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي (ج1 / 288) .
([2]) درايبر ، المنازعة بين العلم والدين (ص158).
([3]) مونتسكيو ، روح الشرائع (ج1 / 157).
([4]) الماوردي ، الأحكام السلطانية (ص137) .
([5]) الجرّاح بن عبد الله الحكمي، أبو عُقْبة: أمير خراسان، وأحد الأشراف الشجعان، دمشقي الأصل والمولد ولي البصرة للحجاج، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وعزله لشدة بلغته عنه، فأقام إلى أن ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان، فانصرف إليها بجيش كثيف، وغزا الخزر وغيرهم، فافتتح حصن بلنجر وحصونا أخرى ومات يزيد، فأقره هشام بن عبد الملك زمنا، ثم عزله سنة 108 هـ وأعاده سنة 111 هـ فانصرف إلى الغزو والفتح، فاستشهد غازيا بمرج أردبيل؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (497/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج115/2).
([6]) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج188/9).
([7]) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص76).
([8]) ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة (ج99/1).
([9]) [التوبة : 29] .
([10]) تريتون ، أهل الذمة في الإسلام (ص230).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن الجزية كانت تقدر بمبلغ زهيد ، فهل يعقل أن يغير الإنسان عقيدته مقابل تلك الدراهم البسيطة .

ويدلل على ذلك المصريين الذين واجهوا الفاتحين المسلمين ورفضوا دفع الجزية وتحملوا في ذلك طوفانا من الدم وأصروا على العقائد التي حملوها ، فهل يعقل أن قوماً يظلون على تلك المبدأ حيناً من الزمن وكان بهم أن يوفروا ذلك العناء نظير دراهم معدودة [1].

ورداً على زعم العديد من المستشرقين بأن الناس الذين دخلوا بالإسلام اعتنقوا الإسلام خوفاً من دفع الجزية، نقول أن القلوب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وأن المسلمين يتعاملون بالظاهر وليس بالباطن ، ولم يثبت يوماً أن أحداً من معتنقي الإسلام قد دخل الإسلام خشية من الجزية .

والجزية في حقيقتها لا تفرض إلا على القادرين على حمل السلاح، ولا تجب إلا على الرجال العقلاء ، ولا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المجنون ولا العبيد لأنهم أتباع وذراري [2]، وكذلك تسقط الجزية عن الفقير والشيخ والأعمى والأعرج والمريض والمغلوب على عقله، ويعفى من دفعها المترهبون في الأديرة والصوامع الذين يعيشون على الصدقات [3] .

فماذا يقول أولئك المستشرقون عن اعتناق العبيد والذراري للإسلام الذين لا يجب عليه جزية أصلاً ؟

وماذا يقولون عن اعتناق الرجال الذين يحملون السلاح للإسلام ، إذ كان يشهد لهم بالعناد والثبات على مبادئهم .

ثم ألم يتساءل أولئك المستشرقون أن الذين يزعمون أنهم اعتنقوا الإسلام هرباً من الجزية يوجد عليهم تكليف جديد في الدين الإسلامي وهي فريضة الزكاة والتي يدفع بموجبها للفقراء والمساكين أكثر مما سيدفعوه جزية للمسلمين لو بقوا على دينهم القديم ، إذ إن الزكاة لها نسبة محددة على المال تخرج بشكل سنوي ، بينما مبلغ الجزية هو مبلغ ثابت يخرج مرة في العام حتى لو كان دافع الجزية يملك الآلاف من الأموال .

ويدلل على ذلك أيضاً ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رفع الجزية عن رجل كبير من أهل الذمة ، إذ شاهده يسأل الناس ، فقرر رفع الجزية عنه [4] .

ويرى توماس أرنولد أن الغرض من فرض تلك الضريبة على المسيحيين لم يكن كلون من ألوان العقاب لأنهم امتنعوا عن قبول الإسلام وإنما مقابل حماية كفلها لهم المسلمون [5] .

([1]) الغزالي ، مع الله (ص164).
([2]) الماوردي ، الأحكام السلطانية (ص144).
([3]) الخرطبولي ، علي ، الإسلام وأهل الذمة (ص73).
([4]) زيدان ، أحكام المدنيين والمستأمنين في دار الإسلام (ص141).
([5]) الدعوة إلى الإسلام (ص79).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً- الدنيا ومتاعها لا يساوي شيئاً أمام المسلمين :

أدرك المسلمون أن الدنيا ومتاعها لا يساوي شيئاً أمامهم ، إذ خرجوا من ديارهم من أجل تحقيق غاية الجهاد في سبيل الله ، وخير دليل على ذلك ما أبلغه ربعي بن عامر رسول سعد بن أبي وقاص إلى رستم عندما عرض عليه الغنائم فقال له :" إنا لم نأتكم لطلب الدنيا ، و والله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم" [1].

ويؤكد ذلك أيضاً قول عبادة بن الصامت للمقوقس عظيم مصر عندما عرض عليه الدنيا ، فقال له عبادة : ليس غزونا لعدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ، ولا طلب للاستهتار منها وإنما رغبتنا وهمتنا في الله واتباع رضوانه ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، وإنما النعيم والرخاء في الآخرة [2] .

ويدلل على هذا الأمر أيضاً الحوار الذي دار بين خالد بن الوليد وبين ماهان قائد الروم يوم اليرموك، إذ قال ماهان لخالد :" إن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم ، فرأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة ، تحمل حملها من الطعام ، فرد عليه خالد : والله ما أخرجنا من بلادنا الجوع ولا ضيق الأمر ، فنحن نشرب الدماء وبلغنا ألا دماً أحلى من دم الروم فأقبلنا نريق دماءكم ونشربها" [3] .

ويظهر من الحوار السابق أن المسلمين في خروجهم لم يخرجوا من أجل مال أو متاع أو غنائم أو أي أمر من أمور الدنيا ، ولو خرجوا من أجل ذلك لقبلوا بما عرضه عليهم الروم ، ولكنهم خرجوا من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ونشر دينه في الأرض وهداية الناس إلى طريق الخير .

كما يظهر من رد خالد على عرض ماهان بقوله إننا نريد أن نريق دماءكم ونشربها بأن ذلك الموقف كان يحتاج إلى رفع معنويات الجيش الإسلامي و إرهاب الروم قبيل مواجهته مع الروم مما دفع خالد يتحدث بتلك العبارة ، فضلاً عن أن العرض الذي قدمه الروم يعد استخفاف بما خرج له المسلمون من هدف سام ، فكان لا بد من الرد من خالد بن الوليد باستعلاء في مثل هذا الموقف .

ويظهر مما سبق كله أن المسلمين كانوا يخوضون البلاد ويفتحون الأمصار من أجل هدف سام وغاية عظمى وهي : ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى لا لشيء من مال أو متاع.

ورغم كثرة المعارك التي خاضها المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية وحققوا فيها انتصارات مذهلة وغنموا فيها غنائم جمة لم يثبت يوماً أن أحداً من المسلمين قد غل شيئاً من تلك الغنائم ، وإنما كانت توزع وفق شريعة الله سبحانه وتعالى التي أنزلها في كتابه .

ولعل الغنائم والأموال التي وصلت إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة ، وقطع بها حاملوها آلاف الكيلو مترات بعد فتح المدائن دفعت عمر بن الخطاب للقول : "إن جيشاً أدوا هذا لذو أمانة " [4] ، فهذا برهان قاطع على أن المسلمين لم يكن همهم الأول وشغلهم الشاغل هي الغنائم ، وإنما إعلاء راية الجهاد في سبيل الله .

([1]) الأندلسي ، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (ج 4 / 176).
([2]) المصري ، فتوح مصر وأخبارها (ص75) .
([3]) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (ج1/ 257).
([4]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ج2/ 360).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كانت الغنائم توزع على الجنود بعد أن يتم اقتطاع الخمس منها وفق الشريعة الإسلامية [1] .

وقد كان هناك العديد من الغزوات التي لم يكتب الله سبحانه وتعالى لعباده النصر بها والتقدم في البلاد المراد دخولها، مثل: معركة الجسر، وبلاط الشهداء، وغيرهما مما سبق الإشارة إليه في الفصل الثاني من هذه الرسالة، إلا أن المسلمين لم يتراجعوا أو يستسلموا أو يتخلوا عن فكرة الجهاد في سبيل الله ، وهذا تفنيد لمزاعم أولئك المستشرقين الذين يزعمون بأن الفتوحات الإسلامية من أجل الثروة فقط .

ولعل سن عمر بن الخطاب لنظام المقاسمة [2]، ووضعه اللبنة الأولى لهذا النظام، والذي يقضي بعمل إحصاء دقيق لثروة الولاة قبل توليهم لمناصبهم ، ثم إلزامهم عند ترك أعمالهم بدفع نصف الأموال التي جمعوها أثناء ولايتهم والتي لا تسمح بها رواتبهم [3]، أكبر دليل على المتابعة الدقيقة والحثيثة .

وقد رد معاوية إلى بيت مال المسلمين نصف ثروته التي جمعها [4] ، بينما اتبع معاوية أيضاً هذا النظام مع موظفيه عندما تولي الخلافة [5] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان تمت مسائلة الجباة وموظفي الخراج بعد نهاية أعمالهم الإدارية أو اعتزالهم إياها ، وكانوا يردون إلى بيت المال ما أخذوه من مال إن ثبت عليهم [6] .

ولو كان المسلمون قد خرجوا في هذه الفتوحات بهدف الثراء أو الغنى لاكتفوا ببلاد الشام ، وطاب لهم العيش والمقام بها ، ولكنهم لم يخرجوا إلا ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى وهذا ما يؤكده المستشرق موسل بأن الجيوش التي خرجت لفتح العراق والشام لم تكن حجازية أو نجدية فحسب ، ولكنها كانت تضم القبائل العراقية والشامية [7] .

وهذه إشارة على أن الهدف الأسمى للمسلمين هي الدعوة نفسها وليست الغنائم ، فلو كان الدافع الذي دفع المسلمين هو الجوع والفقر لما خرج أهل الشام والعراق مع الجيوش الإسلامية ، ولما خرج العرب من الشام التي هي أرض الخصب والرخاء وما استقروا بها .

ورسالة الإسلام إيصال الدعوة إلى البلاد كافة وفي كل الأماكن سواء أكانت تلك البلاد خصبة أم فقيرة .

ويدلل على أن متاع الدنيا لا يساوي شيئاً عند القادة الفاتحين أمام مرضاة الله سبحانه وتعالى ما عرضه موسى بن نصير على مغيث الرومي[8]، رسول الوليد بن عبد الملك الذي أبلغه التوقف عن الفتوحات ، فقال له : إن عدت وتركتني لك نصيبي من الغنائم ، مما يوحي بأن هؤلاء الفاتحين لم يكن همهم الغنائم ولا الأموال ، وإنما ابتغاء مرضاة الله في

([1]) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص49).
([2]) المقاسمة: نظام أقره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بهدف التوزيع الدقيق للخراج والأموال، ووضع حد لنصيب الولاة ؛ ينظر: الأعشى، صبحي الأعشى في صناعة الإنشاء (ج1/482).
([3]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/217).
([4]) الطبري ، تاريخ (ج2 / 202).
([5]) اليعقوبي ، تاريخ (ج2 / 264).
([6]) الطبري ، تاريخ (ج3 /502)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج1 / 179) .
([7]) علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام (ج1/250).
([8]) مغيث الرومي: هو مغيث بن الحارث ابن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، وأنجب في الولادة وصار منه (بنو مغيث) الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم، ونشأ مغيث بدمشق فأفصح بالعربية، وقال الشعر، وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك ووجهه عبد الملك إلى الأندلس، غازيا مع طارق بن زياد، فقدمه طارق لفتح قرطبة، في سبعمئة فارس فافتتحها سنة92 هـ وأسر ملكها، ووقع خلاف بينه وبين طارق، وبينه وبين موسى بن نصير، فرحل معهما إلى دمشق (سنة96) وخدم سليمان بن عبد الملك، ثم عاد إلى الأندلس؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج7/276).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتوحاتهم [1] ، إذ عزم موسى بن نصير [2]، بعد أن انتهى من فتح الأندلس وعبر جبال البرنس إلى فرنسا أن يشق طريقه إلى القسطنطينية فيفتحها ، ويجعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية [3] .

ومما يدلل على زهد المسلمين الفاتحين في الغنائم ، ما قام به موسى بن نصير عندما أحضر معه من بلاد الأندلس إلى دمشق عربات حملت عليها الأموال من الذهب والفضة والجواهر وقدرة بمئة وثلاثين عجلة [4] .

ثالثاً- غاية الجهاد مرضاة الله سبحانه وتعالى :

تعتبر الغاية من الجهاد لدى المسلمين هو مرضاة الله سبحانه وتعالى والفوز والظفر برضوانه وجناته ، ويؤكد ذلك ما رواه أَبِي مُوسَى، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَيُقَاتِلُ لِيُحْمَدَ، وَيُقَاتِلُ لِيَغْنَمَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرِيَ مَكَانَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَاتَلَ حَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»،[5] .

وكذلك ما ورد عن أبي هريرة أن رجلاً يريد الجهاد ، ويبتغي عرضاً من متاع الدنيا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"لا أجر له "**[6] .

ويدلل على ذلك رسالة أبي بكر الصديق إلى ولاة مكة والطائف واليمن ونجد والحجاز عند إعداده للجيوش الإسلامية التي سيتم تسييرها لبلاد الشام ، يستنفرهم فيها للجهاد ويرغبهم فيه ، فسارع الناس لذلك [7] .

وهذا يؤكد ويبرهن أن المسلمين سارعوا إلى تلبية نداء أبي بكر الصديق طمعاً واحتسابا للأجر والمثوبة من عند الله سبحانه وتعالى وحباً لتحقيق فريضة الجهاد في سبيل الله .

ومع أن مراد الصحابة السامي هو الفوز بالجنة ، إلا أنه لا تكاد تخلو أي بيئة من السعي لمتاع الدنيا ، ورغم ذلك فقد سجل الصحابة نماذج مشرفة سطرها التاريخ في قتالهم وجهادهم ، وتضحياتهم بأنفسهم وأموالهم .

فهذا عمير بن الحمام [8]، يلقي بثمراته قبل أن يأكلها قبل بدر ويهرول لينال الشهادة في سبيل الله [9] ، وذاك عمرو بن الجموح[10]، يريد أن يطأ بعرجته الجنة [1] ، بينما يندفع

([1]) الحميري ، الروض المعطار (ص128).

([2]) موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي أبو عبد الرحمن: فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى (بالحجاز) كان أبوه نصير على حرس معاوية، ونشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس وبنى بها حصونا. وخدم بني مروان، ونبه شأنه؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (318/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج330/7).

([3]) ابن خلدون ، تاريخ (ج255/4).

([4]) المقري ، نفح الطيب (ج268/1).

([5]) سنن أبي داود(ج14/3).

([6]) المصدر السابق (ج25/6) .

([7]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج115/1).

([8]) عمير بن الحمام: قاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في معركة بدر واستشهد بها؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(340/1).

([9]) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج627/2) .

([10]) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب؛ والد معاذ ومعوذ، الذين قاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم فتية في معركة بدر، قاتل هو جنب إلى جنب مع النبي صلى الله عليه وسلم في معركة أحد وأستشهد بها؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج408/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الله بن رواحة[2]، لنيل الشهادة عندما أقبلت عليه جموع الروم واحتدمت المواجهة بينه وبينهم في مؤتة [3] ، أما أبو عبيد الثقفي فقد لقي الله سبحانه وتعالى شهيداً برفقة أبنائه الأربعة وسبعة من قادة المسلمين الكبار ، وغيرهم الكثير من النماذج التي يعج بها التاريخ الإسلامي [4] .

ولقد أنطلق أولئك الصحابة تطبيقاً لقول الله سبحانه وتعالى : " ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " [5] ، فخرجوا استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى وهذا ما برهنه سعيد بن المسيب[6]، الذي ذهبت إحدى عينيه وخرج للجهاد في سبيل الله قائلاً : "إن عجزت عن الجهاد كثرت سواد إخواني" [7] .

ويدلل على ذلك أيضاً الحوار الذي دار بين المسلمين بقيادة هبيرة بن مشمرج [8]، عندما أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي، وملك الصين عندما قال لوفد المسلمين :" انصرفوا إلى صاحبكم"، وقولوا له :" ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه" ، فرد عليه المسلمون كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلاده وآخرها في منابت الزيتون ، كيف بكونه حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ، وأما تخويفك لنا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نهابه [9] .

والمتأمل في هذا الحوار يتساءل إذا كان المسلمون يهدفون من وراء هذه الفتوحات إلى الغنائم والأموال والثروات، ألم يقتنعوا ويكتفوا بما أخذوه من أموال وثروات وغيرها في الفتوحات السابقة ، ولماذا يعرضوا حياتهم للخطر ويقتحموا الأهوال، ويقطعوا الصعاب حتى يصلوا تلك البلاد ؟ ولماذا أيضاً لم يفكر المسلمون في العودة قبل احتدام القتال بعد أن يعرض عليهم الرجوع من قبل خصومهم رغم أن أعداد المسلمين كانت أقل بكثير من أعداد خصومهم ؟ .

ولم نسمع يوماً أن المسلمين قد وزعوا على أنفسهم الثروات التي قاموا بتحصيلها من بلدان عديدة قاموا بفتحها ، فأين ذهبت تلك الأموال والثروات ؟

([1]) ابن هشام السيرة النبوية (ج627/2).

([2]) عبد الله بن رواحة: الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر شهد بدرا والعقبة، ويكنى أبا محمد وأبا رواحة وليس له عقب وهو خال النعمان بن بشير وكان من كتاب الأنصار استخلفه النبي -صلى الله عليه وسلم- على المدينة في غزوة بدر الموعد وبعثه النبي عليه السلام سرية في ثلاثين راكبا إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتلهواستشهد يوم مؤتة؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج145/3).

([3]) المصدر نفسه (ج379/4) .

([4]) ابن كثير ، الكامل في التاريخ (ج31/7).

([5]) [التوبة : 41].

([6]) سعيد بن المسيب: ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدنف، سيد التابعين على الإطلاق، ولد لسنتين مضتا وقبل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل لأربع مضين منها، وروى عن عمر كثيرا، فقيل سمع منه، وعن عثمان وعلى وسعيد وأبي هريرة، وكان زوج ابنته، وأعلم الناس بحديثه، وروى عن جماعة من الصحابة، وحدث عن جماعة من التابعين، وخلق ممن سواهم؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج99/9).

([7]) تفسير الرازي (ج70/16).

([8]) هبيرة بن مشمرج الكلابي: أحد الأشراف الشجعان الفصحاء كان مع قتيبة حين غزا الصين، وأوفده قتيبة على ملك " كاشغر " رسولا ونذيرا، فأدى الرسالة وأعجب به صاحب كاشغر، وعاد، فسيره قتيبة إلى الوليد بن عبد الملك ليخبره بما كان، فتوفي بفارس؛ بنظر: الزركلي، الأعلام (ج76/8).

([9]) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (ج 6 / 202) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجيب الباحث على هذه التساؤلات بأن المسلمين لم يخرجوا من أجل مال أو غنائم ، وإنما خرجوا من أجل غاية سامية وهي نشر دعوة الله سبحانه وتعالى في شتى أنحاء الأرض ، وكانت تلك الثروات والغنائم والأموال توزع وفق شرع الله سبحانه وتعالى الذي اقتضاه لعباده .

ولو كانت الفتوحات الإسلامية للجشع والنهب والسيطرة والمال كما يزعم المستشرقون لكانت الحبشة أول بلد حاربه المسلمون وغنموا ثرواته [1] .

كما يظهر من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في أجر الجهاد ومثوبته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»** [2] .

ولعل الغاية من الفتوحات الإسلامية إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهالة إلى الهداية، وهذا ما يدلل عليه قائد الوفد الإسلامي في حديثه مع رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية، عندما قال له رستم :" لم يحملكم على ما أنتم عليه إلا ضيق المعاش ، وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون ونصرفكم ببعض ما تحبون" ، فرد عليه قائد الوفد قائلاً :" إن الله جاء بنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الإيمان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبله قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، وتركنا أرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نقضي إلى الجنة أو الظفر" [3] .

وهذه رسالة من المسلمين تدلل أن غايتهم وهدفهم الأسمي هو إخراج الناس إلى نور الهداية ، ليس لهم طموح إلا ابتغاء مرضاة الله ونعيم جناته .

وقد سار العرب من فتح إلى فتح وكثيراً ما ربحوا الحروب بدون قتال ، حتى سيطروا في غضون خمسةً وعشرين عاماً من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على بلاد العرب جميعاً وفتحوا بلاد فارس وأرمينية وجزء من أواسط آسيا الشرقية وشمال أفريقيا ، بينما سلمت لهم مصر بسهولة لأنها كانت تقاسي وتعاني من استبداد الإمبراطورية الرومانية ومن الحرب الطائفية [4] .

رابعاً- النصر توفيق من المولى سبحانه وتعالى:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوفق عباده المخلصين الصادقين المجاهدين في طريق الجهاد الذي ارتضاه لهم شريطة ألا يكونوا متعالين على الناس ، متكبرين ، وإنما مرادهم الدار الآخرة وليس متاع الدنيا الزائل مصداقاً لقول الله تعالى :" **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**"[5].

([1]) الحوفي ، أحمد ، سماحة الإسلام (ص148) .
([2]) صحيح مسلم (ج3/1496).
([3]) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (ج4/ 108)؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ج2/ 320).
([4]) لال نهرو ، لمحات من تاريخ العال(ص27).
([5]) [القصص : 83] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدلل على ذلك حديث رسل المقوقس إلى عمرو بن العاص عندما عادوا إليه فسألهم كيف وجدتم المسلمين ؟ فقالوا :" وجدنا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نقمة ، يجلسون على التراب ، ويأكلون على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، إذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم أحد عنها ، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم" ، الأمر الذي دفع المقوقس لقوله : "والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد "[1] .

ويستنتج الباحث من الصورة التي رسمها رسل المقوقس له أن هؤلاء المسلمين يسيرون ببركة إيمانهم وعقيدتهم وإخلاصهم وتفانيهم في عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأن هذا هو سر تقدمهم وانتصاراتهم وفتوحاتهم التي وصلوا بها إلى مناطق شتى ونشروا فيها دعوة الإسلام ، وأقضوا مضاجع كثير من دول الظلم والضلال .

ومما يدلل على ذلك تقهقر الجيش الفارسي الذي استطاع قبيل سنوات من مطاردة القوات البيزنطية، والانتصار عليها، لكنه هزم فيما بعد على يد البيزنطيين، وهو ما يؤكده قول الله تعالى : " غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ "[2] غير أنه هزم على يد الفاتحين الفاتحين المسلمين، وأصبح العراق كله تحت سيطرة جيوش المسلمين ، كما أمر عمر بن الخطاب أن تتوقف الفتوحات مؤقتاً في بعض المناطق نظراً لإحساسه بأن الغنائم الكثيرة قد تفسد جيوشه [3] .

ومن دلالات التوفيق الإلهي للمسلمين أن القادة في ميادين القتال كانوا يطلبون المدد من الخليفة ، فيرسل إليهم رجلاً واحداً ويقول : لا يهزم جيش فيه مثل هذا ، في إشارة إلى القعقاع بن عمر التميمي، فترجح به كفة المسلمين [4] ، وقد واجه المسلمون بنحو ثلاثة آلاف مسلم مئة ألف من الروم في مؤتة مستأنسين بقول عبد الله بن رواحة : ما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة وإنما نقاتلهم بهذا الدين [5] .

خامساً- المسلمون يرفضون الإغراءات :

رفض مؤسس الدعوة وواضع اللبنة الأولى فيها محمد صلى الله عليه وسلم المغريات بأشكالها منذ بداية دعوته عندما عرضت عليه ، فقد عرض عليه عتبة المال حتى يكون أكثر قريش مالاً ، كما عرضوا عليه أن يسودوه عليهم ولا يقطعوا أمراً دونه ، وكذلك عرضوا عليه أن يكون ملكاً عليهم مقابل أن يتخلى عن دعوته وعن الدين الجديد الذي بدأ ينشره في مكة ويهدد الوثنية التي يعبدونها ، غير أنه رفض بشكل قاطع تلك العروض والإغراءات التي قدمت له [6] .

كما عرض عليه عمه أبو طالب تلك المغريات ، إلا أنه قال كلمته الشهيرة :" لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته" [7] .

([1]) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (ص97).
([2]) [الروم: 2-3]
([3]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص75).
([4]) الطبري ، تاريخ (ج3 / 346).
([5]) ابن هشام ، السيرة النبوية (ج2 / 375) .
([6]) ابن هشام السيرة النبوية (ج1 / 313).
([7]) المصدر نفسه (ج1 / 316) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما الخلفاء الراشدين فقد ملك أبو بكر الصديق أربعين ألف درهم عند إسلامه ، إلا أنه لم يبق معه سوى خمسة آلاف درهم عند هجرته إلى المدينة ، فقد أنفق ما معه على العبيد والمستضعفين الذين كان يشتريهم ويعتقهم في سبيل الله [1] ، كما لم يملك أبو بكر الصديق عند وفاته سوى خمسة دراهم ، إذ قال فيه عمر : "لقد أتعب أبو بكر من بعده" [2].

وقد اقتدى أبو بكر الصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم في زهده وبسيط عاداته فهو الذي لم يترك حين وفاته سوى ثوبه الذي كان يلبسه وبعيره الذي كان يركبه ومولاه الذي كان يخدمه ، ولم يأخذ من بيت مال المسلمين سوى خمسة دراهم مياومة يعيش بها [3] .

وأما الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي سيطر المسلمون في عهده على قصور كسرى وقيصر[4]، عاش حياة ليست كغيره ، إذ كان يأكل الخشن من الطعام ويلبس الخشن من اللباس ، ولما طلبت منه ابنته حفصة وقد فتح الله عليه ووسع عليه أن يأكل طعاماً ألين من طعامه ولباساً ألين من لباسه رد عليها بقوله :" سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله يلقى من شدة العيش حتى بكت حفصة "، ثم مضى يقول :" والله إن استطعت لاشاركنهما في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهم الرخي ، في إشارة إلى رسول الله وأبي بكر الصديق" [5] .

وكان رضي الله عنه يلبس الثياب المرقعة وينام على درج المسجد بين المساكين رغم اقتسامه المغانم الكثيرة هو وجنوده [6] .

وقد استقبل عمر بن الخطاب رسالة عمرو بن العاص عندما وصف له فتح إحدى مدن مصر ووصف ما بها من أربعة آلاف فيلا ، وأربعة آلاف حمام وأربعين ألفاً من اليهود تفرض عليهم الجزية ، فجلس عمر على الأرض مع حامل الخطاب وتقاسما الطعام من الخبز والتمر [7] .

وتذكر الروايات وصول سفراء الدول الكبرى إلى المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب بهدف الاطلاع على أحوال رئيس تلك الدولة التي قهرت أكبر دول ذلك العصر ، فأصيب ذلك الرسول بالذهول لما رآه من تواضع عمر بن الخطاب ومن حالة الاستقرار التي تميزت بها الدولة الإسلامية مما دفعه للقول :" أشهد أن الدين دينكم ، ولولا أني رسول لأسلمت ، وسأعود بإذن الله" [8] .

وأما الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقد جهز جيش العسرة ، واشترى من ماله ثلاثمئة بعير ، وأنفق ألف دينار [9] .

ويظهر من الأدلة السابقة أن مؤسس الدعوة الإسلامية وصاحبها الأول بالإضافة إلى الخلفاء الراشدين رفضوا الإغراءات التي قدمت لهم ، وأنفقوا من أموالهم في سبيل الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الله في الأرض ، ولم يطمحوا يوماً لاستعادة أموالهم التي أنفقوها ، أو استبدالها بالغنائم .

([1]) ماضي ، بحث بعنوان : الجهاد بالمال في نظر الإسلام (ص26) .
([2]) ابن سعد ، الطبقات (ج3 / 186).
([3]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص147) .
([4]) قيصر: كلمة فرنجية تفسيرها بالعربية شق عنه وسببه أن أمه ماتت في المخاض فشق بطنها وأخرج، فسمي قيصر، وكان يفتخر بذلك على غيره من الملوك، لأنه لم يخرج من الرحم، واسمه أغسطس، وهو أول ملوك الروم ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج5/58).
([5]) ابن سعد ، الطبقات (ج3 / 278).
([6]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص147).
([7]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص79) .
([8]) الغزالي ، فضائح الباطنية (ج1 / 212)؛ المناوي ، فيض القدير (ج4 / 378).
([9]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ج2 / 149).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان هؤلاء هم قيادة المسلمين ، فمن الطبيعي أن يكون تحت إمرتهم من الصحابة الفاتحين الذين سيسيرون على نهجهم .

ويظهر ذلك أيضاً من خلال استدانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من خازن مال المسلمين في الكوفة عبد الله بن مسعود [1]، رضي الله عنهما مبلغاً يعينه على قضاء حوائجه ، وبعد انتهاء المدة طلبه عبد الله بن مسعود حتى أوصل الأمر إلى عثمان بن عفان ، فلامهما معاً ، وعزل سعد وأقر عبد الله بن مسعود على عمله [2] .

وهذا يظهر النزاهة التي تحلى بها أمراء المسلمين ، إذ إن والي الكوفة بنفسه يستدين مبلغ من بيت مال المسلمين ولم يقدر على سداده .

سادساً- أهل الجزيرة العربية ألفوا الحياة بها :

ألف العرب المقيمون في الجزيرة العربية الحياة وسط الصحراء بكل ما فيها من جفاف وجذب ، اختياراً منهم وليس عن إجبار أو إكراه ، ولم يفكر هؤلاء العرب أن يخرجوا من بلادهم بحثاً عن حياة أفضل ، أو واقع معيشي أوفر قبل نشأة الدعوة الإسلامية في تلك البلاد ، وهذا يدلل على أن هؤلاء العرب لم يخرجوا من أجل المال والثروة ، إذ إنهم لم يبحثوا عنه من ذي قبل .

كما أن إنشغال العرب بالتجارة قبيل الإسلام وفي ظله وكانوا ميسوري الحال لا يدلل على أنهم قد ضاقوا من الأوضاع المعيشية ، ولجئوا إلى تحسين أوضاعهم .

ويدلل على ذلك قول عبد الله بن عمرو بن العاص بقوله عندما عرض عليه المكوث خارج الجزيرة العربية في ظل الفتوحات الإسلامية لبلاد أفريقيا : لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة ، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها [3] ، في إشارة إلى حسن الحال في الحجاز وتأقلم أهلها مع البيئة التي يعيشون فيها .

كما أن في خلافة عمر بن الخطاب التي نشطت فيها الفتوحات تعرضت الجزيرة العربية لسنوات متلاحقة من الجفاف ووباء الطاعون الذي أودى بحياة العديد من سكانها وكذلك العراق والشام ومصر [4] ، مما يدلل على أن المناطق المفترض افتتاحها كالعراق والشام ومصر عانت أيضاً من نفس الكوارث .

سابعاً- الفتوحات تسير وفق سياسة الخليفة ومستشاريه :

حرص الخلفاء على تحقيق الشورى بين قادة الجيوش المتوجهة إلى الفتوحات ، فهذا أبو بكر يوصي يزيد بن أبي سفيان بمشورة أهل الحل والعقد ، وأهل العلم والخبرة ، ويشرح له الخطة العسكرية للجيش [5] ، وكذلك يوصي شرحبيل بن حسنة بمشاورة الصحابة ويحذرهم من استبداد الرأي [6] .

كما أن جيوش المسلمين التي كانت تتوجه من مكان إلى مكان كانت لا تتحرك إلا بعد قرار الخليفة ، فلم تتوجه جيوش المسلمين من دمشق إلى القدس إلا بعد موافقة عمر بن

---

(1) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، الإمام الحبر فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرةكان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين شهد بدرا وهاجر الهجرتين وكان يوم اليرموك على النفل ومناقبه غزيرة روى علما كثيؤا ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/280).

(2) الطبري (ج1/218).

(3) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/315).

(4) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (ج2 /487).

(5) الحاكم ، المستدرك (ج3 / 66).

(6) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (ج4 / 98).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب وعقده لمجلس كبار الصحابة [1] ، كما لم يتخذ قرار التوجه لمعركة نهاوند إلا بعد مشاورة عمر والصحابة [2] .

وكذلك لم يتخذ قرار فتح مصر على يد عمر بن العاص إلا بعد اجتماع مجلس كبار الصحابة برئاسة عمر بن الخطاب [3] .

كما لام عمر بن الخطاب عمرو بن العاص على مغامرته ومخاطرته بذهابه إلى بطريرك الروم في الشام عندما عزم على قتله [4] .

وكان الخلفاء يحذرون من المغامرة والمخاطرة في حياة الجنود المتوجهين إلى جبهات القتال وكان قولهم لقادة الجيش :" ما يسرني أن تفتحوا مدينة بها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم "[5] ، كما استدعى خليفة المسلمين القائد العسكري الذي دفع أحد جنوده للغوص في نهر حال بين المسلمين وبين العبور ومات ذلك الجندي من البرد ، فحمل الخليفة قائد الجند المسؤولية وأمر بدفع الدية للجندي [6] .

وقد أصاب عمر بن الخطاب الحزن الشديد رغم الذهب والجواهر واللؤلؤ والياقوت التي وضعت أمامه بعد فتح بلاد فارس، نظراً لاستشهاد النعمان بن المقرن ، وانصرف عن اللؤلؤ والياقوت وأخذ يبكي [7] .

كما حذر عمر بن الخطاب قادة الجيوش الإسلامية في تعقب الجيوش المنهزمة حفاظاً على حياتهم فقال :" وددت أن بيننا وبينهم سداً فلا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم ، وإني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال" [8] .

وكانت القرارات التي تتخذ لبدء الفتوحات الإسلامية تنتج بعد جلسات طويلة من المشورة وتبادل الآراء مع الخلفاء ومستشاريهم ، وكبار القادة المتخصصين ، فقد استشار موسى بن نصير الوليد بن عبد الملك عندما عزم على فتح الأندلس [9] ، بينما استشار سليمان بن عبد الملك [10]، فريق من القادة العسكريي ن قبل البدء بالحملة الشهيرة على القسطنطينية[11] [12] .

ومما يدلل على حفاظ الخلفاء والولاة على دماء المسلمين ، فقد لام موسى بن نصير طارق بن زياد على تهوره في فتح بلاد الأندلس بعدد الجيش القليل مقارنة بالمناطق الواسعة [13] ، كما أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك باستدعاء موسى بن نصير على جناح السرعة عندما بلغه أنه يريد أن يتقدم في بلاد أوروبا فاتحاً [14] .

---

(1) الواقدي ، فتوح الشام (ص 229).
(2) ابن حيان ، التقات (ج2 / 230).
(3) الواقدي ، فتوح الشام (ج2 / 28)؛ أبو زرعة ، تاريخ أبي زرعة (ج1 / 5).
(4) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق (ج46 / 156).
(5) البيهقي ، السنن الكبرى (ج9 / 42).
(6) المصدر السابق (ج8 / 323) .
(7) الطبري ، تاريخ (ج4 / 116).
(8) ابن خلدون ، المقدمة (ص253).
(9) ابن عذاري ، البيان المغرب (ج1 /140) .
(10) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو أيوب القرشي الأموي أمير المؤمنين، بلغت الدولة الإسلامية في عهده حالة من الازدهار، واتسعت الفتوحات الإسلامية إلى حد لم تصله من ذي قبل؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج17/339).
(11) القسطنطينية: وهي دار ملك الروم بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي في البر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/347).
(12) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج5 /179).
(13) المقري ، نفح الطيب (ج1/234).
(14) ابن خلدون ، المقدمة (ص45).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامناً- الأوضاع الاقتصادية للصحابة والخلفاء تدحض افتراءات المستشرقين:

شهد العديد من الصحابة ثروات اقتصادية وفيرة ، وفتح الله سبحانه وتعالى عليهم بالمال والثراء قبيل الفتوحات الإسلامية ، وكانت ثرواتهم المالية كبيرة ، ولم يكونوا بحاجة إلى غنائم الفتوحات حتى يغنوا من ورائها .

كما كانت مصاريف العديد من الخلفاء بالكاد يقضونها من راتبهم الشهري الذي تخصصه لهم الدولة ، ولم نر أن أياً منهم قد ظهر عليه الغنى أو الثراء حتى بعد الفتوحات الإسلامية .

وقدرت غلة طلحة بن عبيد الله التميمي اليومية من إحدى ضياعه في العراق ما بين ألف وألفي ورق [1] .

وكذلك الزبير بن العوام بلغت ثروته حداً كبيراً وكان له ألف مملوك يؤدون له الخراج [2] .

وأما الخلفاء فبعد وفاة أبي بكر الصديق لم يوجد في بيت مال المسلمين إلا دينار واحد [3] .

وكان عمر بن الخطاب يضطر للاستلاف من بيت مال المسلمين [4] .

وتذكر الروايات أنه عندما طعن أوصى ولده عبد الله ببيع أملاكه لتسديد ديونه ، وقد فعل عبد الله ذلك وسدد ديون أبيه لبيت مال المسلمين إذ حملها للخليفة عثمان وأشهد على ذلك [5] .

كما كان خازن بيت مال المسلمين يطالب الخليفة عثمان بن عفان بما عليه من قروض ويلح عليه في الطلب [6] .

كما رفض علي بن أبي طالب طلب أخيه عقيل بالإستدانة من بيت المال رغم إلحاحه وكان يقول له : أتريد أن يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين [7] .

وقد شوهد معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين وعليه قميص مرقوع يسير في أسواق دمشق [8] ، بينما تذكر بعض الروايات أنه كان يركب بغلاً كبقية المواطنين [9] .

وقد جسد عمر بن عبد العزيز نموذجاً مشرق في العدل والمساواة ، فكان يتساوى مع رعيته بالمأكل والمشرب والمسكن ، فعين موظفاً يمنع الناس من تقبيل الأرض بين يديه ، والانحناء له [10] ، كما اشتد على نفسه كثيراً في الطعام والشراب والمسكن والهموم ، فهزلت صحته [11] ، ولصق جلده بعظمه من شدة الضعف [12] .

---

(1) ابن سعد ، الطبقات (ج3 /220) .
(2) المصدر السابق (ج3 /110) .
(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ج2 /271).
(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (ج2 / 267)؛ ابن بطال ، مختصر تاريخ دمشق (ج6 /40).
(5) مالك ، الموطأ (ج2/ 687) .
(6) ابن الجوزي ، المنتظم (ج5 /143).
(7) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (ج1 / 61) .
(8) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج8 /134).
(9) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (ج59 /171)؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء (ج3 /152).
(10) ابن تيمية ، كتب ورسائل وفتاوى (ج27 /93).
(11) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر (ص42).
(12) ابن الجوزي ، سيرة عمر (ص70).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاسعاً- مساءلة الخلفاء لقادة الجيش تفند مزاعم المستشرقين :

كان الخلفاء يسألون قادة الجيش والصحابة عن ثروتهم التي يتحصلون عليها ويطبقون القاعدة العمرية التي تقول : من أين لك هذا ؟ ، وكانوا يجبرون بعضهم على إرجاع ما حصلوه من مال إلى خزينة الدولة إن ثبت عدم مشروعيته .

وكان الخلفاء يحظرون على الولاة الدخول في صفقات ، وكان عمر يسأل عماله الذين يظهر عليهم الثراء ويقول لهم : لم نبعثكم لتتاجروا ، ويأخذ منهم ما يحصلوه من الربح [1] .

كما وضع أبو هريرة ضمن المساءلة عندما عاد من البحرين ، فبرر أبو هريرة أن هذا المال ثمن خيل له تناتجت وسهام اجتمعت ، ورغم ذلك غرمه اثني عشر ألفاً [2] .

كما قاسم عمر بن الخطاب خالد بن الوليد الذي حقق أعظم الانتصارات [3] .

وأجبر عمر بن عبد العزيز ابنه الذي اشترى خاتماً بألف درهم بأن يبيعه ويتصدق بثمنه للفقراء ، ويشتري له خاتماً بدرهم واحد يلبسه [4] ، كما قام برد معظم أمواله وأراضيه ومزارعه التي ورثها عن أبيه لبيت مال المسلمين [5] .

وكان الخفاء في الدولة الإسلامية شديدي المسائلة عن أموال الدولة ، فكان عبد الملك بن مروان يدخل الجباه وموفو الخراج التحقيق للمسائلة عند اعتزالهم أو عزلهم ، أو عندما يظهر عليهم الثراء ، وقد يستخدم معهم العنف حتى يردوا ما أخذوا من بيت مال المسلمين ، وكان هناك أماكن خاصة للتحقيق مع الولاة والجباة تسمى دار الاستخراج [6] .

وقد تم تغريم عبيد الله بن زياد [7]، وعبد الرحمن بن أم برتن [8]، مئة ألف درهم [9] ، وغرم الحجاج بن يوسف الثقفي [10]، المهلب بن أبي سفرة [11]، ستة ملاين درهم [12] ، سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير مئتي ألف درهم [13] ، وغرم هشام بن عبد الملك والي الكوفة عمر بن هبيرة[14]، ألف ألف درهم [15] .

([1]) ابن عبد ربه ، العقد الفريد (ج1 /55).
([2]) ابن بطال ، مختصر تاريخ دمشق (ج8 /489).
([3]) ابن الأثير ، الكامل (ج2 /381).
([4]) ابو نعيم ، حلية الأولياء (ج5 /306) .
([5]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (ج5/ 388)؛ يقوت الحموي ، معجم البلدان (ج4 / 239).
([6]) الجاحظ ، البيان والتبيين (ج1 /234) .
([7]) عبيد الله بن زياد: أمير العراق، أبو حفص. ولي البصرة سنة خمس وخمسين، وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان، فكان أول عربي قطع جيحون، وافتتح بيكند، وغيرها؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (508/4)؛ الزركلي، الأعلام (ج4/508).
([8]) عبد الرحمن ابن أم برثن: الأمير عبد الرحمن بن آدم البصري، روى عن: أبي هريرة، وجابر، وعبد الله بن عمرو؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج5/143).
([9]) الطبري ، تاريخ (ج6 / 131) .
([10]) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة)؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج2/168).
([11]) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكيّ أبو سعيد، أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولد في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، وفقئت عينه بسمرقند؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (350/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج7/315).
([12]) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج9 /28).
([13]) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (ج1 / 294) ؛ المقري ، نفح الطيب (ج1 /279) .
([14]) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين: أبو المثنى الفزاري الشامي الأمير؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج5/551).
([15]) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (ج1 /364).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن كان يرفض نظام المقاسمة من العمال كان يتم اعتقاله وحبسه في دار الاستخراج حتى يدفع ما حصل عليه بطرق غير مشروعة [1] .

وقد باع عمر بن عبد العزيز كل ما يملك من مزارع وعيون وثياب وعطور وغيرها وردها إلى خزينة الدولة [2] ، كما باع مراكب الخلافة ووضع ثمنها ببيت مال المسلمين [3] [3] ، وتنازل عن راتبه لبيت مال المسلمين ورفض أن يأخذ راتباً يوازي راتب عمر بن الخطاب وقال : "كان عمر ليس له مال ، وأنا مالي يغنيني" [4] ، كما رفض أخذ الهدية واعتبرها رشوة [5] .

وقد أجبر الخليفة هشام بن عبد الملك خالد القسري [6]، على إعادة أرض الغوطة التي التي اشتراها لأنها أرض خراجية ، ولا يجوز بيعها أو شراؤها ، لأنها من مقدرات الأمة [7] .

وأوقف عمر بن الخطاب كذلك قسمة الأراضي التي فتحها المسلمون ، رغم تصدي فريق من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف [8]، وبلال بن رباح لهذا القرار ، مما دفع عمر أن يرفع يديه قائلاً : "اللهم اكفني بلال وأصحابه" [9] ، وهذه دلالة على تشديد الدولة الإسلامية في توزيع الغنائم التي تحصل عليها المسلمون من فتوحاتهم .

([1]) الجاحظ ، البيان والتبيين (ج2 / 43).
([2]) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر (ص150).
([3]) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (ج5 /126) ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء (ص261).
([4]) ابن عبد ربه ، العقد الفريد (ج5 /24).
([5]) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، (ج45 /220) .
([6]) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري: من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل، من أهل دمشق، ولي مكة سنة 89هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام الكوفة والبصرة، سنة 105 هـ ؛ ينظر: الزركلي، الأعلام(ج2/297).
(7) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج1 /587).
([8]) عبد الرحمن بن عوف : بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أبو محمد وأحد العشرة وأحد الستة أهل الشورى وأحد السابقين البدريين القرشي الزهري وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام له عدة أحاديث؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/49).
([9]) البلاذري ، فتوح البلدان (ص268).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الدوافع القومية والسياسية والاجتماعية والرد عليها

أولاً : الدوافع القومية والرد عليها :

شكك الكثير من المستشرقين الغربيين في دوافع المسلمين للجهاد وفي مغزى الفتوحات الإسلامية التي حققوها ، وأرجع عدد منهم تلك الفتوحات لدوافع قومية محضة ، ولم تكن من أجل نشر الدعوة والدين الإسلامي .

ورغم أن الإسلام لم يعارض انتماء الإنسان إلى وطنه أو عشيرته أو أهله ، بل يشجع على التواصل معهم والاطمئنان عليهم ، غير أنه يرفض أن تقدم العشيرة أو الوطن على العقيدة .

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر عندما آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة وجعل القومية وراء ظهورهم .

وأشار العديد من المستشرقين في كتاباتهم إلى أن سهولة الفتوحات التي تمت في بلاد الشام والعراق ومصر على حد سواء كانت بسبب وجود العرب في تلك المناطق الذين اعتبروا الصحابة الفاتحين من بني جنسهم ، يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام السابقين من الروم والفرس [1] .

بينما يرى ألفرد بل [2]، أن نجاح الفتوحات الإسلامية ووصولها إلى بلاد الشمال الأفريقي كان بسبب تنظيم الجماعات العربية البدوية الفقيرة تحت لواء الإسلام نظاماً وشريعة ، الأمر الذي جعل منها قوة متماسكة [3] ، وأما فولهاوزن فقد ذكر أن الإسلام والعروبة شيئ واحد [4]

بل يرى آخرون أن البلاد التي تم فتحها على يد المسلمين تمت معاملتها على أنها مستعمرات ، واقتصر المسلمون على المعسكرات الحربية فقط بها ، ومنعوا التآخي مع أهل البلاد ، كما قرر عمر بن الخطاب ألا ينتقل العرب للسكن في هذه المناطق [5] .

وانتشر الإسلام بين أوروبا الآخذة مدنيتها بالتقهقر، وبين آسيا التي تسترجع عافيتها ، وحير الإسلام العالم بفتوحاته الواسعة الذي كان مجهول الاسم واكتسح في بضع سنوات الدولة الساسنية، ثم استولى على ولايات الإمبراطورية البيزنطية في آسيا وأفريقيا ، ووصلت جيوشه إلى أسبانيا وصقلية، وسيطر على بعض المقاطعات غرب وجنوب أوروبا ، ودقت جيوشه أبواب الهند والصين بعنف ، وهدد فرنسا والقسطنطينية ، وتهاوت الدول أمامه ، وذابت الأديان التي كانت تسيطر على الشعوب حيناً من الزمان [6] .

([1]) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية (ج1/93)؛ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (ص24)؛ برنارد لويس ، العرب في التاريخ (ص52)؛ ويل ديورنت ، قصة الحضارة (ج13/72).

([2])ألفرد بل : مواليد 1973 ، درس تاريخ شمال أفريقيا وجغرافيتها ، وبحث أساطير العرب ، وترجم العديد من الكتابات العربية؛ ينظر: العقيقي ، المستشرقون (ص256) .

([3]) بيل ، ألفرد ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (ص76).

([4]) تاريخ الدولة العربية (ص57).

([5]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص71).

([6]) بروي ، إدوارد ، تاريخ الحضارات العام (ج3/109).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتفنيداً لتلك المزاعم التي أطلقها المستشرقون وأرجعوا فيها الفتوحات الإسلامية لدوافع قومية نذكر التالي :

1 - أن كثيراً من المستشرقين الغربيين الذين بثوا سمومهم في كتاباتهم ، وزعموا أن الفتوحات الإسلامية قد تمت بسهولة ويسر بسبب إعانة العرب للصحابة الفاتحين، تغاضوا عن الكثير من المعارك وأحداث المواجهة التي وقعت بين المسلمين وخصومهم سواء كان في بلاد الشام أو مصر أو العراق قاتل فيها العرب ضد الصحابة الفاتحين .
فقد شاركت العرب المتنصرة الفرس بقيادة هرمز ضد المسلمين في معركة ذات السلاسل ، كما واجه خالد بن الوليد جموع الفرس بقيادة مهران بن بهرام [1]، وجمعاً عظيماً من العرب في معارك العراق الأولى ، وتمكن المسلمون من هزيمة تلك الجموع في معركة عين التمر [2]، إذ أصر الفرس على مواجهة العرب للعرب في تلك المعركة قائلين : العرب أدرى بقتال العرب [3] ، كما انضم العرب إلى الفرس وحاربوا بجانبهم يوم الأنبار [4] .
وفي بلاد الشام وقفت العرب المتنصرة إلى جانب الروم بقيادة باهان ، وهزموا المسلمين في معركة مرج الصفر [5]، الذين كانوا بقيادة خالد بن سعيد بن العاص [6] .
وفي أجنادين [7]، شاركت العرب المتنصرة ضد المسلمين [8] ، بينما شارك العرب بزعامة جبلة بن الأيهم [9]، جنباً إلى جنب مع الروم في معركة اليرموك ، وكانوا في الصفوف الأولى في جيش باهان قائد الروم [10] .
ويذكر المؤرخون الغربيون أن الإسلام لاقى في طريقه مقاومة من العرب والوثنيين ، فقد صدوا عن الإسلام بسبب عوائدهم وشعائرهم القديمة [11] .

2 - اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى وشريعته أن يكون المصدر الأساسي للإسلام وتشريعاته هو الله سبحانه وتعالى ، بينما مصدر القومية هي الجاهلية وعقول البشر القاصرة ، ولذا فإن الإعراض عن الدين ، والاحتكام للقومية لا يجوز في الدين الإسلامي ، وكذلك الموالاة بين المسلمين تكون بالإسلام وليس بالقومية والعصبية وهذا تصديقاً لقول الله سبحانه :" وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ "[12].

3 - لو كانت الفتوحات الإسلامية تتم بالدافع القومي، لكانت القومية هي العامل المؤثر لهؤلاء الفاتحين ، فأين كانت قومية العرب قبيل إسلامهم ، ولماذا لم تحركهم وتحفزهم

([1]) مهران بن بهرام: قائد عربي متنصر، وقف في وجه جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في موقعة عين التمر؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج6/349).

([2]) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جدًا، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة12 للهجرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (176/4).

([3]) الطبري ، تاريخ (ج3/376) ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ج2/ 394).

([4]) الطبري ، تاريخ (ج3/374) .

([5]) مرج الصفر: موضع بين دمشق والجولان صحراء كانت بها وقعة مشهورة بين المسلمين والروم في خلافة أبو بكر الصديق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج3/414).

([6]) المصدر السابق (ج3/389).

([7]) أجنادين: وهو موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين من الرملة من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة، بين المسلمين والروم، مشهورة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج1/103).

([8]) المصدر نفسه (ج3/318) .

([9]) جبلة بن الأيهم الغساني: أبو المنذر. ملك آل جفنة بالشام، أسلم وأهدى للنبي -صلى الله عليه وسلم- هدية، فلما كان زمن عمر ارتد ولحق بالروم، وكان داس رجلا، فلكمه الرجل فهم بقتله، فقال عمر: الطمه بدلها، فغضب وارتحل، ثم ندم على ردته؛ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج4/500).

([10]) البلاذري ، فتوح البلدان (ص140)؛ الطبري ، تاريخ (ج3/395).

([11]) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص63) .

([12]) [التوبة : 71].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدلاً من الاقتتال والعصبية التي كانوا يعيشون في ظلالها ويسفكون دماء بعضهم البعض ، ويعيشون في جاهلية وتخلف وانحطاط .
ولو كان العامل القومي هو السبب للفتوحات الإسلامية كما يزعمون ، فلم وصلت الفتوحات الإسلامية وامتدت إلى زمن الأكراد والسلاجقة والأتراك أيضاً .

ثانياً: الدوافع السياسية والرد عليها :

أرجع العديد من المستشرقين الغربيين الفتوحات الإسلامية إلى أسباب سياسية كضعف الدولتين الفارسية والرومية بسبب الحروب والصراعات التي كانت تدور بينهما في تلك الحقبة ، بالإضافة إلى الضعف السياسي والحربي التي كانت تعاني منه تلك الإمبراطوريتان .

ويذكر المستشرق الفرنسي (ألفرد بل) (1873 - 1845) بأن الضعف السياسي والاجتماعي الذي أصاب الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية والتي أنهكت كلا منهما الأخرى كانت سبب رئيسي في وصول المسلمين إلى أهدافهم ، وفتحهم لتلك البلدان [1] .

بينما يرى آخرون بأن عوامل الانحلال والانحطاط التي كانت موجودة في دولتي الفرس والروم، كانت مؤشراً وعاملاً مهماً لتقدم المسلمين صوبهما، فضلاً عن مظالم الحكام والاختلافات الدينية وإنهاك الحروب لهما [2] .

وأما كاهن فيرى أن أي من الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم يكن لديه النية في القضاء على الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية ، غير أن الضعف المذهل الذي كان يدب في أوساط تلك الإمبراطوريتين، فضلاً عن الانتصارات السريعة التي أحرزها المسلمون حرك طموحهم ليصل إلى حدود العالم خلال سنوات قليلة [3] .

ويرى آخرون بأن استبداد القسطنطينية وجور الحكام في فرض الضرائب الباهظة ، وسلب الأموال دفع الناس للدخول في الإسلام [4] .

ويزعم بعض المستشرقين الغربيين أمثال: بروكلمان، وديورانت، وغيرهم بأن سرعة الفتوحات الإسلامية كانت بسبب؛ ضعف الإمبراطوريتين الفارسية والرومية [5]، الأمر الذي سهل تقدم الجيوش الإسلامية الفاتحة للسيطرة على تلك البلدان .

بينما يرى سيدو أن الروم والفرس أضعفتهما الحروب، فبدوا غنيمة سهلة لمن يعرف كيف يأخذها [6] .

أما لابيدوس فيرى أن الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية كانتا منهكتين عسكرياً جراء العقود العديدة من الحروب قبيل الغزوات العربية الإسلامية [7] .

ويذكر فلوتن بأن أهل البلاد المفتوحة الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب الباهظة قبيل الفتح لم يقاوموا أولئك الفاتحين أي مقاومة تذكر [8] .

([1]) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (ص76) .
([2]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص166) .
([3]) الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص42) .
([4]) كاستري ، الإسلام خواطر وسوانح (ص39).
([5]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص190) ؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية (ص90)؛ ويل ديورنت ، قصة الحضارة (ج12/354).
([6]) تاريخ العرب العام (ص116).
([7]) تاريخ المجتمعات الإسلامية (ص100).
([8]) السيادة العربية (ص3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الدوميلي أن سكان مصر وسوريا الساميين الذين ذاقوا المعاناة بسبب الضرائب من الدولتين البيزنطية والساسانية رأوا في العرب محررين مخلصين ، كما أن المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعة بالشرق اعتمدوا على التسامح الديني بعد أن ذاقوا الاضطهاد من نصارى القسطنطينية [1] .

وتفنيداً لهذه المزاعم يرد الباحث بالتالي :

1 - لم يسجل التاريخ أن المسلمين انتصروا في معركة ضد أعدائهم وكانوا أكثر عدداً وعدة من خصومهم ، إذ إنهم لم يحسبوا حساباً للأعداد الهائلة والجموع الكثيرة التي واجهوها لأنهم مؤمنون بمنهج ربهم الذي يقول:" كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ " [2] ، وكانوا متيقنين بقوة إيمانهم وتوكلهم على ربهم ضد الجموع التي يواجهونها مستحضرين قول الله سبحانه وتعالى:" ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ " [3] .

وتشهد بذلك عشرات المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم وانتصروا فيها رغم قلة عددهم كاليرموك والقادسية وفتح الأندلس وغيرها .

ويرى فيليب حتي[4]، وصول الدولة الإسلامية إلى أقصى اتساعها من شواطئ المحيط الأطلسي غرباً إلى نهر الأندلس وتخوم الصين شرقاً، هو اتساع لم يوجد له مثيل في العصور القديمة ، ولم تبلغه أي إمبراطورية في العصور الحديثة [5] ، إلا أن هذا الاتساع الكبير كان بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وليس بجهد الصحابة الفاتحين فقط ، فقد فتح عمرو بن العاص مصر بنحو ثلاثة آلاف وخمسمئة مقاتل [6] .

وانتصر المسلمون على الروم انتصاراً ساحقاً في معركة اليرموك رغم التفوق الروماني الكبير على المسلمين عدداً وعدة [7] .

وقد أشار أبو بكر الصديق إلى ذلك بقوله:" إن الله لم ينصرنا مع نبيه صلى الله عليه وسلم بكثرة العدد ولا بكثرة الجنود "[8] .

و كان المسلمون يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة [9] .

وقد وصف أعظم ملوك الإفرنج المسلمين فقال : "كالسيل يحمل من يصادره ، وهم في إقبال أمرهم ، ولهم نيات وعزائم تغني عن كثرة العدد ، وقلوب تغني عن حصانة الدروع" [10] .

كما تؤكد إجابة موسى بن نصير للخليفة سليمان بن عبد الملك أن انتصارات المسلمين بتوفيق الله سبحانه وتعالى واللجوء إليه ، لا سيما عندما سأله علام كنت تلجأ مع حربك مع عدوك ، فأجاب بالتوكل والدعاء والاستعانة بالله [1] .

([1]) العلم عند العرب (ص81).
([2]) [البقرة :249].
([3]) [آل عمران : 173].
([4]) فيليب حتى : مستشرق لبناني الأصل ، متأمرك ، حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا بأمريكا ، أبرز مؤلفاته : تاريخ العرب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، يعد ألذ أعداء الإسلام ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكيا؛ السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم (ص43) .
([5]) تاريخ العرب (ص270).
([6]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/249).
([7]) المصدر السابق (ص141).
([8]) الكاندهلوي ، حياة الصحابة (ج4 /640).
([9]) الطبري ، تاريخ (ج3 /344).
([10]) المقري ، نفح الطيب (ج1 / 274).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن لصلاح القادة وقوة إيمانهم ارتباطاً وثيقاً بالنصر الذي حققه المسلمون في فتوحاتهم، فقد أمر موسى بن نصير المسلمين بالصيام والدعاء والصلاة عندما عم القحط عليهم بأفريقيا ، ثم خطب بهم فسقوا من السماء [2] .

2 - أن إمبراطوريتي الروم والفرس اللتين زعم المستشرقون أنهما كانتا في ضعف وتراجع تمكنتا من حشد مئات الآلاف من المقاتلين ، وجيشت الجيوش من أجل مواجهة الجيش الإسلامي ، فضلاً عن الإمكانيات الهائلة في العدة والعدد والخبرة الواسعة في ميادين القتال، ولا سيما معركتي اليرموك والقادسية وغيرهما الكثير [3]، فكيف لإمبراطورية تملك هذه الإمكانيات تكون ضعيفة ، ولماذا أصرت هاتان الإمبراطوريتان على مواجهة المسلمين في أكثر من معركة وميدان .

3 - أن انتصارات المسلمين لا يحققونها بكثرة العدد والعدة ، ولا بضعف أو قوة أعدائهم ، وإنما بتقوى الله سبحانه وتعالى وإخلاص النية لله ، فوصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره فيها ومن معه بتقوى الله ، لأن تقوى الله أفضل عدة على العدو ، وأقوى مكيدة في الحرب ، ويأمره فيها أن يبتعد عن الذنوب لأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، إذ لولا ذلك لم تكن للمسلمين بهم قوة [4]، وكذلك وصية خالد لجنده يوم اليرموك عندما قال لهم :"بأن هذا يوم لا ينبغي فيه الفخر ، فأخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم " [5].

وتحفيزه أيضاً للجيش الإسلامي بخطابه يوم اليرموك عندما سمع رجل يقول :"ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فرد بقوله : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان ، لا بعدد الرجال" [6] .

ويرجع جلوب انتصار المقاتلين المسلمين إلى روحهم المعنوية العالية ، وتطلعهم للشهادة طمعاً بالجنان التي وعدوا بها ، فكانوا يقاتلون بحمية تفوق ما لدى أعدائهم من تفوق في السلاح والانضباط [7] .

ولم يأخذ المسلمون بالحسبان في أي معركة التفوق العددي لأعدائهم ، إذ إن قادتهم كانوا على درجة عالية من الحنكة والذكاء ، فضلاً عن الروح المعنوية القتالية العالية التي كانوا يتحلون بها [8] .

ثالثاً : الدوافع الاجتماعية والرد عليها :

لقد جلب المسلمون معهم في هذه الفتوحات أشكالاً متميزة في مجالات التنظيم الاجتماعية والاقتصادية مما كان له الأثر بقبول الجماهير في عالم كان يعتمد نظام الرق ويمر بحالة التفسخ التام [9].

أرجع عدد من المستشرقين الفتوحات الإسلامية إلى دوافع اجتماعية ، ورأوا أن الفتوحات ما هي إلا وسيلة لتحرير العرب .

وقد ربط "جب " التغيرات الاجتماعية بالتغيرات الوطنية والقومية [1] ، بينما رأى "بروكلمان " أن الفتوحات الإسلامية هدفت لإخضاع الأعاجم لسلطان العرب قبل كل شيء [2] ، وأما "فلوتن" فرأى أن الفتوحات الإسلامية تمت بدافع وطني أكثر منه دافع ديني [3].

([1]) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (ج2/83).
([2]) ابن عذاري ، البيان المعرب (ص146).
([3]) الطبري، تاريخ(3/568)؛ ابن الأثير، الكامل (2/410).
([4]) العقد الفريد، ابن عبد ربه (ج1/117).
([5]) الطبري ، تاريخ (ج3/395).
([6]) المصدر السابق (ج2/298).
([7]) الفتوحات العربية الكبرى (ص217) .
([8]) اليعقوبي ، تاريخ (ج1/144).
([9]) كارودي ، روجيه ، حوار الحضارات (ص101).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى سارتون جورج أن الفتوحات العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع ، وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون في سلم المدينة ، وإنما صراع بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة [4].

وقد بدا سكان المناطق التي يريد المسلمون فتحها مستعدين لاستقبال أي فاتح بترحاب ليخفف عنهم وطأة الحياة [5] .

ويرى ريسلر أن الانتصارات المدوية للعرب كانت بسبب الخلق السامي الذي تشربه العرب من الدين الجديد وطبعهم على احتقار الموت ، فجعلهم لا يغلبون [6] .

ويصف ديورنت الفتوحات الإسلامية بأنها حادث جلل تمخض عنها استيلاء المسلمين على نصف عالم البحر المتوسط ونشر الدين الجديد في ربوعه ، واصفاً هذه الظاهرة بأنها من أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى [7] .

ويمكن تفنيد تلك الاتهامات بالتالي :

1 - أن التغييرات الاجتماعية التي نشرها المسلمون في المجتمع الإسلامي شملت النواحي كافة، فقد انتشر العدل والمساواة والتسامح والتعايش والمحبة والإخاء بين أبناء المجتمع الواحد، وتم إنهاء مظاهر اجتماعية قديمة كانت سائدة في الجاهلية واندثارها إلى الأبد ، كما شمل التغيير الاجتماعي الرجال والنساء على حد سواء .
ورداً على ذلك يرى روزنثال أيضاً أن المدينة المنورة قد نمت بالتوسع وليس بالتعمق ، كما يرى أن الدعوة إلى الإسلام أدت إلى تهاوي الحواجز القديمة من العادات واللغة ، وسنحت الفرصة لجميع الشعوب لتبدأ حياة فكرية جديدة قائمة على المساواة [8] .
وساد الإسلام لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي قدم للبشرية ، فانتشر لأنه كان يجد في كل مكان شعوب بليدة تسلب وتظلم وتخوف ولا تعلم ولا تنظم وكذلك وجد حكومات سقيمة أنانية لا يوجد بينها وبين شعوبها أي تواصل ، وكان النظام الإسلامي الجديد يهب بني الإنسان نظاماً أفضل من أي نظام آخر، بينما كان الأدب والثقافة والتقاليد الاجتماعية في أوروبا قد انحلت انحلال تاماً وانهارت قبل أن ينشأ الإسلام [9].
وحصلت المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي على كامل حقوقها فكانت المربية وكانت المعلمة والمجاهدة ، وقد سجل التاريخ نماذج مشرفة لتلك النساء ، فهذه أم عمارة[10]، تصول وتجول يوم أحد ، وتلك أم حرام[11]، تستشهد في قبرص [12] ، بينما قدمت تماضر بنت عمرو[13]، الملقبة بالخنساء أولادها الأربعة شهداء في القادسية [1] .

([1]) دراسات في حضارات الإسلام(ص8).
([2]) تاريخ الشعوب الإسلامية (ج1/107).
([3]) السيادة العربية (ص13) .
([4]) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط (ص46).
([5]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص143) .
([6]) ريسلر، الحضارة العربية (ص93) .
([7]) قصة الحضارة (ج13/7).
([8]) علم التاريخ عند المسلمين (ص46).
([9]) ويلز ، معالم تاريخ الإنسانية (ج3/649).
([10]) أم عمارة: سبية بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين شهدت ليلة العقبة وشهدت أحدا والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة وجاهدت وفعلت الأفاعيل، روي لها أحاديث، وقطعت يدها في الجهاد؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/515) .
([11]) أم حرام: بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية النجارية المدنيةأخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك وزوجة عبادة بن الصامت؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3/537).
([12]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج1/58).
([13]) تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله صلّى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - أن الدين الإسلامي ألف بين القلوب، وآخى بين الناس ، وجعلهم إخوة متحابين بعد أن أنهكتهم الصراعات والحروب والفتن والعصبية التي دفعتهم للاقتتال من أجل أسباب واهية وأصبح المجتمع الإسلامي قائماً على تقوى الله سبحانه وتعالى والطاعة والعبادة والعمل الصالح ، وتجلى فيه قول الله سبحانه وتعالى :" لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [2].

كما أظهرت رسالة القرآن ، أنها تقدمية بشكل جوهري وهذا ما يفسر ظاهرة انتشار الإسلام السريع بصورة عجيبة بداية نشأته [3] .

3 - أن قادة الفتوحات الإسلامية الذين تعرضوا للاتهامات كانوا أكثر الناس تقوى وإيماناً وحرصاً على ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بقوله : "اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص " [4] ، وقال أيضاً : "ابنا العاص مؤمنان هشام – عمرو" [5] .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بخالد بن الوليد بقوله : "لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله " [6] ، وقال فيه عمر بن الخطاب بعد وفاته : "رحم الله أبى سليمان كان على ما ظننا به " [7] ، وأما عكرمة بن أبي جهل الذي سطر أروع أمثلة التضحية والفداء، وقتل شهيداً يوم اليرموك لم يعرف له ذنب بعدما أسلم [8] ، وأما أبو سفيان بن حرب فقد قاتل قتالاً مستميتاً يوم اليرموك وحرض المسلمين على الثبات حتى فقد عينه [9] .

ويستنتج من الفقرة السابقة أن قادة المسلمين الذين أسلموا في وقت متأخر ، غيرتهم عقيدة الإسلام وأصبحوا قادة فاتحين بعد أن عادوا الإسلام وأهله ، وقدموا نماذج مشرفة لخدمة الدعوة الإسلامية ، ونصر الحق وأهله ، ومواجهة أعداء الله سبحانه وتعالى ، وهذا يدلل على أن الإسلام غير العادات الاجتماعية التي كانت سائدة قبل الإسلام إلى منهج الإسلام وشريعته وأصالته .

وقد تعجب المؤرخون الغربيون من تواضع الخلفاء ومساواتهم بشعوبهم ، وعدم تميزهم ، فقد كان شهورهم بالعدل قوياً بعيداً عن المحاباة والتمييز [10] ، بينما الخلفاء أنفسهم حريصين على تحويل مبادئ المساواة إلى سلوك على الأرض ، بتطبيقهم القوانين التي أقرها القرآن ، وسطرها نبيهم في أقواله ، وتحققت المساواة في عصرهم في شتى مجالات الحياة حتى شملت أنحاء الدولة كافة والجنود على الحدود وفي ساحات المعارك [11] .

الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء! أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها، صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية لها ديوان شعر، فيه ما بقي محفوظا من شعرها وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة 16 هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الّذي شرفني بقتلهم ينظر: الزركلي، الأعلام (86/2).

(1) ابن اعتم، الفتوح(ج202/1) .

(2) [الأنفال : 63].

(3) بوزار ، مارسيل ، إنسانية الإسلام (ص74).

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (ج64/4).

(5) ابن سعد ، الطبقات (ج141/4) .

(6) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (ج374/1) .

(7) ابن سعد، الطبقات (ج121/1).

(8) ابن كثير ، البداية والنهاية (ج38/7).

(9) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (ج262/1).

(10) موير ، الخلافة من تواضع الخلفاء (ص154 - 155).

(11) ايرفينج ، واشنجتون ، محمد وخلفاؤه (ص206 – 210) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتذكر الروايات أن الخلفاء كان لهم هيبة فقد ذكر الأمير الفارسي الهرمزان عندما وجد عمر نائماً متوسداً درته فقال : "والله إني خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان ، فما هبت أحداً منهم كهيبتي لصاحب هذه الدرة" [1] .

(1) الثعالبي ، ثمار القلوب (ج1 / 86) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

شهادات المستشرقين الغربيين المنصفين للفتوحات الإسلامية

أشاد الكثير من المستشرقين الغربيين بالنهج الذي اتبعه المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية التي نشروا فيها الدين الإسلامي ، وأنصف هؤلاء المستشرقون الإسلام بطريقة رائعة ، أشادوا فيها بالتسامح والعدالة التي سلكها المسلمون في تلك الطريق .

ويقسم الباحث شهادات أولئك المستشرقين المنصفين إلى عدة محاور ثم يستحضر آراء أولئك المستشرقين في كل محور من تلك المحاور .

أولاً : التسامح والأخلاق :

أشاد الكثير من المستشرقين الغربيين بالتسامح الكبير والأخلاق العالية التي تحلى بها الفاتحون المسلمون في سياستهم التي انتهجوها في نشر الدعوة الإسلامية، وكان لها الأثر الكبير في استقطاب الكثير من الناس إلى الدين الإسلامي.

ولم يخف هؤلاء المستشرقون رغم اختلافهم في العقيدة مع المسلمين الحقائق التي وقعت على الأرض، ودونوها بمداد من ذهب وشهدوا من خلالها للمسلمين شهادات سجلها التاريخ وبينوا من خلالها أن المسلمين كانوا أبعد ما يكونون عن الظلم والقهر والسلب والقتل وغير ذلك.

ويشيد أحد المستشرقين الغربيين بالمسلمين بقوله: "لم يظهر فاتحون بالغوا بالتسامح كما فعل العرب ، فمن يرى الدعوة للإسلام أو الجزية تسبق القتال ، حينها يدرك أنه ليس أعطف على السلام على هؤلاء من الإسلام" [1] .

ويذكر المستشرق فون كريمر بأن العرب والمسلمين كانوا مثالاً للخلق الكريم في حروبهم ، إذ حرم عليهم الرسول قتل الرهبان والنساء والأطفال والمكفوفين كما حرم عليهم قطع الأشجار وإتلاف المزارع [2] .

ويرى أحد المستشرقين الغربيين غوستاف لوبون أيضاً أن حلم العرب وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم وفي سهولة اعتناق دينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات ، وبقيت قائمة حتى بعد نهاية سلطان العرب عن مسرح العالم [3] .

بل يذكر المستشرق الفرنسي كاستري بأن شيعة محمد صلى الله عليه وسلم، هم الوحيدون الذين استطاعوا أن يجمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم ، وهذه المحبة هي التي مهدت الطريق أمام المسلمين في فتوحاتهم [4] .

وتدلل معاملة المسلمين للنصارى على ترفع في المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف ، وهو إحساس لم يشاهد في أقوام غير المسلمين في ذلك الوقت [5] .

([1]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص120 – 122).
([2]) المصري ، دواعي الفتوحات الإسلامية (ص40).
([3]) حضارة العرب (ص605).
([4]) الإسلام خواطر وسوانح (ص37).
([5]) المصدر السابق (ص44).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و جمع أتباع محمد بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم ، إذ دفعت هذه المحبة العرب ليواصلوا فتوحاتهم ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة بدءاً بالشام ومروراً بأفريقيا الشمالية من البحر الأحمر حتى المحيط الأطلنطي ، ولم يترك المسلمون في فتوحاتهم أثراً للعسف إذ كانوا يخيرون كل أمة يلتقونها بين واحد من ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحرب [1] .

وقد اندفع سكان آسيا وشمال أفريقيا إلى الإسلام وهربوا إليه من الضرائب الفادحة والأموال الباهظة التي كانت تفرضها عليهم القسطنطينية ، والتي كان جورها وظلمها قد بلغ ذروته ، ووصل جور حكامها إلى حد إزهاق النفوس [2] .

أما كايتاني فيرى أن المسيحية التي اختلطت بالغش والزيف ، وتمزقت بسبب الانقسامات الداخلية وتزعزعت عقائدها الأساسية واستولى على رجالها اليأس والقنوط من تلك الشكوك لم تعد قادرة على مقاومة إغراء الدين الجديد الذي بدد كل الشكوك التافهة ، وقدم مزايا واضحة لا تحتمل الجدال والتشكيك ، ومنحت للناس إخاء ومحبة [3] .

ويذكر لوبون في حديثه عن العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس بأنها لم تعادلها عهدة في التاريخ نبلاً وعدلاً وتسامحاً [4] .

وقد تحلى العرب الفاتحون بضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله ، ولم تعرف الأمم فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم [5] .

ويرى ول ديورنت أن أهل الذمة المسيحيين واليهود قد عاشوا في ظل الفتوحات الإسلامية واستمتعوا بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام ، وكانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم ، فضلاً عن احتفاظهم بكنائسهم ومعابدهم [6] .

ويرى أيضا أن المسلمين كانوا أحفظ للعهود من غيرهم، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين ، وقلما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس عام 492هـ/1099 م [7] .

ويشهد ويلز أن النصارى كانوا ينعمون بالتسامح مقابل دفع الجزية فقط وتركت الكنائس بأسرها ، والآثار المقدسة بكاملها في حوزتهم [8] .

ويرى أيضاً أن العرب كانوا أكثر عدالة وأوسع رحمة وانضم المسيحيون إليهم دون تردد ، كما انضم إليهم كثير من اليهود [9] .

بينما يذكر بوزار أن المسلمين في زمن لم يكن فيه العنف والقتل وسفك الدماء يعرف شرعاً ولا عاطفة أصدر أبو بكر الصديق أول خليفة للنبي تعليمات مرنة مشهورة إلى جنوده تختصر الروح الخلقي للقانون الإسلامي [10] .

وأما لوثورب فيشهد بأن أخلاق العرب وتعاليم صاحب الرسالة هي أحد أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار الدين الإسلامي ، وأذهبت الأحقاد المزمنة والعداوات

---

(1) دي كاستري ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص69).
(2) المصدر السابق (ص72).
(3) الشيباني ، الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة (ص541).
(4) حضارة العرب (ج1/78).
(5) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص127 - 605).
(6) قصة الحضارة (ج12/131).
(7) المصدر السابق(ج13/383) .
(8) معالم تاريخ الإنسانية (ج3/647).
(9) المصدر السابق (ج3/643).
(10) إنسانية الإسلام (ص 278).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشديدة من نفوس أولئك القوم ، وانضم بعضهم على بعض كالبنيان المرصوص تحت رسالة النور للناس والهداية للعالمين [1] .

ولم يكن العرب قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب في السلب والنهب والتدمير بل كانوا أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا [2] .

ويذكر توينبي أن محمداً قد أمر أتباعه بالتسامح الديني اتجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا للحكم الإسلامي ، وأراد بذلك أن يقدمهم كأهل كتاب كالمسلمين تماماً [3] .

أما تريتون فيذكر بأن العرب قد التزموا في أيامهم الأولى جادة الصبر والأناة ، وكثيراً ما كانت مدن تستسلم بشروط ، ثم تثور وتتمرد على العرب ، ثم تستسلم مرة أخرى ، فيعيدوا لها عهودها الأولى [4] .

وتؤكد شهادة عيثويابه الذي تولى كرسي البطريركية عام 647 / 657م بقوله : "إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون ، فهم ليسوا أعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قسيسنا وقديسنا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا" [5] .

وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت بأهل الذمة خيراً وأمر أن توفى عهودهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم [6] .

ويذكر ترند[7]، أن المسلمين قد ضربوا أمثلة فريدة في تعاملهم مع العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش والتسامح في الوقت الذي كانت معظم أوروبا تعيش في همجية ووحشية مريعة ، كما آثر المسلمون أن يشتروا من المسيحيين بعض الممتلكات ، ورأوا ذلك خير لهم من أخذها عنوة [8].

ويرى رودريك بيجي أن قوانين الحرب في الإسلام تعد أكثر القوانين رحمة ورأفة ، إذ تضمن سلامة النساء والولدان والشيوخ وغير المحاربين ، وتحمي المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة وبيوت الآمنين ، ويجعل لهذه المرافق قدسيتها ويحذر من المساس بها وهكذا كانت مراسيم الخلفاء الراشدين تدلل على ذلك [9] .

وتظهر الشهادات السابقة التي دونها وسجلها المستشرقون الغربيون أن المسلمين تميزوا تميزا كبيراً في معاملتهم لأهل البلاد التي دخلوها ، وأن العدل والتسامح سجيتين أساسيتين سار المسلمون بهما في تلك البلاد، وأن هناك فرقاً شاسعا بين المعاملة التي عامل المسلمون بها أولئك الناس، وبين غيرهم ممن مارسوا القتل والبطش والسلب والنهب.

كما تظهر الشهادات السابقة أن قوانين المسلمين كانت قوانين رحمة، إذ لم يكن هناك أرحم من العرب الفاتحين كما ذكر أولئك المستشرقون، ويعود الفضل في ذلك إلى سياسة الخلفاء والولاه وقادة الجيوش الإسلامية الفاتحة الذين أسدلوا تسامحا لا نظير له، ومارسوا قوانين عادلة أرحم من قوانين حقوق الإنسان في زماننا الحالي.

---

(1) حاضر العالم الإسلام (ج1 /2).
(2) المصدر السابق (ج1/3).
(3) الإسلام والغرب(ج 42/3) .
(4) أهل الذمة في الإسلام (ص160).
(5) المصدر السابق (ص158) .
(6) بن آدم ، الخراج (ص54) .
(7) ترند: مستشرق اهتم بتاريخ العرب بالأندلس، وعمل أستاذا للأسبانية في جامعة إكسفورد، وضع الفصل الأول في كتاب تراث الإسلام لتوماس أرنولد؛ ينظر: العقيقي، المستشرقون (ص513).
(8) تاريخ العالم (ج29/5 - 737).
(9) رجال ونساء أسلموا (ج115/6) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : انتشار الإسلام بالفكر :

دخل الإسلام قلوب البشر بالإقناع والفكر، ولم يدخل تلك القلوب بالإكراه والسيف، ويشهد المستشرقون الغربيون أن الإسلام ثبت في قلوب الناس كعقيدة راسخة، ولم تستطع أي من القوى التي جاءت أن تزحزح الإسلام من قلوب أولئك الناس.

ويذكر المستشرق الكونت هنري ديكاسترو فيقول :" لم يكره أحد بالسيف ولا باللسان على الدخول بالإسلام ، وإنما دخل القلوب عن شوق واختيار ، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب "[1] .

وتضيف المستشرقة لورافيشيا فاغاري :" أنه لا أحد يستطيع أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذي مهد الطريق أمام الإسلام ، بل على النقيض تماماً كانت هناك الأصقاع الإسلامية والتي تولت مقاليد السلطة بها حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى ، وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات تبشيرية قوية ، ورغم ذلك فإن تلك الحكومات وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية" [2] .

كما ترى أن العرب المنتصرين كانوا مستعدين لأن يقولوا لأعدائهم ألقوا السلاح ، وادفعوا جزية يسيرة نحميكم بها حماية كاملة ، أو اتخذوا الإسلام ديناً ، وادخلوا في ملتنا تنعموا في نفس الحقوق التي نتمتع بها ، وهذا رد على الاتهام القائل : بأن الإسلام فرض بالسيف [3] .

بينما يرى غوستاف لوبون أن الإسلام لم ينتشر بالسيف وإنما انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب [4] .

والناظر إلى الدين الإسلامي في العصر الحاضر لا يبقى لديه أثر لما تم زعمه بأن هذا الدين قد انتشر بحد الحسام ، ولو كان انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف بانقضاء فتوحات المسلمين ، إلا أننا نرى أنه يبسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة [5] .

ولو كان دين محمد صلى الله عليه وسلم انتشر بالعنف والإجبار لكان لزوماً أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين ، مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة [6] .

ويذكر غوستاف لوبون أيضاً بأن النجاح السريع الذي حققه المسلمون كان بسبب ترحيب الأهالي المسيحيين الذين سئموا حكم الإدارة البيزنطية الظالمة ، وحقدهم المرير على علماء اللاهوت [7] .

وأما ريسلر فيرى بأن من عوامل الفتوحات الإسلامية الرضا الضمني للسكان في المناطق المفتوحة الذين سئموا الإغريق والفرس وكرهوا استبدادهم الديني والسياسي ، وضجروا الضرائب الفادحة التي فرضت عليهم فكانت هذه أسباب هيأت للمسلمين فتح تلك البلاد [8] .

([1]) أبو خليل ، الإسلام في قفص الإتهام (ص126) .
([2]) فاغاري ، دفاع عن الإسلام (ص40).
([3]) المصدر السابق (ص32).
([4]) حضارة العرب (ص8).
([5]) كاستري ، دي ، خواطر وسوانح (ص48).
([6]) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص48 - 50).
([7]) حضارة العرب (ص81).
([8]) الحضارة العربية (ص39).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما روم لاندو فيرى أن الإسلام في طريق انتشاره لم يعلن عن جهاد عام ضد الصليبيين ، ولم يوجه الخليفة دفة هذه الحروب على النقيض تماماً مما قام به الصليبيون ، إذا اعتبروا الحروب الصليبية حروب مقدسة من أجل قضية مقدسة ، وبارك تلك الحروب البابا ، واعتبرها قضيته الذاتية ، وكشفت تلك الحروب التعصب والتطرف الدينيين الموجودين لدى أوروبا [1] .

ويشهد اميل درمنغم بأن التاريخ لم يذكر بأن المسلمين قد قتلوا شعباً ، وما دخول الناس أفواجاً في الإسلام إلا عن رغبة فيه ، وشتان بين قوم دخلوا القدس فاتحين دون إراقة دماء ، وبين دخول الصليبيين وسط نهر من الدماء أراقوها من دماء أهلها [2] .

ويذكر أتيين دينييه [3]، أن المسيحية قد ضمت في تعدداها أولئك الذين يباعون من ولدان العبيد ، بينما يعتنق الإسلام من المسيحيين من هم من الخاصة من أصحاب الهيئات الاجتماعية وأبعد ما يكونون على الأغراض المادية [4] .

ويرى أيضاً بأن المسلمين لم يستخدموا القوة أبداً خارج حدود الجزيرة العربية لإجبار الناس على الإسلام [5] .

ويشهد مايكل هارد بأن الإسلام لم يفرض على أحد بالقوة وأن الدولة كانت تفرض على المسيحيين الجزية إذا لم يعتنقوا الإسلام ، وهم أحرار في ذلك [6] .

بل إن مجاورة المسلم للذمي في البلاد المفتوحة والرفق والمعاملة الحسنة وحسن الجوار والمصاهرة من العرب لأهل الذمة كلها دفعت أهل الذمة إلى التخلص من دفع الجزية ، ودفعتهم للدخول في الدين الإسلامي ، وهذا مؤشر على أن الإسلام انتشر بالمعاملة الحسنة [7] .

ويستنتج مما سبق من شهادات المستشرقين أن الإسلام دخل إلى قلوب الناس عن قناعة، وأن الناس قد سارعوا إلى الدخول فيه إختيارا من أنفسهم، وقناعة بمنهجه، لا سيما بعد أن فرقوا بين المعاملة التي عاملهم بها المسلمون وبين من سبقوهم، لاسيما أيضا الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليهم.

ثالثاً : سر قوة الإسلام :

أشاد المستشرقون المنصفون بالدين الإسلامي، واعتبر بعضهم أن انتشار ظاهرة الإسلام بهذه السرعة تعد ظاهرة فريدة في التاريخ، وأن هناك قوة إلهية تكمن خلف هذا الأمر.

معتبرين أن الإسلام قد حقق ما لم تحققه أي حضارة من الحضارات السابقة، ورأوا أن أهل البلاد المفتوحة قد فضلوا حكم المسلمين على حكم غيرهم هربا من الظلم الذي كان يقع عليهم.

([1]) الإسلام والعرب (ص115).
([2]) حياة محمد (ص370).
([3]) أتين دينيه: مشتشرق فرنسي، قضى وقته بالجزائر، اعتنق الإسلام وأسلم عام1927، وأطلق على نفسه أسم ناصر الدين؛ ينظر : الزركلي، الأعلام (ج83/1).
([4]) أشعة خاصة بنور الإسلام (ص39).
([5]) دييبنيه ، أتيين ، محمد رسول الله (ص332).
([6]) الخالدون مئة (ص211).
([7]) عبد القادر ، الرؤية الإستشراقية لجهود الصحابة في نشر الإسلام (ص47).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترى المستشرقة الإيطالية فاغاري أن الإسلام قوض حضارتين وزعزع دينين حتى بدأ فيض جديد يتدفق في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى ، وتجلى دين جديد بسيط يخاطب العقل والقلب معاً [1] .

وقد أزعج التحول السياسي والديني العميق طائفة المستشرقين وأذنابهم الذين كانوا عمياً ويغمضون أعينهم ، إذ لم يدركوا أن القوة الإلهية كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة ، وإن حكمة الله وحدها هي المسؤولة عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم [2] .

ويرى أحد المستشرقين الغربيين أيضاً أن الإسلام لم يكره أحداً على الدخول فيه بالسيف ولا باللسان ، وإنما دخل الدين الجديد قلوب الناس بشوقهم واختيارهم ، وكان بسبب تأثير القرآن الكريم ، وبساطة الدين ، وكفاية النطق بكلمة التوحيد ليصبح قائلها من المسلمين ، وشوهد المسيحيون وهم يمارسون دينهم وعبادتهم بحرية كاملة [3] .

وتغلب الإسلام في انتشاره على أكبر العثرات ، ومهد الصعاب ولم يعرف حاجزاً أو مانعاً رغم العناء الشديد الذي عان منه في بداية نشأته ، فلم يمض عليه قرن واحد حتى وصل إلى وسط فرنسا واجتاز جبال الألب حتى خضعت الشام وفارس وأفريقيا للإسلام ، ويرجع ذلك إلى صدق هؤلاء الناس والذكاء والدراية للخلفاء ولا سيما أبا بكر وعمر الذين أحسنا سياستهما عندما توليا تلك المملكة ، وكانا ذوي ثبات وعدل وأرفع قدراً [4] .

أما المستشرق الهولندي دي بور فيرى أن محمد صلى الله عليه وسلم نجح وخلفاءه في أن يزرعوا في نفوس أبناء الصحراء ومن هم أكثر تحضراً منهم أيضاً الإسلام ، وهذا بفضل المكانة التي تبوأها الإسلام الدين العالمي ، وقد صدق الله المسلمين ونصرهم ، إذ كان نداؤهم عند لقاء الأعداء الله أكبر [5] .

وأما المستشرق الفرنسي جوزيف بورلو فيرى أن انتشار الإسلام كان سريعاً وشمل مناطق واسعة من العالم ، وانتشر مع الإسلام اللغة العربية ، وقد أدى ظهور الدين الجديد إلى تغيير تاريخ العالم ، إذ يوجد إيمان بإله واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، واستطاع المؤمنون بدين محمد فتح أنحاء الوطن العربي وتحريره بصورة سريعة جداً [6].

ويرى لوبون أن ما عجز الأغارقة والفرس والرومان عنه في الشرق قدر عليه العرب بسرعة ، ولا سيما في مصر التي نسيت في أقل من قرن بعد افتتاحها حضارتها الماضية التي دامت سبعة آلاف عام ، واعتنقت ديناً جديداً ولغة جديدة [7] .

وترى المستشرقة البولندية بوجينا أن السر في انتصار المسلمين هو أن جنودهم كانوا يحاربون بروح قوية ، واثقين بوعد الله ، وبالنصر والغنيمة ، إذ يكون شهيداً ويفوز بالجنان من يقتل منهم [8] .

([1]) دفاع عن الإسلام (ص25).
([2]) المصدر السابق (ص28).
([3]) كاستري ، دي ، الإسلام خواطر وسوانح (ص41).
([4]) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص62 - 63).
([5]) تاريخ الفلسفة في الإسلام (ص5).
([6]) الحضارة الإسلامية (ص9).
([7]) حضارة العرب (ص563 – 564).
([8]) تاريخ التشريع الإسلامي (ص75).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يأتي مصداقاً لقول الله تعالى : " قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ [1].

وترى المستشرقة الألمانية زغريد هونكه بأن المسلك الطيب للفاتحين المسلمين أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحققه الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة [2] .

وأما ديورانت يرى بأن الدين الإسلامي قد استحوذ على قلوب مئات الشعوب في البلدان الممتدة من الصين وأندونيسيا إلى مراكش والأندلس ، وسيطر على أخلاقهم وصاغ حياتهم وبعث فيهم آملاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها [3] .

وقد فضل المسيحيون حكم المسلمين عن حكم المسيحيين في المناطق المفتوحة [4] .

وقد سيطر الإسلام أثناء خمسمئة عام من 700 – 1200 م على العالم بالعلم وبتفوق حضارته [5] .

وأما مارسيل بوازار فيرى بأن الضروريات أجبرت النبي صلى الله عليه وسلم على تأليف جيش يصد الهجمات المعادية ، وإرساله لحملات وقائية من جيرانه الخصوم ، إذ إنه كان رجلاً مستقيماً وسياسياً ومخططاً بارعاً ، استشعر ضرورة ردع أعداء مجتمعه فكان عليه قمع غارات السلب والنهب وتوفير السلام والأمان [6] .

وقد أراد المسلمون صنع عالم جديد ولم يكونوا يريدون أن يضروا روما، وقد بدوا أنهم لا يقهرون ولم يكونوا يجلبون معهم الفوضى وإنما يحملون نظاماً جديداً وكان دينهم ديناً قوياً [7] .

وقد اضطر العالم دوزي[8]، رغم تعصبه وحمله ضد الإسلام للاعتراف بأن الكثيرين من المسيحيين الذين كانوا في أسبانيا قد اعتنقوا الإسلام عن عقيدة [9] .

ويذكر كلود كاهن أن سرعة الفتوحات الإسلامية وكثافتها لم تكن عملاً خارقاً أو حدثاً عابراً ، ولو كانت كذلك لما صمدت واستمرت ولتراجعت وانهارت بعد أجيال قليلة [10].

ويرى لوبون بأن المسلمين لو وقفوا في اجتياز أوروبا لجعلوها مسلمة ، ولحققوا للأمم المتمدنة وحدتها الدينية ، ولأوصلوها إلى ما وصلت إليه أسبانيا بفضل العرب [11] .

([1]) [التوبة : 52] .
([2]) شمس العرب تسطع على الغرب (ص357).
([3]) قصة الحضارة (ج133/13).
([4]) المصدر السابق (ج297/13).
([5]) ريسلر ، جاك ، الحضارة العربية (ص82).
([6]) إنسانية الإنسان (ص264).
([7]) جان كلود بارو وغيوم بيغو ، التاريخ الكامل للعالم (ص91 - 92).
([8]) دوزي: مستشرق هولندي، ذات أصول فرنسية، ولد بتاريخ1820، وأشتهر بأبحاثه في تاريخ العرب بأسبانيا، أتقن اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية؛ ينظر: العقيقي، المستشرقون، ص259.
([9]) دينيه ، اتين ، محمد رسول الله (ص333).
([10]) الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص45).
([11]) حضارة العرب (ص267).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : حرية العبادة :

أظهرت كتابات المستشرقين أن المسلمين أعطوا حرية مطلقة في المعتقدات ، وشهد المستشرقون أن هذا يرجع إلى السياسة التي اتبعها قادة الفتوحات الإسلامية بتعليمات من الخلفاء والتي اقتضت احترام عقائد الشعوب ، وعاداتها وتقاليدها .

وأكدت المستشرقة الإيطالية فاغاري أن المسلمين لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد ، ولا يمكن أن يكرهوا أحداً من أبنائها على الدخول في الدين الإسلامي [1] .

ويرى لوبون أيضاً أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن وأن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم [2] .

ويصف أيضاً عمرو بن العاص أنه لم يكن أقل رفقاً من عمر بن الخطاب ، إذ عرض على المصريين حرية دينية وعدلا مطلقاً واحتراماً للأموال ، وجزية سنوية ثابتة لا تزيد [3] .

ويرى كاستري أن محبة أهل البلاد المفتوحة دفعت إلى نشر القرآن ، ولم يقاتل أولئك العرب أمة أبت الإسلام ، إذ كانوا يخيرون كل أمة بين واحد من ثلاث :" الإسلام أو الجزية أو التحكيم للحرب حتى تضع أوزارها "[4] .

و أعلن المسلمون بشكل واضح أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتها ، واكتفوا مقابل حمايتهم بجزية زهيدة تقل عما كان تدفعه تلك الأقوام إلى سادتها السابقين من الضرائب ، كما أن دخول عمر بن الخطاب مدينة القدس مع عدد قليل من أصحابه بمرافقة البطريك صفرنيوس وزيارتهما جميع الأماكن المقدسة ، وإعطاء العهد والأمان باحترام الكنائس والأموال وتحريم العبادة على المسلمين في بيعهم دليل على الرفق والتسامح الذي تحلى به الفاتحون المسلمون ، بينما كان سلوك عمر بن الخطاب مماثلاً عندما عرض على المصريين حرية دينية تامة وعدلاً مطلقاً واحتراماً للأموال وجزية سنوية زهيدة ، وهذه التصرفات دفعت العرب أن ينشئوا حضارة سطرها لهم التاريخ وبقيت خالدة ليست كغيرها من الحضارات الأخرى [5] .

أما زغريدة هونكه تقول :"بأن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول بالإسلام ، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة التعصب الديني وأفظعها ، بينما سمح لهم الإسلام جميعاً بممارسة شعائر دينهم بحرية تامة ، وتركوا لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم دون أن يمسوهم بأي سوء ، وأن هذا منتهى التسامح الذي نشره المسلمون "[6] .

ويشهد ول ديورانت أحد المستشرقين العربيين بأن اليهود في بلاد الشرق قد رحبوا بالعرب الذين أنقذوهم من ظلم الحكام السابقين وجورهم، وأصبحوا يتمتعون بكامل حرياتهم وممارسة شعائر دينهم، واحتفل المسيحيون بأعيادهم علناً، وكان حجاجهم المسيحيين يأتون

([1]) دفاع عن الإسلام (ص169) .
([2]) حضارة العرب (ص145).
([3]) المصدر السابق (ص 145).
([4]) الإسلام خواطر وسوانح (ص35).
([5]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ،(ص143- 144).
([6]) شمس العرب تسطع على الغرب (ص364) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آمنين لزيارة المقدسات الإسلامية في فلسطين ، وأصبح المسيحيون الذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد أحراراً آمنين تحت حكم المسيحيين[1]

ويرى ايفلين كوبولد بأن الإسلام لم يتعرض لمعتنقي الأديان الأخرى لأي سوء ولم يحملهم على قبول دينه أو النزول تحت شرعته ، كما أنه لم يحارب الذين لم يعتنقوا دينه ولم يعمل على قتلهم أو حرقهم أو تعذيبهم كما فعل غيره [2] .

أما سيدو فيقول في مقارنة رائعة : " بأن المسلمين كانوا منفردين بالعلم وسط العصور المظلمة التي كانت في أوروبا ، ولم يسجل التاريخ أن ديناً انفرد بالسلطة ومنح مخالفيه بالعقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام ، بل إن المجتمع الإسلامي لم يشهد ما شهدته أوروبا من تحجر في العقول ومحاربة للعلم والمعرفة ، إذ إن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء ، ولا جدال أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر "[3].

وأما كولد تسيهر[4]، فقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر بهدم مسجد لأن الحاكم المسلم كان قد بناه على أرض ليهودي [5] .

ويذكر توماس ، بأنه لم يسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام ، أو عن أي اضطهاد يهدف إلى استئصال الدين المسيحي [6] .

ويشيد المفكر الأسباني بلاسكوا أبانيز للفتح الإسلامي للأندلس فيقول : "لقد أحسنت أسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين قدموا إلها من القارة الإفريقية وأسلمتهم القرى دون مقاومة أو عداء وكانت غزوة تمدين ولم تكن غزوة فتح أو قهر، ونشروا الحرية وتقبلوا كنائس النصارى وبيع اليهود، ولم يخش المسجد معابد الأديان التي سبقته ، فأنزل لها حقوقها ، واستقر بجانبها غير راغب في السيادة عليها "[7] .

و يتضح مما سبق أن التاريخ لم يسجل يوماً أن العرب قد فرضوا يوماً على الشعوب الدخول في الدين الإسلامي، حسب شهادات المستشرقين، بل كانوا رفقاء بالناس ، وسمحوا ببناء الكنائس والأديرة جنباً إلى جنب مع المساجد التي أنشأت بالمجتمع الإسلامي ، بالإضافة إلى حمايتهم وحرصهم على الأماكن المقدسة الديانات كافة .

والدليل على ذلك العهدة العمرية عام 15هـ التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب لنصارى بيت القدس [8].

([1]) قصة الحضارة (ج132/12) .
([2]) البحث عن الله (ص93) .
([3]) ياقوت ، نبي الرحمة (ص91).
([4]) كولد تسهير : مستشرق يهودي مجري عرف بعدائه الشديد للإسلام وخطورة كتاباته ؛ ينظر: الزركلي ، الأعلام ، (ج84/1)؛ السباعي ، المستشرقون ما لهم وما عليهم (ص41) .
([5]) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص47).
([6]) الدعوة الإسلامية (ص99).
([7]) ضلال الكنيسة (ص64)؛ فهمي ، فن الحكم في الإسلام (ص387) .
([8]) الطبري، تاريخ (ج609/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

أثر الفتوحات الإسلامية على سكان المناطق المفتوحة

- **المبحث الأول :** الآثار الدينية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .
- **المبحث الثاني :** الآثار الاقتصادية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .
- **المبحث الثالث :** الآثار العلمية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .
- **المبحث الرابع :** الآثار الاجتماعية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .
- **المبحث الخامس :** الآثار العمرانية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .
- **المبحث السادس :** الآثار السياسية والإدارية المترتبة على الفتوحات الإسلامية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الآثار الدينية المترتبة على البلدان المفتوحة

كان للفاتحين المسلمين الأثر الكبير على سكان المناطق التي قاموا بفتحها بعد استقرار الأمور بها ، وأثر المسلمون على معظم مجالات الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية والعلمية والعمرانية وغيرها في تلك البلدان .

وكان للمسلمين الفضل الكبير في التحول الإيجابي لسكان تلك المناطق والتأثير في حياتهم وسلوكهم واستقرارهم .

كما كان للمسلمين الفاتحين الفضل الكبير على سكان تلك المناطق والتأثير في حياتهم وسلوكهم واستقرارهم .

كما أعطى المسلمون الأثر الحسن والمثالي المشرق عن صورة الإسلام ومنهجه في التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى ، والتي شجعت معظم الناس لتقبل الدين الإسلامي عقيدة وسلوكا .

ودفعت الآثار الإيجابية التي تركها المسلمون في تلك البلدان المؤرخين الغربيين وغيرهم للإشادة بالحضارة الإسلامية والجوانب المتنوعة التي غرسها ورسخها المسلمون في البلدان التي فتحوها .

كما ترتبت العديد من الآثار الدينية على سكان المناطق المفتوحة بعد استقرار المسلمين بها ، فقد انتشرت المحبة والتسامح والإخاء بين سكان تلك البلاد، وطبق المسلمون العدل والمساواة انطلاقاً من تعاليم دينهم الإسلامي الذي ساروا على نهجه، فضلاً عن إعطاء الحرية الكاملة والتامة للعبادة وكذلك حماية الأماكن المقدسة، بالإضافة إلى بناء المساجد ونشر تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه ليسهل تطبيقه على السكان .

أولاً- المحبة والتسامح في المناطق المفتوحة :

يشيد المستشرقون الغربيون بالتعايش الذي حققه المسلمون في المناطق التي فتحوها، فقد عاش الناس في المجتمعات آمنين على حياتهم وممتلكاتهم، ناعمين بالتسامح الذي منحهم إياه المسلمون، فضلاً عن جانب كبير من الرفاهية والرخاء التي تمتعوا بها [1].

ويصف توماس أرنولد الفترة التي تلت الفتوحات الإسلامية من الناحية الدينية من أفضل الفترات التي تمتع بها المسيحيون بالحرية الدينية، إذ كانوا يعيشون في مجتمعاتهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم، ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم الحرية الدينية إلى جانب الرفاهية والرخاء [2] .

ويدلل على ذلك أحد رجال الدين النصارى بقوله: "إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بأنهم ليسوا أعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسنا وقديسنا ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا "[3] .

وقد سادت علاقات المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى وفق القاعدة التي حددها القرآن الكريم، إذ كان المسلم متسامحاً وهو يجل الأنبياء الذين يجلهم اليهود

([1]) توماس ، أرنولد ، الدعوة الإسلامية (ص82).
([2]) المصدر السابق (ص82).
([3]) تريترون، أهل الذمة في الإسلام (ص158).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنصارى، فموسى عليه السلام بالنسبة إليهم كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمد حبيب الله [1] .

وقد وثقت العلاقات بين المسلمين العرب والمسيحيين في البلاد التي فتحها المسلمون، ولم يعارض العرب أبداً شعائر الدين المسيحي، وكان الوئام مستحكماً بين الطرفين، وهذا كله، نتيجة سماحة الدين الإسلامي والقرآن الكريم الذي اتخذه المسلمون منهجاً لهم [2] .

ويرى كاستري بأن ديانة القرآن تمكنت من قلوب الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية على حد سواء، وشوهد في بعض البلاد التي دخلها المسلمون بعض النصارى الذين تركوا دينهم حباً في الإسلام بمحض إرادتهم، ودون أن يكون للإسلام دعاه لإقناعهم [3] .

وقد أثبت المسلمون في المناطق المفتوحة أنهم ذو عقل متسامح إزاء رعاية المسيحيين [4] .

ولم يكن بالمدن الإسلامية أحياء مخصصة لليهود أو النصارى بحيث لا يتعدونها ، وإن آثر أهل كل دين العيش متقاربين وكانت الأديرة المسيحية تنتشر في كل أنحاء المدينة [5] .

كما يتحسر الراهب ميشو على الغرب الأوربي ويدعوه أن يقتبس التسامح والحرية الدينية من المسلمين وعدم فرض أي معتقد بالقوة ، واحترام عقائد الآخرين[6].

ويرى القرضاوي أن الدولة الإسلامية تسامحت مع أهل الذمة بمنحهم حرية الاعتقاد الديني ، ولم تضيق عليهم بإلزامهم بأمر يعتقدون حرمته أو وجوبه ، فاليهودي مثلاً يحرم عليه العمل يوم السبت ، فلم تكلفه الدولة بأي عمل بهذا اليوم وهذه المرتبة الوسط من التسامح ، بينما المرتبة العليا من التسامح تعني عدم التضييق على المخالفين في المسائل التي يرون حلها في ديانتهم ، رغم اعتقادنا بحرمتها في ديننا [7] .

ويتبين من خلال شهادات المستشرقين السابقة أنه لم يكن هناك أكثر محبة وتسامحاً من المسلمين على سكان المناطق التي دخلوها، إذ كان لهذه الصفات الأثر البالغ في تدعيم الدعوة الإسلامية في تلك المناط ، ونشر روح المودة والإخاء بين جميع السكان على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم .

ويرجع الفضل في ذلك إلى تعاليم الدين الإسلامي الجديد ومبادئه الذي ظهر لأول مرة في تلك المناطق .

ثانياً- نماذج من العدل والمساواة في المناطق المفتوحة :

طبق المسلمون العدل والمساواة تطبيقاً عملياً على أرض الواقع ، ولم يميزوا بين مسلم وغيره من أهل الديانات الأخرى ، وابتعدوا كل البعد عن الظلم ، وعملوا على نشر مبادئ الإسلام وأحكامه فيما يتعلق بهذا الجانب مما كان له الأثر الكبير في أشادة الكثير من المستشرقين والمؤرخين بتلك الصفات التي جسدها المسلمون واقعاً .

ويظهر ذلك من خلال جعل أبي حنيفة وابن حنبل حياة الذمي تكافئ حياة المسلم، ودية المسلم، ولم تكن الحكومة الإسلامية تتدخل في شعائرهم الدينية، بل كان

---

(1) يدينه ، أتينن ، محمد رسول الله (ص333).
(2) دي كاسترو ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص74 - 75).
(3) المصدر السابق (ص84).
(4) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس (ص71).
(5) متز ، الحضارة الإسلامية (ج1 /93).
(6) ميشو ، رحل دينية إلى الشرق (ص48) .
(7) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (ص43).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلفاء يوصون بحمايتهم، وتأمين مواكبهم وأعيادهم، حتى ازدهرت الأديرة الخاصة بهم بهدوء [1].

ومما يدلل أيضاً على العدل والمساواة عند المسلمين تقديمهم الخدمة الطبية للناس كافة، بصرف النظر عن دياناتهم ، وهذا يدلل على التسامح الإسلامي الكبير مع غير المسلمين في وقت كانت فيه المستشفيات الإسلامية عبارة عن أوقاف أسلامية لأنحاء المجتمع كافة [2].

كما جسد المسلمون وطبقوا منهاج دينهم الذي لم يميز بين غني أو فقير أو حاكم أو محكوم أو أبيض أو أسود بل إن الجميع سواء بالتقوى ، يقفون جميعاً في صف واحد للصلاة، ويجوعون جميعاً في عبادة الصوم وأميرهم وغنيهم وشريفهم ، وكذلك يلبسون لباساً واحداً ويؤدون نسكاً واحداً في فريضة الحج [3]، امتثالاً لقول الله تعالى :" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ" [4] ، فهم سواء في المجتمع الإسلامي في عقيدتهم وعبادتهم وتكاليفهم ، وابتغائهم الأجر والثواب من عند الله سبحانه وتعالى إمتثالاً لقوله:"وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [5] .

وقد كان الفتح العربي خيراً على سكان البلاد التي فتحها المسلمون، ويظهر ذلك من خلال عهد عمر إلى أهل إيلياء ، وعهد الصلح بين عمرو بن العاص والمقوقس، إذ ألف عمرو بن العاص بين الأقباط والمسلمين ، وأعطى الأمان إلى بطريرق القبط بن يمين ورده إلى مكانه بعد أن غاب عن البلاد فراراً من ظلم الروم وجورهم لمدة ثلاثة عشر عاماً، وأعطاه الحرية المطلقة لإدارة شؤون الكنيسة، كما قام عمرو بن العاص بإعطاء حرية المعتقدات الدينية للمصريين ولم يتعرض لهم وأمنهم على أموالهم ونسائهم وأولادهم [6] .

وقد أعطى المسلمون الحرية لأهل الذمة في المناطق التي فتحوها ، وكان منهج الإمام مالك يقضي بأن أهل الذمة إذا زنوا أو شربوا الخمر فلا يعرض لهم الإمام، إلا أن يظهر ذلك علانية في ديار المسلمين ويدخل عليهم الضرر، وحين إذ يمنعهم السلطان من الإضرار بالمسلمين [7].

ومما يدلل أيضاً على تحلي المسلمين بالعدل مع أهل ذمتهم ومنها خصومة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع يهودي في درعه التي فقدها ثم وجدها عند يهودي ، فاحتكما إلى شريح القاضي ، فحكم بها لليهودي ، فأسلم اليهودي [8] .

وقصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر وابنه شاهد على ذلك ، إذ اقتص الخليفة عمر بن الخطاب للقبطي في مظلمته وقال كلمته الشهيرة التي أصبحت مثلاً : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا [9] .

وقد ترك عمير بن سعد [1]، ولاية حمص بسبب إساءته إلى ذمي ورأى أشقى أيامه يوم تولى تلك الإمارة [2] .

([1]) متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (ج1/69).
([2]) السرجاني ، العلم وبناء الأمم (ص181).
([3]) السباعي ، من روائع حضارتنا (ص96) .
([4]) [الحجرات : 13].
([5]) [الحج :77].
(6) فان فلوتن، السيادة العربية (ص20).
([7]) ابن القيم، أحكام أهل الذمة (ج1/317).
([8]) الأصبهاني، حلية الأولياء (ج4/141).
([9]) ابن الجوزي ، تاريخ عمر (ص129 - 130)؛ ابن الحكم ، فتوح مصر (ص195).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي موقف عمر بن عبد العزيز عندما رد مظلمة لرجل ذمي واقتص، له من الأمير العباس بن الوليد بن عبد الملك في ضيعة له اقتطعها الوليد لحفيده العباس ، فحكم له عمر بالضيعة وردها إليه [3] .

كما أن سماحة معاوية بن أبي سفيان مع أهل بعلبك [4]، عندما نقضوا العهد مع المسلمين وعفا عنهم وقرر إخلاء سبيلهم وقال : "وفاء بغدر خير من غدر بغدر" [5] .

كما كان الخلفاء يستوصون بأهل الذمة خيراً ويحرصون على عدم ظلمهم ، فقد أرسل عمر بن الخطاب كتاباً إلى أبي عبيدة يوصيه بأهل الذمة وعدم الإضرار بهم أو أكل أموالهم وأن يوفى لهم شروطهم كافة التي شرطت لهم [6] ، و تمتع أهل الذمة بالكثير من عدل عمر ورحمته [7] .

وكذلك كتب علي بن أبي طالب إلى عماله على الخراج بألا يبيعوا كسوة ولا رزقاً ولا دابة ولا عرضاً في شيء من الخراج ، فإنما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأخذ منه العفو ، فإن خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني ، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك[8]

وقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى واليه عدي بن أرطأة [9]، يوصيه برجل من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قدرته وولت عنه المكاسب ويأمره أن يجري عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه [10] .

بل سمح المسلمون للذميين بممارسة شعائر دينهم وأوجب مساواتهم في الحقوق المدنية والجنائية ولم يمنع من استشارتهم في مصالح البلاد [11] .

ومن مظاهر العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي أن القاضي يقضي بالمسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد ، فيقضي بين النصارى وكان القضاة يخصصون يوماً للنصارى يحضرون فيه إلى منازل القضاة ليحكموا بينهم [12] .

ومن ضمن الحرية التي نعم بها النصارى أنهم كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم ولم يلجأوا إلى القاضي إلا في مسائل القتل [13] .

وقد كفلت الدولة الإسلامية حقوق غير المسلمين وجعلتهم مستأمنين داخل بلاد المسلمين، كما أمنتهم على أموالهم، إذ حرم النبي صلى الله عليه وسلم المساس بأموالهم وبممتلكاتهم [14].

([1]) عمير بن سعد بن عبيد الاوسي الانصاري:شهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص، فأقام سنة ودعاه إلى المدينة فجاءها، فأراد عمر إعادته، فأبي، ومات في أيامه، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية وكان عمر يقول: وددت أن لي رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (405/3)؛ الزركلي، الأعلام (ج88/5).

([2]) الطبراني ، المعجم الكبير (ج52/17)؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد (ج383/9) .

([3]) ابن الجوزي، صفوة الصفوة (ج115/2 - 116)؛ ابن كثير ، البداية والنهاية (ج213/9).

([4]) بعلبك: مدينة بلبنان، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح صلحاً، عام14هـ ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج453/1).

([5]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج217/1).

([6]) البلاذري، فتوح البلدان (ج1 / 144).

([7]) دوزي ، نظرات في تاريخ الإسلام (ص402) .

([8]) أبو يوسف، الخراج (ص18) .

([9]) عدي بن أرطاة الفزاري، أبو واثلة: أمير، من أهل دمشق، كان من العقلاء الشجعان، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة 99 هـ فاستمر الى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب، بواسط، في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج219/4).

([10]) أبو عبيد، كتاب الأموال (ص49)؛ ابن زنجويه ، الأموال (ج169/1).

([11]) وود ، ريشارد ، الإسلام والإصلاح (ص21).

([12]) متز ، الحضارة الإسلامية (ج1 /94).

([13]) المصدر السابق (ج1 /95).

([14]) أبو زهرة ، العلاقات الدولية في الإسلام (ص68).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتدلل سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في حماية حقوق غير المسلمين على مقدار ثقته بنفسه وبرسالته، فقد هيئ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة والمنعة، وحولها من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم[1] .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم أهل الذمة في الدولة الإسلامية، فإن حدث ذلك تصبح الدولة كدول الأعداء فلا فرق وتستحق الزوال [2] .

ويذكر أحد خبراء حقوق الإنسان أنه لم يتم العثور في الكتابات التاريخية على أثر لقتل راهب أو قسيس أو مطران أو أي من ضروب البيع والكنائس في المجتمع الإسلامي [3].

وقد أجمع العلماء أن عرض الذمي كعرض المسلم، واتفقوا على أنه إذا اعتدى مسلم على عرض ذمية فإنه يقام عليه الحد كإعتداءه على عرض مسلمة [4] .

كما أشادت المراجع النصرانية بالدولة الأموية وتقريبها للنصارى وحماية حقوق أهل الذمة وعدم التمييز بينهم وبين المسلمين في مناصب الدولة الهامة [5] .

ويظهر مما سبق أن العدل والمساواة التي طبقها المسلمون في واقعهم العملي بالدولة الإسلامية كانت ركيزة أساسية من ركائز توفيق الله سبحانه وتعالى لهم وتدعيم الدولة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى تطبيقهم للمنهج الرباني الذي يحثهم على العدل والمساواة .

وكذلك يتبين حزم الخلفاء وحرصهم الكبير على تطبيق العدل في أرجاء الدولة الإسلامية كافة .

ثالثا- حرمة الأماكن المقدسة في المناطق المفتوحة :

حرص المسلمون على حماية الأماكن المقدسة للديانات كافة في المجتمع الإسلامي من مساجد وكنائس وبيع وحرمتها ، وعمل المسلمون على تحقيق الأمان لجميع السكان على حد سواء .

ويذكر لوثروب[6]، بأن الخليفة عمر رضي الله عنه كان يراعي حرمة الأماكن المقدسة النصرانية حق رعايتها ، وسار الخلفاء من بعده على أثره ، فلم يضيقوا على النصارى ولم يسيئوا لطوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من أفواج العالم النصراني [7] .

كما بقيت القدس المركز الديني الأسمى لأوروبا النصرانية، بعد دخولها الإسلام مشرعة أبوابها أمام الزائرين إليها من النصارى ، فلم يمنع المسلمون زيارة القبر المقدس كما لم يمنع الأوروبيون المسيحيون من إنجاز فرائضهم الدينية [8] .

ويرجع ذلك إلى العهدة العمرية التي أعطاها عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لأهل إيلياء من الأمان ، إذ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها شيء ولا يكرهون على دينهم [9] .

واهتم المسلمون بالنواحي الدينية في البلاد التي قاموا بفتحها، إذ عملوا على إنشاء المساجد ونشروا بها حلقات العلم وتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، فضلاً عن العلوم الدينية وغير الدينية [1] .

([1]) جواهر ، لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم (ص25 - 26).
([2]) الطبراني ، مسند الشاميين (ج2 /205)؛ أبو نعيم ، حلة الأولياء (ج5 /200).
([3]) مناع، حقوق الإنسان (ص25).
([4]) الشافعي ، الأم (ج7/ 323).
([5]) حتى ، فيليب ، تاريخ العرب (259) ؛ أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام (ص81).
([6]) لوثروب ستودارد : مستشرق أمريكي ، أهم أعماله كتاب حاضر العالم الإسلامي؛ ينظر: الزركلي ، الأعلام (174/3) .
([7]) لوثروب ، استودارد ، حاضر العالم الإسلامي (ج1 /13 - 14).
([8]) توماس ، أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ،(ص129) .
([9]) الطبري ، تاريخ (ج3 /609).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن دلالات اهتمام المسلمين بحرمة تلك الأماكن وصول الأديرة المسيحية في سوريا التي كادت أن تمحى في عصر الحكم المسيحي إلى ذروة عظمتها في الدولة الإسلامية [2] .

كما اتسع بناء الكنائس بحرية تامة، بينما أقام النصارى بناءً ضخماً للتعميد تكريماً لصورة السيد المسيح بموافقة عبد العزيز بن مروان [3]، والي مصر، كما بنيت كنيسة مارجرجس ويعقوبية بموافقة الخليفة الوليد ، وبالحرية نفسها بنيت الكنائس في باقي أرجاء الدول الأموية [4] .

وعمل العرب على إقامة المساجد في المناطق التي قاموا بافتتاحها ونشر الإسلام فيها ، فأنشأوا المساجد في بلاد الفرس كمسجد همذان ، وكذلك شيدوا تلك المساجد في الهند وأثروا بديانتهم ولغتهم تأثيراً كبيراً [5] .

وقد ضمن المسلمون حرية العبادة للأمم التي دخلت في ولايتهم وأعطوهم عهداً بذلك ، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم عهداً لأهل نجران يؤمنوا سلامة كنائسهم وعدم التدخل في عبادتهم ، وكتب كذلك لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران أن لهم ما تحت أيديهم من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم [6] .

و كان موقف عمر بن عبد العزيز أيضاً مماثلاً بقوله إلى عماله :"لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار" [7]، وكذلك أمر برد الكنيسة التي أقطعها بعض أمراء بني أمية عندما شكا أليه النصارى وردها لهم [8] ، فضلاً عن إيعازه لعماله بألا يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت [9] .

وقد راعى المسلمون حرمة الأماكن المقدسة النصرانية حق رعايتها ، فلم يضيقوا على النصارى ، ومهدوا الطريق أمام طوائف الحجاج القادمين في كل عام إلى بيت المقدس من كل أنحاء العالم [10] .

كما ترى زغريدة هونكه أن المسلمين لم ينزلوا أي أذى أو ضرر بالأحبار أو القساوسة أو مراجعهم وكذلك بيعهم وصوامعهم وكنائسهم [11] ، وكانت الدولة تترك لكل جماعة شخصيتها وعاداتها الخاصة بها [12] .

ولقد قطع خالد بن الوليد لأهل دمشق عهداً يتكفل فيه المسلمون لهم بالحق في النفس والمال والممتلكات والأعراض وغير ذلك من مراكز العبادة وأعطاهم أماناً ألا تمس مساكنهم ولا كنائسهم ولا يسكن شيء من دورهم [13] .

وقد قام معاوية بن أبي سفيان ببناء بيعة للنصارى في الرها [14] .

([1]) الشحود ، الحضارة الإسلامية (ج6 / 261).

([2]) هونكه ، زغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب (ص364) .

([3]) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الأصبغ: أمير مصو ولد في المدينة، وولي مصر لأبيه استقلالا، سنة 65 هـ فسكن حلوان، وأعجبته، فبنى فيها الدور والمساجد، وغرس بها كرما ونخيلا وتوفي فيها، فنقل إلى الفسطاط كان يقظا عارفا بسياسة البلاد، شجاعا جوادا، تنصب حول داره كل يوم ألف قصعة للآكلين، وتحمل مئة قصعة على العجل إلى قبائل مصو واستمر إلى أن توفي، وهو والد الخليفة عمر بن العزيز؛ ينظر:ابن سعد، الطبقات (183/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج28/4).

([4]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج147/1)؛ المسعودي ، التنبيه والإشراف (ج1 / 57).

([5]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص562 - 563).

(6) ابن زنجويه ، الأموال (ج449/2)؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى (ج266/1) .

(7) أبو عبيد،الأموال (ص 138).

(8) ابن زنجويه ، الأموال (ج388/1)؛ البلاذري، فتوح البلدان (ج169/1).

([9]) دوزي ، نظرات في تاريخ الإسلام (ص402) .

([10]) استوداراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي (ج13/1 - 14).

([11]) الله ليس كذلك (ص41) .

([12]) رولان بريتون ، جغرافيا الحضارات (ص149).

([13]) البلاذري ، فتوح البلدان (ج128/1)؛ ابن قدامة ، الخراج (ج1 /292).

([14]) حتى ، فيليب ، تاريخ العرب (ص259).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينما قام المسلون بنشر الدعوة في المناطق التي قاموا بافتتاحها عبر مجموعة من الفصحاء ، وكانوا يعلمون الناس القرآن والفرائض وفقه الإسلام ، وكانت تترك مجموعات من المختصين لتبليغ الدعوة [1] .

كما قام المسلمون ببناء المساجد بكثرة في المناطق التي فتحوها ولا سيما المغرب العربي [2] .

رابعاً- احترام العقائد في المناطق المفتوحة :

احتفظ المسلمون للأقليات غير مسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية [3].

وحافظت الأقوام المغلوبة على حرية إقامة شعائرها الخاصة واستبقى الأهالي ما يملكون من عقارات خاصة بهم ، ورأى المسلمون في أداء الضريبة لهم اعترافاً بالسيادة العليا للأمة الإسلامية ، وكان على المغلوبين أيضاً الوفاء للمسلمين الفاتحين كالامتناع عن إفشاء المعلومات للعدو أو إيواء المسلمين وتزويدهم بالأخبار [4] .

وعامل المسلمون أهل الذمة في المناطق المفتوحة أفضل معاملة ، وتركوا لهم الحرية الدينية فيما يعتقدونه ، وخير شاهد على ذلك ما وجد في أحدى المتاحف البريطانية بين أوراق البردى اليونانية "خوفاً من الله وحفظاً للعدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم ، تجب معاملة الجميع بالعدل ، وأخذ الشيء من كل منهم بقدر طاقته "[5] ، كما انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين وفقاً لروح القانون المعمول به ، واحتفظت كل طائفة بقانونها الخاص ، وبالموظفين الذين يسهرون على الشئون الدينية واحتفظ النصارى ببيعهم ، كما احتفظ البطاركة والأساقفة بحقوقهم ، بينما احتفظ اليهود أيضاً برؤسائهم الدينيين وبحاخامهم الأكبر [6] .

واعترف العرب بالأقليات الدينية وقبلوا بوجودها، وكان النصارى واليهود يعرفون عندهم بأهل الذمة وكانت كل فرقة من هذه الفرق تعامل كملة وكطائفة مستقلة ضمن الدولة، وكانت كل ملة تخضع لرئيسها الديني [7] .

كما أن المسلمين العرب لم يعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للنصارى ، بل كانوا يتركون حرية العبادة لأهل الكتاب في ممارسة طقوسهم الدينية ، مكتفيين بأخذ الجزية منهم [8].

وانتشرت العقائد والعبادات الإسلامية وآمن السكان في البلاد المفتوحة بالدين الجديد ، وأخلصوا له، وتمسكوا به تمسكاً كبيراً أنساهم بعد وقت قصير آلهتهم القديمة ، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين حتى الأندلس ، وسيطر على أخلاقهم [9] .

و تمتع أهل الذمة أيضاً من المسيحيين واليهود والصابئون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا يوجد لها نظير، فقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر

([1]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (ج5/320).
([2]) ابن الكردبوس ، الإكتفاء (ج2/1008) .
([3]) كويلر، الشرق الأدنى (ص164) .
([4]) كاهين ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (ج1/ 28).
([5]) تريتون ، أهل الذمة في الإسلام (ص163).
([6]) بروي، تاريخ الحضارة العام(ج3/116) .
([7]) لاندو ، روم ، الإسلام والعرب (ص119) .
([8]) حنا ، جوروج ، قصة الإنسان (ص89 - 90).
([9]) ديورانت ، ويل ، قصة الحضارة (ج13 /133) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، وتمتعوا بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم [1] .

وقد سمح القرآن للذميين بحرية ممارسة شعائر دينهم، وأوجب مساواتهم في الحقوق مع سائر الأهالي، ولم يمنع من استشارتهم في مصالح الوطن [2] .

و تحرر أصحاب المذاهب المسيحية للمرة الأولى من اضطهاد كنيسة الدولة، فانتشرت مذاهبهم بحرية ويسر في ظل الدين الإسلامي [3]، وسمح المسلمون للنصارى واليهود بممارسة شعائر أديانهم بعد أدائهم الجزية إلى الفاتحين [4] .

وحرص المسلمون كذلك على احترام العهود وحماية العقائد، وضمان كرامة الناس وحرياتهم، وتركوا المعابد لأهلها، وجسدوا معاني الإنسانية والكرامة [5] .

ويذكر بوفلاقة أن أقلية مسيحية أقامت في قرطبة ومارست عبادتها بحرية كاملة خلال النصف الأول من القرن التاسع، وعاش المسيحيون مع المسلمين دون أن يتعرضوا إلى أي مضايقات في معتقداتهم [6] .

وقد سجل هذه الرعاية المستشرق بارتولد في كتابه الحضارة الإسلامية، عندما رأى أن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين؛ لأن المسلمين اتبعوا في معاملتهم لأهل الذمة الرعاية والتسهيل [7] .

ومن مظاهر حرية العبادة أن نصارى سكان المناطق المفتوحة يتواصلون مع عالم النصرانية دون عناء، ويتلقون إعانات لمؤسساتهم الدينية، وكانوا مرتبطين ببعضهم ارتباطا وثيقاً [8] .

وقد سمح المسلمون بوجود أديان أخرى في المناطق التي فتحوها بخلاف المسيحية التي لم تسمح بوجود الأديان الغربية في أراضيها ، وكان هناك تبادل ثقافي بين المسلمين وغير المسلمين، وعاش أصحاب العقائد الأخرى جنباً إلى جنب مع المسلمين [9] .

كما ضمنت الدولة الإسلامية لغير المسلمين الحق في ممارسة شعائرهم الدينية، فعندما جاء وفد نجران على الدولة الإسلامية ودخلوا المسجد بعد صلاة العصر، يلبسون ثياباً خاصة بهم تدلل على ديانتهم، وقاموا في المسجد يصلون، فأمر النبي بتركهم ولم يعترض عليهم أحد [10].

كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل الذمة الحرية الدينية المطلقة في الدولة الإسلامية [11]، ترك غير المسلمين وما يأكلون وما يشربون ويمارسون شعائرهم بحسب أديانهم [12] .

([1]) المصدر السابق (ج13 / 130 - 131).
([2]) ود ، ريشارد ، الإسلام والإصلاح (ص21).
([3]) هونكه، زغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ،(ص366) .
([4]) نتنج ، أنتوني ، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص70).
([5]) السباعي ، من روائع حضارتنا (ص92).
([6]) حوار الثقافات في الغرب الإسلامي (ص14).
([7]) سلطان ، تاريخ أهل الذمة في العراق (ص124).
([8]) بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية (ص54).
([9]) شبولر ، بارتولد ، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (ص239).
([10]) الطبري ، تفسير الطبري (ج3 /162)؛ البغوي ، تفسير البغوي(ج1 /276)؛ القرطبي ، الجامع ، ج4 ، ص4 ؛ الصالحي ، سبل الهدى والرشاد (ج6 /416).
([11]) أبو يوسف ، الخراج (ص72) .
([12]) أبو يوسف ، الخراج (ص137).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مظاهر الحرية أيضاً تمتع غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي بأمنهم على ممتلكاتهم من بيوت وأراضي، وكذلك تمتعوا بحق التصرف بها كالبيع والهبة والرهن وكل الحقوق بتصرف المالك في ملكه[1] .

ويذكر متز بأن الدولة الإسلامية أصدرت مرسوماً يقضي بأن من مات من أهل الذمة وليس له وريث يرد ميراثه إلى أهل ملته، رغم أن المسلم يرد ميراثه إلى بيت مال المسلمين في الدولة الإسلامية [2] .

ومن حرية العبادة الدينية لأهل الذمة أنهم كانوا يضربون نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار ويخرجون صلبانهم في أيام أعيادهم [3] .

ومن مظاهر التسامح الديني أن المساجد كانت تجاور الكنائس وكان المسلمون يفوضون أهل الذمة في حل مشكلاتهم الخلافية [4] .

وبناءاً على ما سبق يمكن القول أن المسلمين قد عاملوا أصحاب المعتقدات الأخرى معاملة لا نظير لها، ومنحوهم حرية مطلقة في عباداتهم ومعتقداتهم، وكان ذلك تطبيقاً عملياً واقعياً لمنهج القرآن الكريم الذي يحثهم على ذلك ، وتفنيداً للزاعمين أن المسلمين قد أجبروا أصحاب تلك المناطق على اعتناق الإسلام بالإكراه .

كما يتبين أن أهل الذمة كانوا يعيشون إلى جانب المسلمين في حرية كاملة لم يعهدوها من قب ، بحقوقهم التي كفلتها لهم الدولة الإسلامية .

([1]) الشوكاني ، فتح القدير (ج4 /359).

([2]) الحضارة الإسلامية (ص77) .

([3]) الخراج ، أبو يوسف (ص147).

([4]) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر (ج1 /180) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الآثار الاقتصادية المترتبة على الفتوحات الإسلامية

ترتبت العديد من الآثار الاقتصادية للفتوحات الإسلامية على سكان المناطق التي تم فتحها ، وتطورت الحياة الاقتصادية في تلك المناطق بشكل كبير، نتيجة التواصل بين الشرق والغرب ، وإدخال المسلمين أفكاراً اقتصادية جديدة لم تعهد من ذي قبل في المناطق التي ثبتوا بها الحكم الإسلام ، فضلاً عن الاستفادة من أصحاب المناطق المفتوحة

وتحقق الازدهار والرخاء الاقتصادي الكبير الذي لم يعهد من ذي قبل، ووصلت الحالة الاقتصادية إلى ذروتها بفضل الفتوحات الإسلامية .

وأقام الفاتحون السلمون بعد فتحهم للبلاد سلطة مركزية منظمة، ولم تتزعزع اقتصاديات البلاد المفتوحة [1] .

وتحسنت الأوضاع الاقتصادية لأهالي المناطق المفتوحة، وبدأ الذهب الذي كان مخبوءاً في صناديق السراة ينتقل إلى أيدي الفقراء ووصل الناس المثقفون والأذكياء والبارعون إلى أسمى المناصب العامة، وشهدت تلك المناطق عهداً من الرخاء والازدهار وغنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة، ونعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوق المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك الدرجة التي نعم بها المسلمون أنفسهم [2] .

ويتضح مما سبق أن العدل الذي حققه المسلمون في توزيع الثروات على السكان كان له الدور الكبير في إعطاء فرصة لجميع السكان للعمل .

وقد بعث الإسلام الآمال في نفوس أهالي البلاد المفتوحة، إذ خفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى أليهم العزة والأنفة، وألف بين قلوبهم، وأزال الاختلافات من بينهم [3] .

وقد عمل المسلمون على تعريب الإدارة الاقتصادية للدولة في المناطق التي يقومون بفتحها، فعملوا على إنتاج ورق البردي بمصر وكذلك إنتاج النسيج الفاخر، وتقدمت هذه الصناعات أكثر بعد الفتوحات الإسلامية، كما أمر الخلفاء بتعريب النقوش التقليدية التي كانت على شكلها القديم وإضفاء الطابع الإسلامي عليها، كما عمدوا على سك عملة خاصة بهم في وقت لاحق [4]

ويعد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أول من ضرب النقود الإسلامية بعد أن كان المسلمون يستخدمون نقود الروم الذهبية والفضية أو يقلدونها، وكتب عليها اسم الخليفة بالإضافة إلى كلمات الحمد لله ولا إله إلا الله [5] .

ولعل اكتشاف النقود الإسلامية يدلل على مدى انتشار الثقافة الإسلامية ويبرهن على أن المسلمين كانوا يشترون السلع من الشعوب الشمالية الغربية [6] .

([1]) هاملتون ، جب ، دراسات في حضارة الإسلام (ص8).
([2]) فاغليري ، دفاع عن الإسلام (ص26 - 28).
([3]) ديورانت ، ول ، قصة الحضارة (ج13 /133) .
([4]) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص71 - 72).
([5]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص522).
([6]) كرامرز ، جي ، تراث الإسلام (ص156).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد منح المسلمون الشعوب التي تفتح أبوابها للمسلمين حرية العبادة، وملكية الأرض ، وكانت تطالبهم بالجزية وهي مبلغ بسيط مقابل حمايتهم [1] .

وشهدت المناطق المفتوحة عهداً وافراً من الرخاء والازدهار لم تعهده من ذي قبل، وشهدت آسيا غنى لم تعهده منذ قرون طويلة، وازدهرت حياة الشعوب المغلوبة وتحققت حقوق المدنية بشكل غير مسبوق [2] .

وقد جعل العرب من المدن التي فتحوها مدن زائرة، وأتقنوا تنظيم الحياة الاقتصادية في الوقت الذي كان الشقاء والأغلال يسيطران عليها [3] .

وقد اهتم الخلفاء بتنشيط الحركة الاقتصادية وزاد الاهتمام بالتجارة والزراعة والحرف، وفتحت الدولة آفاق جديدة للعمل ولا سيما زراعة الأرض واستصلاحها [4]، وانتعش الاقتصاد وفتحت فرص عمل للعاطلين، وكانت الدولة تمنح الأراضي للعاطلين لاستصلاحها خلال ثلاث سنوات وإلا تسحب منه إن لم يفعل [5] .

كما كانت الدولة تقدم القروض للمستفيدين لتكون رأس مال يستثمرونها في النشاط الاقتصادي [6] .

ونتيجة لاتساع الدولة الإسلامية نشطت الحركة التجارية، وارتفعت حركة الاقتصاد الإسلامي، وتقدمت الصناعا ، وأصبح المسلمون يتحكمون في اقتصاد العالم، ويعلق أحد المستشرقين الغربيين على ذلك فيقول: "ونقل العرب من بلادهم الشرقية إلى البلاد الأوروبية تربية دودة القز، وفنون النسيج، ونبغوا في صناعة الحرير، والقطن، والأنسجة الجميلة التي لم تزل حتى الآن تحمل أسماء المدن العربية الكبرى "، كما أدخل العرب إلى أوروبا صناعة الورق وصناعة الأسلحة، فكان لذلك الأثر الكبير على حركة التجارة الأوروبية والملاحة وغدا البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية وأصبحت التجارة في حوض هذا البحر والعالم بيد المسلمين، كما كانت المرافئ المتوسطية وخطوط المواصلات خاضعة لإشراف العرب من جبل طارق حتى بحر الصين [7] .

بينما يرى آخرون أن المسلمين صنعوا حضارة من أنظر الحضارات التي عرفها التاريخ في أقل من مئة عام وأصبحوا يتحكمون باقتصاد وتجارة الأرض في ذلك الزمان[8] .

ومن دلالات الازدهار الاقتصادي الكبير نتيجة الفتوحات الإسلامية أصبح الدينار الإسلامي يتمتع بقيمة عالية مما جعله معياراً مرجعياً لعملات العالم [9] .

وأصبح الدينار الإسلامي عملة شملت دورتها الشرقين الأقصى والأوسط، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا في الوقت نفسه، إذ لم تسجل قبل ذلك عملة شملت هذه المناطق كافة [10] .

([1]) فلوتن ، فان ، السيادة العربية (ص15).
([2]) فاغاري ، لورافيشيا ، دفاع عن الإسلام (ص26- 27).
([3]) ترند ، جوي ، تراث الإسلام (ص22 .)
([4]) الماوردي ، الأحكام السلطانية (ص251).
([5]) أبو يوسف ، الخراج (ج1 /110) .
([6]) ابن قتيبة ، عيون الأخبار (ج3 /189).
([7]) كاهين ، كلود ، الإسلام (ص69 - 70).
([8]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص88).
([9]) كاهن ، كلود ، الإسلام (ص72).
([10]) La Mediterranee et le Monde medit erraneen F . Braudel .pp.369 – 36 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول بأن الدولة الإسلامية كان لها دور كبير في دفع عجلة الاقتصاد إلى الأمام من خلال توزيعها للأراضي الزراعية وتحفيز استصلاحها، بالإضافة إلى إتاحة المجال للسكان للعمل بحرية تامة في العديد من المهند، فضلاً عن تخفيفها للضرائب التي كانت تفرض على السكان من ذي قبل مما كان له الأثر الكبير في الازدهار الاقتصادي الذي حققه المسلمون .

كما يتبين من شهادات المستشرقين السابقة أن المسلمين كانوا يسيطرون على العالم من خلال اقتصادهم الذي بلغ ذروته ووصل إلى حد لم يصل له من قبل .

الحياة الاقتصادية لأهل الذمة :

أتاح المسلمون المجال بحرية كاملة لأهل الذمة لينعموا في الحياة الاقتصادية كيفما يشاءون، وفتحت أمامهم الأبواب في شتى المجالات ليكونوا سواسية مع أطياف المجتمع كافة .

ولم تغلق الفتوحات الإسلامية الباب أمام أهل الذمة في أي مجال من أبواب الأعمال، فكان قدم أهل الذمة راسخاً في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً، وأصحاب ضياع ، وأطباء، إذ كان معظم الصيارفة من اليهود، بينما كان أكثر الأطباء والكتبة من النصارى، وكان رئيس النصارى في بغداد هو طبيب الخليفة[1] .

و وصل حال غير المسلمين في المناطق المفتوحة إلى أقصى حد من الثروة، إذ كان لليهود مطلق الحرية في اقتناء الثروات ، ووصلوا أحياناً إلى مراكز سامية [2] .

ولم يعهد في المناطق المفتوحة أن التشريع الإسلامي أغلق أي باب من أبواب الأعمال أمام أهل الذمة، فقد كانوا يعملون في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، وكان منهم الصيارفة، والتجار، وأصحاب الضياع، والأطباء، وغيرها، حتى كان معظم الصيارفة في بلاد الشام من اليهود ، بينما كان أكثر الأطباء والكتبة من النصارى [3] .

وقد وجد اليهود تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً اتقوا فيه شر الاضطهاد والاعتداء، ومرت عليهم قرون عديدة وهم في خير وثراء [4] .

وأما اليهود فقد لاقوا تحت حكم المسلمين أمناً وعدلاً لم يعهدوه من قبل، ومضت عليهم قرون عديدة وهم في خير وثراء [5] .

كما تمتع أهل الذمة بالحق في حرية العمل، وساعدت الدولة أهل الذمة في فتح مشاريع استثمارية للعمل والإنتاج، ولقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر لليهود يعملو فيها ويزرعونها ويستثمرونها مقابل نصف ثمارها [6] .

وقد فتحت الدولة الإسلامية أبوابها في وجه نصارى الشام والأنباط للمتاجرة فيها[7].

وقد أمر عمر بن الخطاب أبا عبيدة بعد استشارته في أرض الأردن التي فتحها المسلمون بأن يقر أهل الذمة على أرضهم ، ويكونوا عماراً لها [8] .

([1]) وود ، الإسلام والإصلاح (ص19).
([2]) ريسلر ، جاك ، الحضارة العربية (ص154).
([3]) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (ج1 /68).
([4]) سوسة ، طريقي إلى الإسلام (ج1 /130).
([5]) المصدر السابق (ج1/130).
([6]) البيهقي ، معرفة السند والآثار ،(ج4 /504)؛ أبو إسحاق، المهذب (ج1 /39).
([7]) أبو شيبة، المصنف (ج8 /928).
([8]) الكلاعي، الإكتفاء (ج3 /209).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد سمحت الدولة الإسلامية لأهل الذمة بالانخراط في المهن في المجتمع كالصناعة والتجارة والزراعة والصيرفة [1]، كما منحت الدولة الأموية أهل الذمة جزءاً من الأراضي لتشجيعهم للعمل والكسب واستصلاح تلك الأراضي [2] .

و تميز عهد عمر بن عبد العزيز بالرخاء والعدل لأهل الذمة الذي أسقط الجزية عن ضعفائهم ، وتركهم يزرعون الأرض ، وخفض لهم الضرائب [3] .

وتعد التجارة والصناعة من أكثر المجالات المربحة التي عمل بها اليهود، وتمكن البعض منهم من شراء الأراضي، وتدفق المهاجرون اليهود من الشمال الإفريقي إلى الأندلس [4] .

ويتبين مما سبق أن أهل الذمة بشكل عام واليهود بشكل خاص كانوا من ذوي الدخل الاقتصادي الكبير في المجتمعات الإسلامية، ويرجع ذلك إلى الحرية الكبيرة التي أعطاها المسلمون لهم، فضلاً عن انشغالهم بالتجارة فقط وعدم السعي إلى ميادين أخرى بخلاف المسلمين الذين كانوا منشغلين بنشر الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله .

- **الزراعة :**

تعد الزراعة من أكثر المهن التي ازدهرت نتيجة الفتوحات الإسلامية ، ويرجع ذلك إلى سهولة الاتصال بين الشرق والغرب، وتناقح الأفكار بين المسلمين الفاتحين وسكان المناطق المفتوحة، إذ كانت هناك سلعاً جديدة تم اكتشافها للمرة الأولى، واستغلت خبرات في هذا الجانب ، الأمر الذي عزز ازدهار تلك المهنة .

وادخل المسلمون إلى البلاد المفتوحة الكثير من أنواع الزراعة كالليمو ن والبرتقال والقصب والنخيل والأرز، ونشأت أساليب زراعية في تلك البلاد، وانتقلت زراعة الخضروات وغيرها إلى تلك البلاد [5] .

كما حول العرب المناطق المفتوحة من خرائب وصحراء قاحلة إلى حدائق، واستوردوا لها أشجار النخيل ، وزرعوا بها أشجار الفستق والموز والزعفران وغيرها حتى تحولت إلى بلاد تذخر بالخيرات [6] .

وانتعشت التجارة واتسع نطاقها وأصبح النصارى من الأغنياء، إذ وصل روجر الثالث إلى أغنى أغنياء أوروبا بسبب قدرته الهائلة على فلاحة الأرض والنظام الضريبي الدقيق الذي أخذه عن المسلمين [7] .

وعمل المسلمون على نقل العديد من السلع للمرة الأولى إلى بلاد أوروبا كالبهارات والبخور والأعشاب الطبية والتي كانت لا توجد إلا في بلاد الشرق [8] .

ولا تزال العديد من السلع الموجودة الآن في بلاد أوروبا لها أصول عربية كالليموني وهو الليمون و الإبريقوسي وهو البرقوق وتزبيبي وهو الزبيب، وغيرها من السلع الأخرى [9] .

و عمد المسلمون بعد استقرار الأمور لهم في البلاد المفتوحة إلى تقسيم الأراضي ما بين تأجيرها لأناس يعملون على استغلالها، وما بين امتلاك العديد من الضيع التي تهدف إلى إنعاش اقتصاد تلك البلدان مع خضوع صاحبها للرقابة الإدارية العامة ، وما

---

(1) ابن عبد الحكم ، سير عمر (ص99).
(2) القرشي، الخراج (ص63).
(3) ابن زنجويه ، الأموال (ج1 /165)؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق (ج3 /11).
(4) IBID , VOL . 1 , P . 267 .
(5) عباس، العرب في صقلية (ص73 – 74) .
(6) هونكه ، زغريد ، شمس العرب (ص320).
(7) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص320) .
(8) هونكه، زغريد ، شمس العرب (ص148) .
(9) مجلة حراء العلمية ، العدد التاسع ، ديسمبر وأكتوبر ،2007 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين بقاء الأراضي التي كانت ملكاً لأصحابها، إذ تركوا يمتلكونها في أثناء الفتح ليواصلوا استغلالها [1] .

كما أنشأ العرب منشآت للري في المناطق التي قاموا بفتحها، وأتاحوا التشغيل لكثير من الناس في هذا المجال ولا سيما بلاد الشام [2] .

ونتيجة بحث علماء الطبيعة العرب في النباتات ، أنشأوا حدائق زرعوا فيها أندر النباتات، واشتملت غرناطة على حديقة رائعة في القرن العاشر من الميلاد، كما اهتم حكام الأندلس بتلك الحدائق منهم عبد الرحمن الأول الذي كان له حديقة في قرطبة وأوفد جماعة من علماء الطبيعة إلى بلاد الشام يأتون إليه بأعز النباتات [3] .

وكان أهل المملكة الإسلامية كلهم يأكلون الخبز خلافاً للهنود وسكان آسيا الشرقية الذين كان غذائهم من الأرز وكانت الحنطة تزرع في بلاد الشرق في معظم البلاد ، بينما كانت الذرة مقتصرة على جنوب المملكة الإسلامية، بينما كانت العراق تشتهر بالحنطة والقمح، بينما كانت فلسطين ومصر تنتج البطاطس، كما كانت العراق تشتهر بالفواكه وأبرزها العنب وكذلك اليمن [4] .

و زرع المسلمون التفاح في بلاد الشام ثم جلب بعد ذلك إلى مصر وكانت تجارة التمر ولا سيما من العراق وشمال أفريقيا حيث كان يصدر بكميات كبيرة، بينما زرع المسلمون الزيتون في بلاد الشام وأفريقيا الشمالية التي كانت تمد معظم البلدان بالزيت ، ولا سيما مدينة نابلس كثيرة الزيتون، كما زرع قصب السكر في كلا من مصر وبلاد الشام [5].

واستطاع العرب في أقل من قرن أن يحيوا الأراضي ويعمروها، ويوطدوا الصلات التجارية بالأمم الأخرى [6] .

كما عمل اليهود بالأندلس بالزراعة والتجارة البحرية المزدهرة وأقاموا علاقات مع اليهود في المناطق الأخرى ولا سيما جنوب فرنسا [7] .

ويصف الإدريسي بعض مدن الأندلس باشتهارها بأشجار الزيتون الكثيرة ومزارع الحنطة والشعير [8] .

ومن شدة اهتمام الولاة بالزراعة وصف قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند بأنها السماء في الخضرة، وكأن قصورها النجوم الزاهرة ، وكأن أنهارها المحرة [9] .

ويمكن القول بأن المسلمين لم يدعوا أي وسيلة أو جهد من أجل تطوير الزراعة إلا وقاموا به، إذ يتضح حجم التسهيلات التي منحتها الدولة الإسلامية في سبيل توفير بيئة خصبة لتطويل الزراعة .

ويظهر كذلك منتوجات يتم زراعتها للمرة الأولى على أيدي المسلمين وسكان المناطق المفتوحة .

- **الصناعة :**

تطورت الصناعات في الدولة الإسلامية عقب الفتوحات بشكل بارز وكبير، وظهرت صناعات للمرة الأولى في العديد من المدن والمراكز الإسلامية .

---

(1) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص77) .
(2) كاهن ، كلود ، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص80) .
(3) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص503).
(4) متز ، الحضارة الإسلامية (ج2 /302 - 303 - 304).
(5) المصدر السابق (ج2 /309 - 310 - 311).
(6) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص273).
(7) Elidavis , Tortosa, Encyclopedia Judaica, VOL. 15, P . 1268.
(8) نزهة المشتاق (ج2 /571).
(9) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز (ج1 /70).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقدمت الصناعة وازدهرت في البلاد المفتوحة ، حيث استخرج العرب الفاتحون الفضة والحديد والنحاس والكبريت وغيرها من المعادن بأساليب فنية ، كما أدخلوا صناعة الحرير والمنسوجات [1].

وقد نقل المسلمون إلى أوروبا صناعة النسيج والحرير والصباغة المتقنة، وأدخل المسلمون الصناعات إلى المناطق التي فتحوها فقاموا بصناعة المعادن والأباريق وأدوات المنازل والأسلحة، وغدت دمشق رائدة الصناعات، إذ كان يطلق اسم الدمشقي على منهاج العرب مشتقاً من اسم المدينة دمشق، كما كانت الموصل أهم مراكز تلك الصناعات أيضاً، ثم بعد ذلك انتقلت الصناعات إلى سمرقند وخرسان، كما أتقن العرب في تلك البلاد إتقان المصنوعات الخشبية وترصيعها بالصدف بالإضافة إلى المصنوعات المعدنية التي تميزت بها القاهرة ودمشق ، وكذلك أتقن العرب صناعة الفسيفساء وزينوا به المساجد، بالإضافة إلى صناعة الزجاج الذي تميزت به مصر، فضلاً عن الصناعات الخزفية التي استخدمت في أقدم المساجد كمسجد القيروان ومسجد قرطبة، وانتشرت المصانع الشهيرة التي كانت تصدر منتجاتها لجميع أنحاء العالم [2] .

ونقل العرب المسلمون صناعة الورق إلى المناطق التي افتتحوها كالأندلس وصقلية وأصبحت دعائم الثقافة مشاعاً للجميع ودعوة للعقول للعمل والتفكر [3] .

واشتهرت الأندلس في ظل الحكم الإسلامي بجودة الصناعات، فطور المهندسون المسلمون وابتكروا وخرجت من تحت أيديهم أروع المنتجات [4]، وتسابق الأثرياء في مختلف أرجاء العالم على شراء صنائعهم [5] .

وعمل يهود الأندلس في الخياطة والنسيج والأقمشة، وفي نسخ الكتب وتجديدها، وكذلك عملوا أساكفة وحمالين وكيالين [6] .

ويرى كلود كاهين أن الدولة الأموية كانت تصدر إلى أوروبا الورق رغم احتجاج بعض قادة أوروبا، لأن الورق كان يحمل نقوشاً إسلامية، إلا أنهم كانوا مضطرين لاستيراده لأنه لم يكن لديهم أي مصدر آخر [7] .

وكان للتجار اليهود دور مهم في استمرار الحركة التجارية في البحر الأبيض المتوسط بين أوروبا والمشرق، فكان هؤلاء التجار يجلبون السلع من بلاد المشرق ويبيعونها في بلاد الغال التي كانت مركزاً رئيساً تنقل منه تلك البضائع إلى دول أوروبا[8].

كما نقل التجار اليهود المنتجات المصنعة في الأندلس كالملابس والمنسوجات الحريرية والقطنية، والزئبق والزعفران والحلي [9] .

وكان التجار اليهود يضعون ثقتهم في التجار المسلمين ويؤمنونهم على بضاعتهم ، وقد جاء في إحدى رسائلهم "إذا كانت هناك قافلة وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرم بإرسال البضائع معهم " [10] .

([1]) لوبون، غوستاف ، حضارة العرب (ص320).
([2]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص530 – 532) .
([3]) هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب (ص46).
([4]) الإصطخري ، المسالك والممالك (ص35) .
([5]) ASHTOR , THE JEWS , VOL . 1 , P . 272 .
([6]) الشنتريني، الذخيرة (ج1 / 418)؛ الحميري ، الروض المعطار (ص44) .
([7]) الإسلام (ص71).
([8]) الحميري، الروض المعطار (ص556).
([9]) ASHTOR , THE JEWS , VOL . 3 , P , 291 .
([10]) جوايتان ، دراسات (ص 218).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتبين مما سبق أن المسلمين وأهل الذمة انخرطوا جنباً إلى جنب في مهنة الصناعة إذ كانوا يعملون جنباً إلى جنب ويعينون بعضهم، ويتبادلون المهام فيما بينهم، في إشارة إلى الاستقرار الذي كان يخيم على تلك المناطق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الآثار العلمية المترتبة على الفتوحات الإسلامية

أولى المسلمون اهتماماً كبيراً بميدان العلم في المناطق التي تم فتحها على أيديهم ، واستقرت لهم الأمور بها، وترتبت على تلك الفتوحات نهضة علمية كبيرة، واتبع المسلمون فتوحاتهم بالعلم الذين أدركوا قيمته، وكانت الكثير من الاكتشافات العلمية الرائدة التي سجلت للمسلمين ، فضلاً من ظهور العديد من العلماء، إذ كان لذلك الأثر الإيجابي الكبير على تطور العلم وازدهاره في تلك المناطق .

ويرى لوثروب أن الفاتحين المسلمين قد أتبعوا معاركهم بالبناء والتعمير والعلم ، إذ يصفهم فيقول : "ترى شعباً من القبائل الرحل، رعاة الإبل، يحملون على الأمم ويفتحون نصف العالم في مدة قرن واحد، ثم يكون أعظم همهم بعد أن وطدوا هذا الملك الطويل العريض أن يتبعوا عظمة الفتح بعظمة العلم [1] "، إذ بلغت حضارة العرب الفاتحين في المناطق التي استقروا بها شأناً أفضل من ذي قبل، و كانت على درجة عالية من التقدم، وكانوا أرقى ثقافة وصناعة واجتماعاً [2] .

وكان التقدم العربي على أثر هذه الفتوحات عظيماً، ونشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ظهر أثره في الفنون والآداب والشعر والعلوم ، وأصبح العرب سادة الفكر وكانت المدنية العربية قصيرة العمر لكنها زاهرة الأثر [3]، كما أسس المسلمون بيوتاً للحكمة، واهتموا بالعلوم الرياضية والحكمة والفلسفة وجلبوا إلى تلك البلاد العلماء المتخصصين من الكتاب والأطباء والمهندسين [4].

و تأثرت المناطق المفتوحة بالعلماء والعباد والفقهاء من المسلمين الذين استقروا بها، إذ ذخرت جزية صقلية إحدى أبرز البلاد التي تم فتحها في العهد الأموي بالعلماء والفقهاء والشعراء وأعيان الناس ما لا يأخذه عد ، ولا يأتي عليه إحصاء [5] ، في إشارة على تأثر أهالي تلك الجزيرة بهذه العينات والكفاءات التي استقرت بها، ونهل أهل تلك المناطق من علمهم الغزير وبحرهم الواسع في شتى مجالات العلوم، حتى بلغ تأثير العرب على الغرب أثراً عظيماً، إذ أصبحت أوروبا مدينة للعرب بحضارتها، وكذلك كان هذا التأثير مماثلاً في الشرق على صعيد الدين واللغة والفنون [6] .

وكان للفتوحات الأثر الكبير على سكان تلك المناطق فيما يتعلق باللغة العربية فقد أصبح أهالي المناطق المفتوحة يتكلمون باللغة العربية، ويصدر الحكام مراسيمهم باللغة العربية [7] .

كما أثرت الحضارة العربية والإسلامية على العديد من اللغات فانتقلت العديد من الكلمات العربية إلى اللغة الألمانية، إذ بلغ عدد الكلمات ذات الأصل العربي المتداولة في اللغة الألمانية أكثر من مئة كلمة [8] .

([1]) حاضر العالم الإسلامي (ج1/ 130).
([2]) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص32).
([3]) كرد، الإسلام والحضارة العربية (ج1 /56).
([4]) الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (ص149).
([5]) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص366)؛ الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (ص226).
([6]) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص586).
([7]) ابن الأثير، الكامل (ج8 /249).
([8]) شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية (ص12) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثمرات الفتوحات أيضاً تحول الكثير من البلدان المفتوحة إلى الحضارة العربية الإسلامية ، لا سيما مصر التي تحولت بكاملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة الإسلامية العربية ، كما سمح المسلمون للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم والاستفادة منهم ، وأقبلوا على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها [1] ، كما وصلت حضارة المسلمين إلى درجة متقدمة في أسبانيا وصقلية ، وانتقل تأثيرها إلى فرنسا وإيطاليا، ووصلت فلسفة قرطبة حتى دخلت جامعة باريس [2] .

ويرى بلسنر أنه لا يكاد يوجد شيء لم يتأثر به الغرب من جهود المسلمين في ميدان المعرفة ، فقد أعطى علماء المسلمين العلوم قوة دفع جديدة في المناطق التي فتحوها ، وكان ذلك بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وبفضل إنتاج المسلمين العلمي المستقل، إذ أضحت اللغة العربية أداة العلم الإسلامي الرئيسة وساعدها في ذلك أنها لغة الدين الإسلامي [3] .

وأصبح العرب معلمين لأوروبا، فساهموا في نهضة العلوم بعد أن بدأت إشراقة حضارتهم تمتد من شرقي المتوسط إلى بلاد فارس شرقاً وإسبانيا غرباً، وسجلوا اكتشافات جديدة في العلوم والمعارف [4] .

ويعود ذلك الفضل إلى تشجيع الخلفاء وتوجيهاتهم التي كانت تحفز على نشر التعليم في البلاد المفتوحة وازدهرت العلوم والآداب والفلسفة والفنون ازدهاراً جعل من بلاد آسيا أرقى أقاليم العالم كله حضارة على مدى خمسة قرون [5]، إذ كان أولئك يهتمون باستقبال الوفود القادمة إليها ويدعون كبار العلماء للجلوس معهم، وفي ذلك إشارة إلى تبجيل هؤلاء الوفود واحترامهم، وكان بإمكانهم عقد مناظرات علمية وثقافية مع علماء المسلمين [6]،كما كان عبد الملك بن مروان يلتقي بسفرائه ومبعوثيه للدول الأخرى ليكونوا على مستوى عال من العلم والثقافة، فقد قام بعمل مقابلة شخصية لعامر بن شرحبيل الشعبي [7]، عندما قام بترشيحه ليكون سفيراً لدولة الرومان [8] .

- **إبداعات المسلمين العلمية :**

تميزت المناطق المفتوحة بالإبداع في علوم الطب فقد ظهر أبو عبد الله صقلي الذي كان له دور في ترجمة كتاب الطب الذي أهدي للأمير عبد الرحمن الناصر [9]، من الإمبراطور البيزنطي أرمانيوس في الأندلس [10] .

وكذلك يسجل الفضل للمسلمين أنهم نقلوا علم التشريح لأوروبا بعد أن شرحوا القردة ، وأخذت أوروبا عنهم البيرمستانات [11] .

([1]) أحمد، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص205 - 206).
([2]) باركر، سرارنست، تراث الإسلام (ص79).
([3]) بلسنر، مارتن، تراث الإسلام ، ينظر(ج3/79- 80). .
([4]) دانييل، بريفولت، نشأت الإنسانية (ص84).
([5]) ديورانت، قصة الحضارة (ج13/ 170).
([6]) البكري، فصل المقال (ج1 /330).
([7]) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها؛ ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء (171/5)؛الزركلي، الأعلام (ج3/251).
([8]) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج25 /388)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج4 /74) .
([9]) عبد الرحمن الناصر أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، كان كبير القدر، كثير المحاسن، محبا للعمران، مولعا بالفتح وتخليد الآثار، أنشأ مدينة الزهراء، وبنى بها قصر الزهراء المتناهي في الجلالة ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/324).
([10]) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ج1 /494).
([11]) الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (ص521) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعد العالم الشهير الشريف محمد الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق الذي رسم خريطة العالم، وتعامل الغرب بخرائطه الثلاث لمدة مئة عام وغيره الكثير من ثمرات تأثير المسلمين على تلك المناطق [1] .

وسجل المسلمون إبداعهم وسبقهم في شتى مجالات العلوم كالجغرافيا والفلسفة والرياضيات والهندسة، ونقلها إلى المناطق والبلدان التي فتحوها، وكانو ا أول من وضع أسس علم الكيمياء، إذ تحتوي المكتبة الوطنية بباريس على مخطوطات لاتينية كتبها جابر بن حيان[2]، بنفسه [3] .

ومن تلك الثمرات أيضاً انتقال العلوم والفلسفة والفنون إلى البلاد المسيحية أيضاً ، كما ازدادت معلومات المسحيين الفلكية بعد استيلائهم على طليطلة عام 477هـ/1085م وأبقي على الاعتقاد بكروية الأرض [4] .

ولم يقتصر الفاتحون المسلمون على التنعم بالنعم المادية واستلذاذ الترف ورخاء العيش فحسب، وإنما عكفوا بجد على الارتقاء بالفنون والعلوم والآداب، فازدهرت العلوم وسادت الحرية العقلية، وابتكرت الآراء والأفكار العلمية، واستنبطت الأحكام، ووضعت القواعد والأصول ، ولم يكن هذا من صنيع العرب وحدهم ، بل شاركهم فيه ممن كانوا متضللين بظل دولتهم من النصارى واليهود والفرس الذين كانوا يسامون سوء العذاب قبيل الفتح الإسلامي في سبيل آرائهم ومعتقداتهم التي كانوا يخالفون فيها النصرانية البيزنطية والمجوسية الفارسية [5] .

ويدرك أغلب المتخصصين أن صدى الإسلام ضل باقياً في الآثار التي خلفها في قرطبة[6]، وغرناطة[7]، وأشبيلية[8]، وطليطلة[9]، وغيرها العديد من المدن الأخرى، ولا زالت هناك آلاف المصطلحات العربية حية إلى يومنا هذا [10] .

ومن آثار الإبداع للمسلمين كذلك تلقي مسيحيو القرون الوسطى في الغرب من معاصريهم علماء المسلمين نتائج البحث الإسلامي [11] .

كما اهتم المسلمون بالحياة الأدبية والفكرية في البلدان التي فتحوها، وانتشر الأدب والشعر البدوي وانتشر مديح الأمراء أصحاب الكرم والسخاء وسطع نجم الشعراء كالأخطل وجرير والفرزدق [12] .

([1]) الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الاسلامية (ص515 - 517).

([2]) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوف كيميائي، كان يعرف بالصوفي من أهل الكوفة، وأصله من خراسان، اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى وتوفي بطوس، له تصانيف كثيرة قيل: عددها 232 كتابا، وقيل: بلغت خمسمائة؛ ينظر: الزركلي، الأعلام (ج2/103).
ضاع أكثرها، وتُرجم بعض ما بقي منها إلى اللاتينية.

([3]) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص658).

([4]) ديورانت، ويل، قصة الحضارة (ج13/386).

([5]) لوثروب ، استودارد، حاضر العالم الإسلامي (ج1 /8) .

([6]) قرطبة: وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/324).

([7]) غرناطة: أقدم مدن كورة البيرة، من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، يشقها بنهر حدارة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/195).

([8]) مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص أيضا وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره وبها كان بنو عباد ولمقامهم بها خربت قرطبة وعملها متصل بعمل لبلة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج1/195).

([9]) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/39).

([10]) كاستروا، أمريكو، أسبانيا في تاريخها :"المسيحيون والمسلمون واليهود" (ص63).

([11]) توينبي، أرنولد، مختصر دراسة التاريخ (ج3 /356).

([12]) كاهن، كلود، الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص82).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعمل العرب كذلك على ترقية العلوم ونشرها في المناطق التي قاموا بافتتاحها، وعملوا على إقامة الجامعات وكان لهم الأثر البالغ في أوروبا، كما أنهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية لعدة قرون، بالإضافة إلى أنه كان لهم الفضل في اطلاع البشرية على علوم قدماء اليونان والرومان، كما ترجمت العديد من كتب البصريات إلى اللغتين اللاتينية والإيطالية، وتم الاستعانة بها في أوروبا، ونتيجة لاهتمام العرب بالعلوم وكثرة المكتبات العامة والخاصة في المناطق التي قاموا بفتحها اضطر العرب إلى زيادة مصانع الورق، فانتهوا إلى صنعه بإتقان عظيم [1] .

واعتنى العرب بالطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم في المناطق التي قاموا بفتحها ، وترجمة مؤلفاتهم في جميع أوروبا ، وبرع علماء العرب وسطع نجمهم في تلك العلوم أمثال الرازي الذي ترجمت كتبه إلى اللغة اللاتينية وطبعة عدة مرات، ولا سيما في باريس والبندقية، وكذلك ابن سينا الذي نقلت كتبه إلى أكثر لغات العالم وظلت مرجعاً للطب على مدار ستة قرون في جامعات فرنسا وإيطاليا [2] .

ومن دلالات فضل العرب شهادة لوبون التي يقول فيها: "بأن العرب لو استولوا على فرنسا لأصبحت باريس كقرطبة مركزاً للحضارة والعلم، ولكان أهلها يقرؤون ويكتبون ويتحدثون الشعر في الوقت الذي لا زال فيه ملوك أوروبا لا يجيدون كتابة أسمائهم"[3]، في إشارة واضحة على أهمية الدور الكبير الذي لعبه العرب الفاتحون في ميدان العلم .

ونتيجة الفتوحات أفاقت أوروبا على صوت علماء المسلمين وفلاسفتهم الذين نشروا علومهم في مساجد أشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها وكانوا شديدي الإعجاب بما يستمعون إليه من تلك العلوم [4]، ومن كثرة الشعراء والأدباء لم يحصى عددهم، وكذلك الفلاسفة والعلماء الذين انتشروا يتناقشون في المعارف وانتشرت تعاليم الدين الإسلامي في صحاري العرب، وكان هناك منبع للدعاة والعلماء الذين انتشروا في الأصقاع يعملون على نشر الدين الإسلامي [5]، كما أصبحت أسبانيا المركز الفكري لأوربا بسبب الفتح الإسلامي، وقدمت للعالم أفضل الأساتذة، واستفاد الأوربيون كثيراً من الإنجازات والاكتشافات الإسلامية [6] .

وتشجيعاً للعلوم والمعرفة أزال المسلمون القيود التي كانت مفروضة على التطور العلمي في المناطق التي فتحوها ، وأصبحت تلك البلاد تزخر بالأبحاث والمكتشفات، إذ ضمت جامعة قرطبة وحدها مكتبة علمية تحتوي على أربعمئة ألف مجلد، وكان يؤمها الكثيرون من مختلف البلدان للدراسة فيها [7] .

وبفضل العرب الفاتحون أيضاً ترجمة الثقافة اليونانية وأخرجت من مدفنها وقاموا بنشرها في الشرق ثم أرسلت بعد ذلك إلى الغرب[8] .

وقد أظهرت الترجمات اللاتينية مؤلفات المسلمين بشكل تدريجي، ووصلت علوم العرب إلى إنجلترا واللورين حيث كان التواصل سهلاً [9] .

([1]) ينظر: لوبون، غوستاف ، حضارة العرب (ص452 - 453). .
([2]) ينظر: لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص503 - 504) .
([3]) دي كاسترو، هنري، الإسلام خواطر وسوانح (ص83).
([4]) السباعي، من روائع حضارتنا (ص82).
([5]) دي كاسترو، هنري ،الإسلام، خواطر وسوانح (ص132).
([6]) بوتر، ديبورا، رجال ونساء أسلموا (ج8/110 – 111) .
([7]) بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص140 - 141).
([8]) حنا، جورج، قصة الإنسان (ص83).
([9]) رودنس، مكسيم، تراث الإسلام (ج1/36).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووهب المسلمون أوروبا أفضل ثلاث هبات في مجال العلوم هي: البارود، والبوصلة، والكتاب ، والتي كان لها الأثر الكبير في نقل الحضارة العلمية إلى بلاد أفريقيا [1] .

وكان الاتصال المادي بين الشرق والغرب نتيجة الفتوحات الإسلامية الأثر الكبير للنهضة العلمية وإحياء الفنون وكذلك استمداد العلوم الأوروبية من المصادر الإسلامية، وحققت أوروبا استفادة أكثر مما حققه العالم الإسلامي [2] .

كما أصبحت العديد من المدن المفتوحة مراكز ذات اتصال بين الإسلام والمسيحية ، وأبرز تلك المدن طليطلة التي كانت تعد كمركز تبادل للبضائع العقلية يؤمها طلاب العلوم من كل فج [3] ، وظلت مراكش والشرق محط أنظار الغربيين الذين يميلون إلى العلم ويطمعون في تذوقه، وشرع أبناء أوروبا يترجمون آثار العرب كما ترجم العرب آثار الإغريق، وازدهرت روح البحث العلمي [4] .

- **دور المساجد والجامعات في نشر العلوم :**

انتشرت المساجد بشكل كبير في المناطق التي فتحها المسلمون وأقاموا فيها شعائر الإسلام حتى كان ببغداد خلال القرون الثلاثة الأولى سبع وعشرون ألف مسجد، كما كان في البصرة سبعة آلاف مسجد [5] .

و أصبحت المساجد بعد الفتح الإسلامي جامعات الإسلام، فقد عجت بالطلبة الذين قدموا طلباً في العلم وقدموا للاستماع لمحاضرات العلماء في شتى العلوم وجاء العلماء من جميع أرجاء العالم الذي كان يتكلم بالعربية، إذ كان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسيته[6] .

وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة في العلوم كافة، بينما كان الحج إلى مكة فريضة على كل مسلم، الأمر الذي ساعد على انتشار العلم، فكان التلاميذ القادمون من الهند وأسبانيا وآسيا الصغرى وأفريقيا يمرون ببلاد مختلفة، وتتاح لهم زيارة المساجد والمعاهد العلمية والاتصال بمشاهير العلماء [7] .

وكانت معظم دروس الفقه والعلم تعطى في المساجد على هيئة حلقة بين يدي المدرس وكان هذا يتخذ مكانه إلى جانب سارية بالمسجد مستنداً إليها بظهره [8] .

كما كان للجامعات الدور الكبير في نشر العلم فقد سبق العالم الإسلامي الغرب بقرن من الزمان بسلسلة من الجامعات العظيمة التي أضاءت خارج العالم الإسلامي مسافات بعيدة ، واجتذبت إليها الطلبة من الشرق والغرب [9] .

و تركت حضارة العرب والمسلمين في أوروبا بصماتها على جميع المستويات ابتداء من الفولكلور، وإنتهاء بالعلوم كالفضاء وخرائط القمر وغيرها، ولا يزال الكثير الذي يجب أن يتعلمه الغرب من الحضارة الإسلامية [10] .

([1]) ريسلر، جاك، الحضارة العربية (ص19) .
([2]) فايس، ليوبولد، الإسلام على مفترق الطرق (ص59).
([3]) خليل، قالوا عن الإسلام (ص376).
([4]) فو، كارادي، تراث الإسلام ، ينظر (ص563 - 564).
([5]) متز، الحضارة الإسلامية (ج2 /269 - 270).
([6]) بول، لين، تاريخ العالم(ج4/607 - 608).
([7]) متز، الحضارة الإسلامية (ج1 /322).
([8]) المصدر السابق (ج1 /332).
([9]) ويلز، معالم تاريخ الإنسانية (ج3/664).
([10]) يونغ، لويس، الشرق الأدنى (ص10) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر كارل بروكلمان أن تاريخ الإسلام قدم صفحات ناصعة مشرقة أظهرت حرص المسلمين على العلم وسعيهم في تحصيلهم، وتفانيهم في خدمة العلوم الضرورية للإنسانية كالطب، والهندسة، والحساب، والفلك، وأنشأت المدارس والجامعات في أرجاء الدولة الإسلامية [1] .

وبفضل الجامعات الإسلامية التي أسسها العرب شهد غوستاف لوبون للعرب بأنهم أرقى من جميع أمم الغرب التي عاشت قبل عصر النهضة أخلاقاً وثقافة ، فلم تعرف جامعات العصور الوسطى في قرون كثيرة غير مؤلفاتهم ، وكانت أخلاقهم أفصل من أخلاق أجدادنا بمراحل [2]، كما وصفهم بأنهم أساتذة للغرب، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب [3] .

وبفضل الجامعات أيضاً كان معظم أفراد المجتمع إما عالماً أو متعلماً، وقد قلد اليهود ذلك المجتمع في إقبالهم على العلم [4]، وقد كان اليهود يتخذون مدارس لتدريس أبنائهم الصغار، وكان يحدث ذلك في مصليات البيع، أما الأثرياء فكانوا يعلمون أبنائهم في مدارس خاصة [5] .

وترى زغريد هونكه أن الإسلام هو أول مذهب في التاريخ أوصى بإلزامية التعليم، وجاءت حضارته، وحققت هذا المبدأ على أرض الواقع، إذ حققت قرطبة القضاء على الأمية تماماً، وهي أول مدينة في التاريخ تجسد ذلك [6]، وهذا كله بفضل إنشاء الجامعات ونشر العلم .

و كان عصر صدر الإسلام عصر نمو وتأصل وتماسك وترابط لأصول العلوم [7]، ويشهد فيليب حتى فيقول :"إن أعظم درجات الرقي التي بلغتها الحركات الفكرية كانت في عصر الأمويين" [8] .

بينما ترى زغريدة هونكه أن العرب قد قدموا للعالم أثمن هدية وهي البحث العلمي، إذ مهد ذلك للغرب الطريق لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم [9]، مضيفة بأنه لم يكن هناك عالم من العلماء إلا ومد يده للكنوز العربية ليغرف منها كما ينهل الظمئان من الماء العذب [10] .

وتنبع أهمية الجامعات لدى المسلمين من أهمية العلم في شريعتهم، وأنهم خير أمة أخرجت للناس ليس في مجال الأخلاق فحسب وإنما في كل المجالات، فارتادوا مختلف العلوم والمعارف والصناعات، فكانوا في بعضها مطورين، وفي البعض الآخر مضيفين، وفي معظمها مبتكرين ومعلمين [11] .

ويؤكد جورج سارتون المؤرخ البلجيكي أن المسلمين هم عباقرة الشرق في القرون الوسطى، لهم فضل عظيم على الإنسانية، تمثلت في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقاً، مستخدمين في ذلك لغتهم العربية [12] .

---

(1) الأتراك، العثمانيون وحضارتهم (ص46).
(2) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص614).
(3) المصدر السابق (ص26)، (ص276) .
(4) جواي تاين، دراسات (ص155).
(5) الكواتي، اليهود في المغرب (ص157).
(6) شمس العرب تسطع على الغرب (ص260).
(7) الدفاع، روائع الحضارة (ص270).
(8) تاريخ العرب (ص319).
(9) شمس العرب تسطع على الغرب (ص402).
(10) المصدر السابق ص305).
(11) بارنولو، تاريخ الحضارة الإسلامية (ص275).
(12) تاريخ العلم (ص22) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر جوليفه كستاو في كتابه قانون التاريخ أن أوروبا مدينة بالهواء النافع الذي تمتعت به بالأفكار العربية، فقد أنقضت أربعة قرون ولا حضارة بها غير الحضارة العربية [1]، بينما يذكر سيدو أن المجتمع الإسلامي لم يشهد ما شهدته أوروبا من تحجر العقل ومحاربة العلم والعلماء، بل كان المسلمون منفردين بالعلم [2]، ويصف المستشرق الألماني متز المسلمين باهتمامهم البالغ باقتناء الكتب والاعتزاز بها، وجعلهم في كل بيت مكتبة [3].

(1) جوليفه، كستاو، قانون التاريخ ، نقلاً عن محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية (ص544).
(2) نقلاً عن، حسان شمسي باشا، هكذا كانوا يوم كنا (ص83).
(3) متز، آدم، الحضارة الإسلامية (ج1/130).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

الآثار الاجتماعية المترتبة على الفتوحات الإسلامية

كان للفتوحات الإسلامية أثر واضح على الصعيد الاجتماعي في المناطق التي استقر بها المسلمون، وظهرت هذه الآثار في الحياة الاجتماعية اليومية للسكان وتقاليدهم وعاداتهم

وأثر المسلمون بشكل كبير على مناحي الحياة الاجتماعية بالسكان وما يتعلق من شؤونهم اليومية من سكن وزواج وعادات وتقاليد وغيرها .

ويرجع ذلك إلى تعزيز الشريعة الإسلامية للحياة الاجتماعية وتحفيز الخلفاء على نشر روح المحبة والتسامح وتطبيق المساواة والعدل، مما كان له دور في الطفرة التي شهدتها الحياة الاجتماعية في تلك المناطق .

وتأثر الكثير من سكان البلدان المفتوحة بالمسلمين الفاتحين وسياستهم الرحيمة، وحصل بينهم تزاوج، وكان هناك تمدن عربي في تلك المناطق فانتشرت اللغة العربية وآدابها، وتركت ألحان الكنيسة، وبلغت حرية الأديان منتهاها، وكان أحد فقهاء قرطبة يسلم على جيرانه من النصارى كلما لاقوه في طريقهم ويدعوا له أطال الله بقاءك، كما كانت المودة قائمة بين الأمتين، واتخذ الخلفاء النصارى نصحاء لهم وأنزلوهم أعلى الدرجات [1].

وكان للفتوحات الإسلامية أيضاً الأثر الاجتماعي الكبير على سكان المناطق المفتوحة فاعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم وفن عمارتهم وتم ذلك في الكثير من الأقطار التي فتحها المسلمون والتي امتدت من مراكش إلى الهند [2] .

و سمحت تعاليم الدين الإسلامي ببقاء بذور الحضارات القديمة لدى طوائف كبيرة من السكان ، وبقوا متمتعين بعاداتهم وقوانينهم ولغاتهم ، على أن يعطوا الجزية المقرة بانتظام ، وتأسست الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل تلك البلدان بسبب الجوار وكذلك لاعتناق الأهالي للإسلام [3] .

وقد تألفت أمم من نوع معين واتحدت وخضعت لنظامها الديني الخاص، وانخرطت في البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي الذي يحميها [4] .

- **تعزيز المسلمين للروابط الاجتماعية :**

انطلق المسلمون من شريعتهم ومنهجهم الرباني في تعزيز الحياة الاجتماعية في المناطق التي استقروا بها، اذ يحثهم الدين الإسلامي على التعايش بينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى والإحسان إليهم وغير ذلك من الأفعال الحسنة .

وفتح الإسلام التعايش على الصعيد الاجتماعي والعرقي، إذ اعترف بصدق الرسالات الإلهية المنزلة من قبل ، وأتاح للشعوب التي فتح بلادها حرية دينية فاقت بكثير

([1]) دي كاستري ، هنري ،الإسلام خواطر وسوانح (ص77 - 78).
([2]) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب (ص145).
([3]) الدوميلي ، العلم عند العرب (ص123).
([4]) بوزار ، مارسيل ، إنسانية الإسلام (ص186).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلك التي أتاحتها الدول المسيحية نفسها، وقد انخرطت الأمم التي تألفت في تلك البلاد وخضعت لنظامها الديني الخاص وانخرطت في البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي [1] .

وعمل المسلمون كذلك على رفع مستوى المعيشة بإنشائهم جواً اجتماعيا راقياً، وفرضوا احترام النفس، واحترام الناس، وأدخلوا فن القراءة والكتاب، وحرموا تعاطي المسكرات، وقضوا على العديد من العادات البربرية القديمة، وجعلت الناس مواطنين متساويين في حقوقهم [2] .

ومن الحرية الاجتماعية التي سادت البلاد المفتوحة السفر إلى الأراضي المقدسة خاصة أنه كان من أعظم الممارسات النصرانية والوصول إلى المقدسات في فلسطين [3]، كما لم يظهر المسلمون أي تعصب اتجاه المسيحيين، بينما كان زمناً يبطش بالناس وينزل بهم الهلع ، ويطردون بلا رحمة من أسبانيا [4] .

و انتشرت اللغة والدين معاً وقاما بتحطيم الحواجز التي كانت تحول بين الفاتحين وأهل البلاد، وتم إلغاء الحدود السياسية وأصبحت الدولة مترامية الأطراف في ثلاث قارات خالية من القيود، إذ كان المسلم يجد في كل مكان نفس الدين ونفس الصلوات والشرائع، كما تحقق التكافل الاجتماعي بين المسلمين وأهل الذمة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبر جيرانه من أهل الذمة ويتصدق على البيوت الفقيرة منهم [5]، كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود صفية بنت أخطب ووالدها زعيم اليهود في المدينة[6].

وقد كان الخلفاء يحملون الأموال والمعونات إلى الناس في القرى والضواحي، ولا يميزون في إعطاء الناس تحت أي مسمى [7] .

ويشيد كلود كاهن بالعدالة التي سلكها الخلفاء في توزيع الأموال على مواطني الدولة كافة [8]، فالخلفاء لم يفرقوا في عطائهم بين العرب والموالي [9] .

وقد أبقى عمر الأراضي المفتوحة على حالها ورفض تقسيمها، وأبقاها في يد زارعيها مقابل خراج يؤخذ كل عام ينفق على اليتامى والمساكين [10] .

وشهد علماء الغرب بتمتع غير المسلمين بحقوقهم الاجتماعية فذكروا أن محمداً لم يخف عطفه على النصارى، وكان يثني على القسيسين والرهبان الذين تقدر فضائلهم [11].

كما تكفلت الدولة الإسلامية بشيوخ أهل الذمة ومرضاهم وفقرائهم، ويدلل على ذلك كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة : أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله [12] .

وقد وصلت الدولة الإسلامية إلى مرحلة متقدمة من الضمان الاجتماعي وهي تزويج العزاب، فكانت تزوج كل أعزب من الخمس [13] .

([1]) المصدر السابق(ص184 – 186) .
([2]) أندرسن، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (ص405 - 406).
([3]) بروي، إدوارد، تاريخ الحضارات العام (ج3/312) .
([4]) المصدر السابق (ج3/589).
([5]) عبد الرازق، المصنف (ج6 /34).
([6]) ابن كثير، البداية والنهاية (ج4 /196)؛ الصالحي ، سبل الهدى والرشاد (ج11 /214).
([7]) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3 /298) .
([8]) كاهين، كلود ، الإسلام (ص69) .
([9]) ابن زنجويه، الأموال (ج2 /192)؛ أبو عبيد، الأموال (ج1 /300).
([10]) أبو يوسف، الخراج (ص81).
([11]) درمنغم، إيميل، حياة محمد (ص129).
([12]) الكلاعي، الحيدة والاعتذار (ج1 /25).
([13]) أبو عبيد، الأموال (ج1 / 358).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و أنشأت الدولة الإسلامية المؤسسات، وأوقفتها لصالح الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى وغيرهم، وعملت على بناء البيوت الخاصة للفقراء والمطاعم الشعبية التي كان يوزع فيها الطعام للفقراء والمساكين [1]، كما كانت الدولة الإسلامية تقضي ديون الفقراء الذين عجزوا عن السداد، وتتكفل بنفقاتهم [2]، وأصدرت مرسوماً بمنع التسول وصرفت راتباً شهرياً للمرضى والمعاقين وغيرهم [3] .

وقد منح الإسلام المرأة حقوقاً، بينما كانت المرأة في أوروبا محرومة من جميع تلك الحقوق ، ومنح الإسلام المرأة التمتع بحرية الفكر والتعبير [4] .

وكانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الإسلامية، وكانت تشارك بالحياة الاجتماعية والثقافية، ويسجل لشعراء المسلمين أنهم الذين علموا مسيحيي أوروبا احترام المرأة [5] .

وترى كوبولد [6]، أن الحضارة الإسلامية النساء على السير جنباً إلى جنب مع الرجال في ميادين العلوم والمعارف، فقد نشأ منهن عالمات في الفلسفة والتاريخ والأدب وكل ألوان الحياة [7]، ووصلت المرأة في أوروبا إلى مكانة رفيعة نتيجة التقدير الديني للمرأة في الإسلام [8]، و أعطيت حقوقها التي لم تحصل عليها في كثير من البلاد الأوروبية [9]

وساعد الإسلام على رفع ثقافة المسلمات، فكن حينذاك أرفع من ثقافة الأوروبيات دون جدل [10].

وحرص المسلمون على تجسيد العدل والمساواة في الحقوق على كافة طبقات المجتمع ، فقد صان المسلمون أنفسهم عن مثل خطايا العرب فيما يمس رفاهية طبقات العمال ، وحافظوا بإخلاص على تلك المبادئ التي يسود بها السلام بين الغني والفقير والسيد والأجير، وأصبحت الطبقة العاملة في العصور الإسلامية تتمتع بكامل حقوقها، ولم تعرف أوروبا هذه الحقوق إلا في النظرية فقط دون أن تتمكن من تطبيقها على أرض الواقع ، بينما جعل الإسلام هذه الحقوق حقيقة ملموسة تسود في المجتمع الإسلامي نظرياً وعملياً [11] .

وقد عد علماء الغرب ظهور الإسلام بركان من الحرية، فحفظ حقوق جميع شرائح المجتمع، وساوى بينهم، وأعطاهم الحق في أمنهم على حياتهم وأعراضهم، واندماجهم في كافة مناحي التطور والعمل في الدولة الإسلامية [12] .

وتذكر المؤرخة البريطانية إيميلي سميث بأن المستشفيات الإسلامية كانت عبارة عن أوقاف إسلامية تقدم الخدمة الطبية لكافة الناس بغض النظر عن دياناتهم [13] .

([1]) ابن سعد، الطبقات (ج5 /364)؛ أبو عبيد ، الأموال (ص84).
([2]) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4 /393).
([3]) المصدر السابق (ج4 /391).
([4]) ماكلوسكي، رجال ونساء أسلموا (ج9/62).
([5]) بوزار، مارسيل، إنسانية العالم (ص108).
([6]) إيفلين كوبولد: اعتنقت الإسلام ، وأدت فريضة الحج عام1933 ، ونشرت كتاب عن أداءها للحج بعنوان : الحج إلى مكة؛ بنظر: العقيقي ، المستشرقون (ص106) .
([7]) البحث عن الله (ص51).
([8]) كارودي، روجيه، وعود الإسلام (ص106) .
([9]) I.M.Roberts , the pelican History world , p , 334 .
([10]) دينيه، إيتين، أشعة خاصة بنور الإسلام (ص441).
([11]) لوبليه، عمال الشرق (ص8).
([12]) J . M. Roberts, the pelican history of the world , p334.
([13]) السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم (ص727).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر أندرو ديكسون وايت بأن معاملة المجانين في الدولة الإسلامية منذ عصر عمر بن الخطاب وما بعده كانت أرحم بكثير من الوقت الذي ساد طوال العالم المسيحي، إذ أن المسلمين قد وفروا كثيراً من الوسائل الرحيمة للمجانين، وعاملوهم معاملة رحيمة[1]

- **الحياة الاجتماعية :**

انتشر بين المسلمين الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة الترابط والتزاوج وتلاقح الأفكار، ونشأ الاختلاط سريعاً بينهم، كما ظهرت حضارة جديدة هي نتيجة اندماج الحضارة العربية بالحضارات اليونانية والرومانية والفارسية، فظهرت روح جديدة وأصبحت تلك البلاد أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً وتقدماً وعمراناً مملوءة بالمدن الزاهرة والمساجد الفخمة والجامعات العلمية المنظمة [2] .

و امتازت أحوال غير المسلمين في البلاد المفتوحة اجتماعياً على حالة مواطنيها من المسلمين، وبقيت الطوائف النصرانية آمنة مترفهة تحت حكم المسلمين [3] .

وقد اختلط المسيحيون مع المسلمين في المناطق المفتوحة، وحدث أنهم احتفلوا بأعيادهم معاً في المسجد وفي الكنيسة، ونتيجة لتلك الحرية البالغة في أقصى درجاتها شوهد بعض المسيحيين يتخذون لأنفسهم أكثر من زوج على الرغم من تحريم الكنيسة [4]

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية كان للمسلمين لباسهم وركوبهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة به، وكذلك كان للنصارى واليهود مثل ذلك [5] .

ومما يدلل على عمق العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم في المناطق التي فتحوها كان شعراء المسلمين يرثون موتى غيرهم بالشعر [6] .

وكانت الخيوط الثقافية والإنسانية قائمة بين الناس على شتى اعتقاداتهم، وكان المسلمون يزورون الأديرة، وكانت العديد من أماكن الزيارات الدينية ملتقى للأدباء والشعراء [7] .

كما شهد المجتمع في عهد الدولة الإسلامية مشاركة أهل العقائد للأفراح والأتراح، وكان المسلمون يحرصون على تفقد جيرانهم من أهل الذمة ويقدمون لهم الهدايا ويزورونهم في بيوتهم [8] .

وتذكر الروايات أن عمر بن الخطاب استعار ثوباً من نصراني عند قدومه إلى الجابية فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه، كما توضأ من جرة امرأة نصرانية، واستضاف أهل الذمة النصارى المسلمين على طعام أعد في الكنيسة، فأمر عمر أن يذهب المسلمون في الكنيسة ويأكلوا الطعام [9] .

كما شارك المسلمون أهل الذمة ألعابهم الترفيهية، واستقبل أهل الذمة عمر بن الخطاب عند قدومه الشام بالعروض الرياضية والترفيهية والسيوف والريحان [10] .

وقد عاش اليهود في ظل حكم المسلمين في الأندلس في أحياء خاصة بهم، وكان لا يداخلهم في أحيائهم مسلم [11] .

([1]) انظر : . A. D. White; A History of Science with Theology in Christendom Vol . 11/123

([2]) ستودارد، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي (ج1 /3- 4) .

([3]) ود، ريشار ،الإسلام والإصلاح (ص20).

([4]) جاك، ريسلر ،الحضارة العربية (ص154) .

([5]) متز، الحضارة الإسلامية (ج1 /101) .

([6]) الثعالبي، يتيمة الدهر (ج2 /362).

([7]) الأصبهاني، الديارات (ج1 /23)؛ الحموي، معجم البلدان (ج2 /530).

([8]) الذهبي، الكبائر (ج1 / 207)؛ الحميدي، المسند (ج2 /570).

([9]) ابن القيم، إغاثة اللهفان (ج1 /153 - 157).

([10]) أبو عبيد، الأموال (ص180).

([11]) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ص571) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر جوايتاين [1]، بأن بيوت اليهود والمسيحيين كانت ملاصقة لبيوت المسلمين في الفسطاط [2]، والقاهرة والإسكندرية والمحلة وبيت المقدس ودمشق وحلب وغيرها، وكانت هناك فرص كثيرة للاختلاط اليومي بينهم [3] .

ورغم التأثير الكبير الذي أثره المسلمون في الأندلس إلا أن اليهود ظلوا محافظين على طقوسهم وشعائرهم وكثير من عاداتهم وتقاليدهم، ويرجع ذلك بسبب إقامتهم في أحياء خاصة بهم [4] .

وكانت بعض المدن الأندلسية تضم نسبة عالية من السكان اليهود، وقد أطلق بعض المؤرخين المسلمين على هذا النوع من المدن اسم مدينة اليهود [5] .

ويذكر المؤرخون الغربيون أن العبيد قبل الإسلام لم يعاملوا معاملة العبد كإنسان ، وإنما تم معاملتهم كآلة أو حيوان، وكان يعرض ذلك العبد للموت بالضرب أو الجوع ، وقد يلقى به أحياناً في حلبة المصارعة لتأكله الوحوش [6]، بينما كان للإنسان مكانته في ظل الدولة الإسلامية .

ويضيف أرنولد أن هناك الكثير من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين في بعض نظمهم الدينية، فاختتن كثيرٌ منهم، وطبقوا عاداتهم وتقاليدهم في الطعام والشراب [7] .

وكان الانسجام قائماً بين المسلمين والمسيحيين، إذ كان التجار المسلمون يدخلون بكامل حريتهم إلى البلدان المسلمة، ويبيعون أهلها بضاعتهم، وكان المرضى من المسيحيين يفضلون الأطباء المسلمين على الأطباء المسيحيين [8] .

وقد جسد المسلمون المبادئ التي تنادي بالمساواة تطبيقاً عملياً على أرض الواقع [9]، وعملوا على الاندماج الاجتماعي بين أطياف المجتمع كافة، ويدلل على ذلك الاندماج الاجتماعي بين السكان في المناطق المفتوحة أن مقبرة اليهود في قرطبة كانت داخل المدينة [10]، كما تأثر اليهود في المناطق المفتوحة بالمسلمين، وبدؤوا يهتمون بأصل العائلة، وفاخروا بنسب أجدادهم القدماء، وتتبع الأنساب وإظهار شرف الأجداد ، وكان ذلك على وجه الخصوص في بلاد الأندلس [11] .

بينما أصبحت اللغة العربية لغة يهود الأندلس يتكلمون بها، ويفكرون ويكتبون بها[12]، ولبس اليهود كذلك في بلاد الأندلس ملابس العرب [13]، بينما تغاضت الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس مع اليهود والنصارى ولم تلزمهم بزي خاص يرتدونه [14] .

وأقام اليهود الولائم الخاصة بهم في الأعياد والمناسبات، وكانت تقدم وجبات شهية للمدعوين من الحمام المطبوخ يليها الحلويات ثم الفواكه الذي كانت توضع على طاولات

([1]) مستشرق، مجري، يهودي، اعتنى بالمجتمع اليهودي في مصر والشام بالعصور الوسطى، واهتم بعبادات الإسلام وتراث اليهود في دراساته العلمية، هاجر إلى فلسطين عام1923م، وعمل محاضراً بالجامعة العبرية بالقدس؛ ينظر: العقيقي، المستشرقون(ص211).

([2]) الفسطاط: مدينة بناها عمرو بن العاص على ضفة النيل الشرقية، وتشتهر بمبانيها العالية، وهندستها، وصناعاتها؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج3/434).

([3]) جوايتاين ، دراسات في التاريخ الإسلام (ص151).

([4]) ASHTOR , THE JEWS , VOL . 3 , P . 59 .

([5]) الإدريسي، نزهة المشتاق (ص149) .

([6]) WILL Durant , histoire de la civilization , tom VIII , p258 .

([7]) الدعوة إلى الإسلام (ص160).

([8]) ديورانت، ول ،قصة الحضارة(ج15/34).

([9]) لوبون، غوستاف ،حضارة العرب (ص391).

([10]) ابن بشكوال، الصلة (ج2/264).

([11]) الشنتريني، الذخيرة (ج2 / 762).

([12]) الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين بالأندلس (ص229).

([13]) مؤنس، فجر الأندلس (ص523) .

([14]) الونشريسي، المعيار المعرب (ج2 / 256) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صغيرة مستديرة [1]، وكانوا يدلون بحججهم، ويطالبون بحقوقهم، دون أي خوف أو وجل في ظل الدولة الإسلامية [2]، ويفضلون الاحتكام إلى القضاة المسلمين على الاحتكام إلى القضاة اليهود [3].

وكان المسلمين يجالسون اليهود، فقد ذكر ابن حزم الأندلسي أنه كان يوماً بالمرية ، قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها[4] .

وقد تتلمذ عدد من اليهود على أيدي أساتذة من المسلمين مما يدلل على العلاقات الحسنة بينهما ، فقد ذكر الكاتب أحمد بن عبد الملك [5]، أنه قد جلس إليه يوماً يوسف بن إسحاق الإسرائيلي[6]، وكان أفهم تلميذ مربي [7] .

وقد قام بعض يهود الأندلس بإهداء جيرانهم المسلمين الطعام بمناسبة عيد الفطر ، وقد ورد ذلك في إجابة القضاة المسلمين على الأسئلة الموجهة إليهم بأن المسلمين يستقبلون تلك الأرغفة [8] .

---

(1) IBID . VOL .3.P.160 .

(2) ASHTOR , THE JEWS , VOL . 3 , P . 88 .

(3) الونشريسي، المعيار المعرب (ج10 / 156).

(4) ابن الحزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي (ج1 /114) .

(5) أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد، من بني الوضاح، من أشجع، من قيس عيلان، أبو عامر الأشجعي: وزير، من كبار الأندلسيين أدبا وعلما. مولده ووفاته بقرطبة. له شعر جيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (154/13)؛ الزركلي، الأعلام (163/1).

(6) يوسف بن إسحاق، ابن بكلارش الإسرائيلي: طبيب أندلسي. صنف كتاب " المستعيني - خ " في الرباط (55 د) في الطب، ألفه للمستعين بالله أحمد بن يوسف الهودي المتوفى سنة503 كما في مقدمة النسخة وكانت إقامة المستعين في سرقسطة ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (487/6)؛ الزركلي، الأعلام (ج8/217).

(7) الشنتريني، الذخيرة (ج1 / 233).

(8) الونشريسي، المعيار المعرب (ج11 /111 – 112) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

الآثار العمرانية المترتبة على الفتوحات الإسلامية

نقل المسلمون مظاهر الرقي والحضارة إلى البلاد المفتوحة، وبذلوا جهداً كبيراً في سبيل تشييد الحضارة العمرانية في تلك البلاد، وكان لهم دور بارز في نقل الحضارة الإسلامية إلى تلك المناطق والتي أصبحت مزينة بالمساجد والقصور والمباني العمرانية وغيرها .

وحرص المسلمون على الارتقاء في النواحي العمرانية في البلاد التي فتحوها وبسطوا نفوذهم عليها في رقعة واسعة من العالم، وقد كان في مقدورهم أن يدمروا كل شيء كما فعل المغول أو المجر أو أهل الشمال من الأوروبيين لكنهم لم يفعلوا ذلك، وأصبحت العراق في العهد الإسلامي جناناً فيحاء بعد أن كانت صحراء جرداء، كما أصبحت فلسطين خصبة غنية عامرة بالسكان بعد أن كانت رمالاً وحجارة، وعمل الخلفاء المسلمون على تهيئة الظروف للمد العمراني في تلك البلاد ونشروا الرخاء في أصقاع لم تر مثل هذا الرخاء من قبل [1].

وقد بلغت الحضارة العمرانية في البلاد المفتوحة شأناً لم تعهده من قبل، إذ قدر العمران في صقلية وحدها بثلاثمئة مسجد وقصر، بينما تزينت بالقصور الرائعة المساجد التي كانت تعج بالشعراء والمغنيين والأطباء والفلاسفة والطبيعة [2] .

عمد المسلمون الفاتحون إلى بناء القصو، وأضافوا الطراز المعماري الجديد، فلم يكن المسجد كالكنيسة، وكان هناك تطور عمراني واضح في العمارة الإسلامية، وكان فن الفسيفساء واضحاً في تلك النواحي، كما عمل المسلمون على إعادة بناء الآثار القديمة في المناطق المفتوحة وترميمه، واهتموا كذلك ببناء المساجد ولعل أشهرها مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط وقبة الصخرة في فلسطين والمسجد الأموي بدمشق ومسجد القيروان في أفريقيا [3] .

و تأثر حكام المناطق المفتوحة بالفن المعماري العربي، وخصصوا قصوراً وبنوها على الطراز العربي، توسطتها الحدائق المزدانة بالنافورات والزينات العربية وأطلقوا عليها أسماء عربية يتصدرها اسم الله [4] .

وقد ظهرت قوة العرب الإبداعية في العمران في المناطق التي فتحوها حيث كان جامع قرطبة من أشهر المباني التي أقاموها فضلاً عن القصور التي شيدوها في بلاد الأندلس أو المساجد التي أقيمت في مصر [5] .

وأنشأ العرب في المناطق التي فتحوها المباني الجميلة، وتفننوا في تشييدها فتم بناء جامع عمرو في مصر، والمسجد الأقصى في القدس، والجامع الكبير في دمشق، كما أنشأوا مسجد ابن طولون في مصر والجامع الأزهر وغيرها من المباني العمراني التي تفنن العرب في زخرفتها، كما أنشأ العرب القصور في بلاد أفريقيا وأبرزها قصور مراكش

---

(1) ديورانت، قصة الحضارة (ج13/170) .
(2) هونكا، زغريد، شمس العرب (ص320).
(3) كاهن، كلود ،الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص80 - 81).
(4) هونكا، زغريد ،شمس العرب (ص411).
(5) ينظر: لوبون ،غوستاف ،حضارة العرب (ص519 - 520).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفاس وغيرها التي أقيمت بالجزائر وطنجة وكان لها شكلها المعماري المختلف عن مصر وبلاد الشام ، كما أقام العرب المباني العمرانية الجميلة في مراكش وفاس والمنصورية، حتى انتقل إلى تونس وأنشأ بها القصور والحدائق والكروم، وتم الاستعانة بمهندسي الأندلس وبنائيها ونجاريها ولبانيها ودهانيها وبستانيها في تشييد تلك المباني، وبلغ الفن العربي ذروته مع ما وصل إليه من الزخرف الذي ينم عن ذوق رفيع لدى العرب [1].

وكذلك انتشرت في المناطق المفتوحة المباني العمرانية التي أقيمت على الطراز العربي البيزنطي، ولا سيما في سوريا كالجامع الكبير، ومصر كجامع ابن طولون، وأفريقيا كجامع القيروان، وصقلية كقصر العزيزة وقصر القبة ، والأندلس كجامع قرطبة [2] ، كما أنشأ المسلمون المساجد وتفننوا في بناءها وزخرفتها حتى ارتفعت قباب مساجد دمشق وقرطبة وعلت بشكل لم تعهده تلك البلاد [3] .

وأنشأ المسلمون القواعد العسكرية في المناطق التي قاموا بافتتاحها، فأنشأت قواعد عسكرية في البصرة والكوفة ووادي الفرات عام 1241هـ/638 هـ، وأصبحت الكوفة عاصمة للعراق [4] .

وقد كان المسلمون يقومون ببناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن، وغيرها من الإصلاحات في المناطق التي يقومون بفتحها [5] .

وشهدت المدن المفتوحة بناء زاهراً، إذ فاقت قرطبة كل مدن أوروبا، وكانت محط إعجاب العالم ودهشت ، وكان يؤمها السياح الذين تسيطر عليهم الرهبة والخشوع، فقد كانت تضم سبعين مكتبة وتسعمئة حمام عمومي، كما كانت مأوى للجراحين والمهندسين والفنانين وغيرهم [6] .

و جعل المسلمون من البلاد المفتوحة أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً، وأقاموا بها المباني العمرانية، وأنشأوا المدن الزاهرة والحواضر العامرة والمساجد الفخمة والجامعات العلمية المنظمة وغيرها [7]، كما شيدوا المدارس وعنوا بالمستشفيات، وعززوا المعارف، وغيرها حتى استقام حكمهم وأصبحت المدن في عهدهم مدناً زاهرة، وقد أصيب العالم والحضارة بعد سقوط العرب وانهيار سلطانهم بخسارة لا تعوض [8] .

و سجل للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أنه أول من أنشأ المستشفيات الرسمية في الدولة الإسلامية [9] .

وفي الوقت الذي كانت فيه سائر بلدان أوروبا مليئة بالقاذورات كانت مدن المسلمين التي فتحوها نظيفة منظمة ذات شوارع معبدة ومضاءة، وكان في قرطبة وحدها نصف مليون من السكان وسبعمئة مسجد وثلاثمئة حمام عمومي، بالإضافة إلى سبعين مكتبة عامة وعدد كبير من دكاكين الوراقين[10] .

---

(1) ينظر: لوبون ،غوستاف ،حضارة العرب (ص552 - 553). .
(2) المصدر السابق (ص567) .
(3) بروي، إدوار، تاريخ الحضارات العام (ج3/ 110).
(4) نتنج، أنتوني، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص76).
(5) فلوتن، فان، السيادة العربية (ص20) .
(6) ترند، جوي، تراث الإسلام (ص27) .
(7) ستودارد، لوثروب ،حاضر العالم الإسلامي (ج1/2-4).
(8) كوبولد، ايفلين ،البحث عن الله (ص50 – 51) .
(9) ابن الأثير، الكامل (ج5 /3).
(10) لاندو، روم ،الإسلام والعرب (ص9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و أنشأ المسلمون في المناطق التي فتحوها المدن على أربعة أشكال، فكانت هناك مدن على الطراز اليوناني في صورته الشرقية، وكانت أيضاً مدن على طراز جنوب الجزيرة العربية كمكة والفسطاط، بينما كانت هناك مدن شيدت على الطراز البابلي وأخرى أنشأت على الطراز المعروف في شرق المملكة الإسلامية، وتميزت المدن العربية بتقارب مبانيها وارتفاع الدور، كما وصلت دور الرعية في مدينة قرطبة وحدها مئة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، وقدرت مساجدها بثلاثة آلاف مسجد وذلك خلال القرون الثلاثة الأولى من انتشار الدعوة الإسلامية، كما أقام الخلفاء مدن زاهرة وخطوا بها الأسواق والقصور والحمامات ، وتسابق الناس إلى العمارة وتكاثفت الأبنية [1] .

ويرى جوايتاين بن النمو السريع في العمارة في العاصمة الإسلامية، أما بقية مدن الدولة الإسلامية تعد ثورة في التمدن العالمي [2]، بينما ترى لابيدوس أن الدولة الإسلامية كان لها الفضل في دفع التمدن دفعات قوية للأمام، إذ ساعدتها الظروف الاقتصادية والإدارية والسياسية على ذلك [3] .

وقد أنشأت الدولة الإسلامية في المناطق التي فتحتها المراكز المنتشرة على طريق الوفود للاستراحة بها [4]، وقامت بوضع المنارات في الطرقات للوافدين للدولة الإسلامية، فضلاً عن حفر الآبار [5]، كما أقدم المسلمون على عمل الإصلاحات في المناطق التي فتحوها لتشمل قطاع السياحة فأنشأوا المحطات المعدة للاستراحة والاستجمام [6] .

وكان هناك تعاون بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول في النواحي العمرانية ، فقد أرسلت الدولة البيزنطية في عهد الوليد بن عبد الملك وفداً من المتخصصين والحرفيين للمساهمة في أعمار المسجد النبوي، فقد ساهموا في عملية البناء وتلقوا أفضل المعاملة والمكافئة من طرف المسلمين [7] .

ويشيد المؤرخ النصراني فيليب بالإنجازات التي سجلها المسلمون في البلاد التي فتحوها، وإنشائهم للمدارس والجوامع في بلاد الشام، ووقفهم المال لبيوت البرص والعرج والعمي ، وتشييدهم المستشفيات للمصابين بالأمراض المزمنة [8] .

وقامت الدولة الإسلامية بحركة عمرانية وحضارية، وتوسعت في بناء المساجد والمؤسسات الخيرية والمستشفيات [9] .

كما تم بناء أعظم المساجد في العهد الأموي كالمسجد الأموي بدمشق ومسجد المدينة، وتم زخرفة المساجد بما يظهر حضارة إسلامية جديدة، وزينت بالمنابر التي شغلت بإتقان ومهارة [10] .

وشهد بالحضارة العمرانية للمسلمين فيليب حتي فقال: ابتنى في الشام المدارس والجوامع ووقف المال لبيوت البرص والعرج والعمي، كما شيدت مستشفيات للمصابين بالأمراض المزمنة، والتي كانت أيضاً مأوى للمصابين بالأمراض الخبيثة في أوروبا [1] .

([1]) متز، الحضارة الإسلامية (ج2 /274-275).
([2]) Goitein : the Rise of the middle Eastern Bourgoisie , in Islamic History and ins tu ons , U.S.A , 1947 . P . 218
([3]) Lapidus : Middle Eastern Cities , Univ . of California press , Los angelos . 1969 , P. 5.
([4]) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج25 /386).
([5]) ابن كثير، البداية والنهاية (ج4 /162 – 165) .
([6]) شاهين، سياسة عمر الداخلية (ص200).
([7]) هاملتون، جب ،دراسات في حضارة الإسلام (ص127).
([8]) حتي، تاريخ العرب مطول (ص288).
([9]) ابن كثير، البداية والنهاية (ج9 /164) .
([10]) الطبري، تاريخ (ج6/49)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج9/164) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما شهد المستشرقون الغربيون بأن المدنية هي الحضارة والتي كان للمسلمين دورٌ كبير في نشأتها [2] .

ويذكر المستشرق بينت وهو أحد علماء الاجتماع أن الدين الإسلامي هو دين اهتم بالمدنية وبذلت دولته ما تستطيع لمساعدة السكان على الاستقرار، وهو دين حضاري كان له الدور في النهضة العمرانية التي نشأت [3] .

ويرى سيدو أن الجوانب العمرانية والمباني الأثرية التي خلفها المسلمون في بلاد سوريا والعراق وفارس والهند ومختلف مناطق سيادتهم لا ريب بها مواصفات خاصة، وهناك مجال للاستفادة منها [4] .

ويقر كاهن أن ما تركه المسلمون جدير بالاهتمام والدراسة، فهو يدلل على حضارة زاهرة ، صبغ العالم بصبغتها بيوم من الأيام [5]، إذ استطاع العرب في أقل من قرن أن يعمروا المدن وينشئوا أفخم المباني [6]، بينما يذكر البروفسور كريستيان شولز أن العمارة الإسلامية هي عبارة عن عمارة متجددة، إذ بقيت العمارة الإسلامية تنبض بالحياة [7] .

ومما يدلل على ازدهار العمران في الدولة الإسلامية التوسع الكبير والعمارة بمدينة قرطبة إذ وصل عدد أرباضها إلى واحد وعشرين ربضاً [8]، كما وصفت أوروبا بأنها مدينة للعرب، إذ انتشرت بها الحضارة الإسلامية بعد أن كانت في وضع لا يوصف قبل أن يدخل إليها المسلمون حضارتهم [9] .

ومما سبق نستطيع القول بأن المسلمين قد أولو اهتماماً كبيراً بالعمارة، وبرعوا في كافة مجالاتها، وهذه دلالة على أن المسلمين فتحوا البلاد لينشروا فيها دعوة الإسلام، ويقوموا بعمارتها، وهو ما حققوه من تشييد للمدارس والجامعات، وبناء للمستشفيات والمساجد، وتعبيد للطرق وإقامة المرافق العامة وغيرها، حتى وصلت تلك العمارة إلى درجة عالية من الفن والإبداع والتميز، وهذا ما كان ليحدث لولا أن المسلمين قد انطلقوا في هذه الأرض فاتحين إيماناً منهم بالبناء والتعمير وإصلاح الناس، وإنشاء كافة المرافق اللازمة لشؤون حياتهم .

---

(1) تاريخ العرب (ص288) .

(2) Kenneth E . Boudling ; " the death of the city ; AFrightened look at past civiliza on " in the Historian and the city . p . 133

(3) Haneda . M and Miura , T . Islamic Urban Studies , London , 1994 , P . 34 - 35

(4) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص521).

(5) الإسلام (ص 320).

(6) لوبون، غوستاف، حضارة العرب (ص273).

(7) شولز، العمارة الإسلامية (ص81).

(8) المقري، نفح الطيب (ج1/ 465).

(9) الدمشقي، الحضارة الإسلامية (ص154).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

الآثار السياسية والإدارية المترتبة على الفتوحات الإسلامية

أولاً : الآثار السياسية :

كان للفتوحات الإسلامية الأثر البارز والكبير على الجانب السياسي في المناطق التي استقر حكم المسلمين بها بعد أن قاموا بفتحها .

وأصبح للدولة الإسلامية مكانة سياسية مرموقة بين قوى العالم في ذلك الزمان، إذ كانوا يخشونها ويحسبون لها ألف حساب .

وأضحت البلدان المفتوحة ذات سيادة ومكانة في ظل الحكم الإسلامي، واستعادة دورها وعزها بعد أن كانت مغلوبة مقهورة .

ولعل السبب الرئيسي لنهضة العرب وحضارتهم هو ما أحدثته المبادئ والتعاليم التي أرساها محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رأسها احترام الإنسان وحقوقه، فقد كانت تلك المبادئ كفيلة أن تسموا بالمستوى الروحي والأخلاقي للعرب البدو الذين كانوا في دياجير الهمجية ، وقد نجح محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك نجاحاً لم يحققه أي قائد في ذلك بالتاريخ [1] .

و استعادت البلدان المفتوحة مجدها إذ استعادت مصر تحت حكم المسلمين مجدها الفرعوني، بينما استعادت تونس والمغرب بزعامة العرب ما كان لهما من حكومة منظمة، وازدهرت مدن القيروان، ووصلت أسبانيا في عهد العرب إلى ذروة الحضارة [2].

وعمل الفاتحون المسلمون على توفير الحماية لجميع الشعوب التي فتحت بلادهم ، وسمح لهم بممارسة أعمالهم، وظلوا يخضعون لقضاء قوانينهم شريطة أن يدفعوا الجزية، وكان مسموحاً للعرب الذين اعتنقوا الإسلام أن يلتحقوا بالجيش الإسلامي، وأن يتمتعوا بما هو مقرر لمسلمين من معاشات ومزايا وغيرها [3] .

ولعل أبرز ما يلفت النظر في الفتوحات الإسلامية ليست سرعتها ولا النظام الذي تمت به دون دمار، ولكن السهولة التي انتقلت بها البلاد المفتوحة من الحرب إلى السلم ومن التغلب إلى الإدارة [4] .

ويقر أحد مؤرخي الغرب بالعدل التي تمتعت به الدولة الإسلامية، ولا سيما جهاز القضاء، إذ يرى أن الدولة الإسلامية أسست جهازاً قضائياً تميز بالعدل، وهي أكبر دلالة على احترام الإنسان في المناطق التي فتحها المسلمون وقاموا بإدارة شؤونها [5] .

ويسجل للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أنه أول من جلس مجلساً رسمياً للنظر في شكاوي المتظلمين، رغم أنه كان يحيل ما يصعب عليه إلى قاضيه أبى إدريس الأزدي [6] ، كما أوقف عمر بن عبد العزيز أي موظف يتقاضى راتبين أو أكثر قائلاً :" ليس

([1]) ديورانت، ويل، قصة الحضارة (ج2 /47).
([2]) المصدر السابق (ج13/261) .
([3]) نتنج، أنتوني، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص71 - 72).
([4]) حتي، فيليب، الإسلام منهج حياة (ص162).
([5]) حوراني، ألبرت، تاريخ الشعوب العربية (ص71 – 72).
([6]) الماوردي، الأحكام السلطانية (ج1 /87).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين في الخاصة والعامة " [1]، وكتب للولاة وعمالهم في الأقاليم البعيدة بضرورة رد المظالم لأهلها بصورة عاجلة، فهذا عمر بن عبد العزيز يرسل لولاته فيقول :" فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعهم" [2] .

واهتم المسلمون بتأمين سيطرتهم على المناطق التي قاموا بافتتاحها، فقد أنشأ المسلمون ترسانة بحرية في بلاد المغرب العربي، ودشنوا داراً للصناعات، واستطاعوا من خلالها صناعة السفن والمراكب [3] .

وقد شهد علماء الغرب للنبي صلى الله عليه وسلم، فأقروا بأن عظمة النبي تكمن في قدرته على بناء الإنسان العربي الذي كان يعيش على هامش الحضارة ، فصنع منهم أمة متحضرة، وقادة عظماء، وعلماء فكر، وحضارة وتشريعات وقوانين [4] .

وخلص بعض علماء الغرب في دراساتهم بأن الدولة الإسلامية قد أولت اهتماما كبيراً للإنسان وحقوقه، وعملت على إزالة الفوضى ، ولا سيما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز [5] ، الذي لم يذكر في عهده إلا الأمن والاستقرار والرفاه [6]، فقد أرسل ولاة عمر بن عبد العزيز له أن الناس قد أصابهم الخير والأمن إلى درجة أننا نخشى عليهم أن يبطروا [7] .

- صورة الاستقرار السياسي لدى المستشرقين :

أولى المستشرقون الغربيون اهتماماً كبيراً في كتاباتهم للآثار السياسية التي ترتبت على الفتوحات الإسلامية ، وعدوا ذلك انجاز كبيراً للدولة الإسلامية ، إذ أضحت ذات مكانة عالية وكان لها الفضل في إمداد العالم بالحضارة الإنسانية .

ووصفت نهضة الدولة الإسلامية السريعة بأنها مفاجأة للعالم عسكرياً وعلمياً وحضارياً ، وأقر بأن الحضارة الإنسانية مدينة لحضارة العرب التي خرجت بمبادئ وقواعد تحترم وتراعي حقوق الإنسان ، كما أنها كفلت للإنسان كرامته ، ولا تزال تلك الحضارة الأساس التشريعي لمعظم بلدان العالم ، وإن لم يعلنوا ذلك صراحة [8] .

وكان المطلوب من السكان فقط أن يظهروا ولاءهم للإسلام ويعترفوا بسيادته، ويؤدون التكاليف المترتبة على أهل الذمة، مقابل أن يتمتعوا بحرياتهم كافة ويمارسوا حياتهم بشكل طبيعي [9] .

وأعطى المسلمون هذه الامتيازات لأهل الذمة، وعاش أهلها مكرمين في ظلال دولة الإسلام وهكذا هي الفتوحات الإسلامية التي تعطي الشعوب حقوقهم بخلاف الاستعمار الذي يسلب ويحرم الشعوب كل شيء [10] .

ويرى جب أن هناك أمثلة عديدة على توسع الدول ولكن لا توجد أمثلة على دولة تكونت بهذا الشكل واستطاعت أن تصل ما وصلته الدولة الإسلامية من استمرار واستقرار نسبيين [1] .

([1]) ابن سعد، الطبقات (ج5 / 376).
([2]) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج5 /184)؛ الجاحظ، البيان والتبيين (ج2 /280).
([3]) ابن الأثير، الكامل (ج2/342).
([4]) الفونس، دي لا مارتين، حياة محمد (ص123).
([5]) R . A . Nicholon ; A Literary History of the Arabs , p . 205 .
([6]) ستشيجفسكا، يوجينا غاينه، تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعه (ص147).
([7]) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج5 /383).
([8]) روجه، غارودي، حوار الحضارات (ص267).
([9]) بروي، إدوارد، تاريخ الحضارات العام (ج3/116).
([10]) رودريك، بيجي، رجال ونساء أسلموا (ج6/114 – 115).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتمنى آدم متز أن يسلك الغرب الأوروبي نهج الدولة الإسلامية في التسامح ويقر بسبق المسلمين للعالم وأوروبا في السماحة وحفظ حقوق الأقليات [2] .

ويرى المؤرخ الهندي جواهر لال نهرو أن المسلمين قد مارسوا الديمقراطية الحقيقية [3]، بينما يذكر هاملتون جب أن عصر الخلفاء الراشدين لم يكن هناك عصمة لأحد من البشر إلا الأنبياء [4] .

ويذكر أحد خبراء حقوق الإنسان أن حق التكافل الذي أقرته الدولة الإسلامية كان سلوكاً عملياً لا يوجد مثله في دساتير حقوق الإنسان الحديثة، فالإعلان العالمي يتحدث عن حقوق العمال ولم يتحدث عن حق الفرد العادي وحقوق الفقراء ومستلزماتهم من الطعام والشراب وغير ذلك [5] .

ويعزو بعض المؤرخين الأجانب حالة الأمن والاستقرار التي نعمت بها الدولة الإسلامية إلى ما جاء به الإسلام من حقوق ومبادئ وطبقتها الدولة الإسلامية على الأرض ، والذي يرى صعود العرب إلى القمة يدرك ذلك بسبب تمسك دولتهم بالمبادئ التي نالت بها، فقصة انتشار العرب في آسيا وأوروبا وأفريقيا فضلاً عن الحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعامل تعد أعجوبة من أعجوبات التاريخ، والإسلام هو الباعث لهذه اليقظة [6] .

وحققت الدولة الإسلامية الإنجازات الحضارية والعسكرية في زمن قياسي والذي ظهر من خلال حملات القادة المسلمين الفاتحين كخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، إذ كشفت هذه المعارك عن نبوغ القادة المسلمين وتفوقهم في أساليب القتال [7] .

ويصف مايكل هارت الإمبراطورية الإسلامية بأنها أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم [8] .

ويقر آخرون بأن الدولة الإسلامية أصبحت مدرسة لأوروبا في العسكرية البحرية ويستدل على ذلك بأن بعض المصطلحات البحرية المستعملة في أوروبا لا تزال تحتفظ بعربيتها إلى اليوم [9]، كما يرون أيضاً بأن عظمة الحضارة الإسلامية جاءت من منطلق امتلاك المسلمين للقوة الروحية والأخلاقية ، وامتلاكهم القوة العسكرية ، فكانت الدولة الإسلامية حريصة على مبادئها السامية التي تجسد العدل والمساواة [10] .

وتشيد زغريدة هونكا بالآثار السياسية التي خلفتها الدولة الإسلامية بقولها : " لقد حان الوقت للتحدث عن شعب أثر بقوة في مجرى الأحداث العالمية ، ويدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير " [11] ، بينما ينسب المؤرخ الأمريكي بريفولت الفضل للعرب بأنه ليس هناك ثمة مظهر واحد من مظاهر الحضارة الأوروبية إلا ويعود فيه الفضل للمسلمين بصورة قاطعة [12]، وأما سيدو [1]، فيرى أن العرب كان لهم دور

([1]) جب، هاملتون ،دراسات في حضارة الإسلام (ص45).
([2]) الحضارة الإسلامية (ص75) .
([3]) لمحات من تاريخ العالم (ص27).
([4]) دعوة إلى تجديد الإسلام (ص23).
([5]) البياتي، حقوق الإنسان (ص45).
([6]) لال نهروا، لمحات من تاريخ العالم (ص23 – 24) .
([7]) حتي، فيليب، تاريخ العرب (ص139 - 194).
([8]) الخالدون المائة (ص16).
([9]) جوزيف هل، حضارة العرب (ص154) .
([10]) Ali , Abdullah Yusuf ; the Holy Qur-an, Text, Translation, and commentary , Volume one Hafard Publishing company .p . 430 .
([11]) هونكا، زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب (ص11).
([12]) رويلت بريفولت، بناء الإنسانية، نقلاً عن أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج (ج4/710).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في فروع الحضارة كافة بقوله : "لقد تجلى تأثر العرب في جميع فروع الحضارة الأوروبية الحديثة " [2] .

ثانياً : الآثار الإدارية :

اهتم المسلمون بشكل كبير بالجوانب الإدارية في المناطق التي قاموا بفتحها، وأعطوا الشعوب في تلك البلاد حريتهم الكاملة المنطلقة من إشرافهم بأنفسهم على حكامهم

وأقدم المسلمون على تنظيم الإدارة في المناطق المفتوحة، وعملوا على إدارة شؤونها بشكل كامل ، ووفروا الاحتياجات اللازمة لذلك .

كما تمتع أهل الذمة في تلك المناطق أيضاً بنفس الامتيازات التي حصل عليها المسلمون، وكان لهم الحق في وظائف الدولة حتى وصل بعضهم إلى أرفع المناصب .

واستقر حال المسلمين في البلاد المفتوحة، وتم تنظيم الأمور، وقامت الدولة بالأعباء الملقاة عليها، وأنشأت خانات النزل والفنادق، وأقيمت دور الضيافة في المدن [3].

وحرص المسلمون على تجسيد مبدأ أن الشعب هو صاحب الحق في الإشراف على حكامه ، وأن هؤلاء ليسوا إلا أمناء على مصالحه بأمانة ونزاهة [4]، إذ كان للقضاء مركز متميز في البلاد الإسلامية، فكان الخليفة الرئيس الأعلى للقضاء، وكان يشترط في قاضي القضاة أن يكون متعمقاً في الفقه ومشهوداً له بالنزاهة والاستقامة، ولا يشترط أن يكون عربياً خالصاً [5] .

وكان القرآن والسنة مصدري التشريع، إذ كان يتولى الحسبة في كل مدينة موظف يسمى المحتسب أو صاحب السوق، وكان عمله يتعلق بالإشراف على أهل الأسواق، وكان يشترط من يتولى تلك الوظيفة أن يكون من المشهود لهم بالعلم والمعرفة [6] .

وعمل المسلمون على تنظيم الإدارة في المناطق التي فتحوها وقاموا بالإصلاحات اللازمة لإدارة شؤونها ، ونصبوا القضاة، ورسموا خطة لجباية الخراج، واعتنوا بالري مما أثر على زيادة ثروة البلاد ورفاهيتها، وقام المسلمون بتخفيف الضرائب التي أثقلت كاهل السكان في عهد الروم وعملوا على المساواة بين أطيافها وسكانها على حد سواء [7].

كما تمتع أهل الذمة عند المسلمين على مدى التاريخ الإسلامي بكافة امتيازات المواطنين ولم يسمعوا كلمة تسيء إليهم [8]، و فتحت الدولة الإسلامية الباب أمامهم في تولي المناصب، وفتحت لهم الوظائف الحكومية، واستخدم أهل الذمة في وظائف الكتابة والأعمال الإدارية للدولة [9].

([1]) سيدو : مستشرق فرنسي ولد بباريس عام1808 ، تعلم اللغات الشرقية ، واهتم بدراسة الحقوق والتاريخ؛ ينظر:بدوي ، موسوعة المستشرقون (ص345) .

([2]) سيدو، تاريخ العرب العام (ص381).

([3]) اليعقوبي، تاريخ (ج2 /290)؛ الطبري ، تاريخ (ج6 /567).

([4]) السباعي، من روائع حضارتنا (ص91).

([5]) المقري، نفح الطيب (ج1 /103).

([6]) المصدر السابق (ج1 / 103).

([7]) فان فلوتن، كتاب السيادة العربية (ص21) .

([8]) رودريك، بيجي ،رجال ونساء أسلموا (ج6/114).

([9]) البلاذري، فتوح البلدان (ج1/147).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشغل أهل الذمة أرفع المناصب في الدولة الأموية ، فقد كان ابن الأثال الطبيب النصراني هو طبيب معاوية بن أبي سفيان الخاص وأحد مستشاريه [1]، كما أصبح كبير مستشاري يزيد بن معاوية وأحد المؤثرين بأهم القرارات المصيرية [2] .

وأدان اليهود بالولاء للمسلمين في البلاد التي سيطروا عليها والتزموا بالعهود والمواثيق، ولا سيما في بلاد الأندلس إذ كانت مصلحتهم أن يلتزموا بتلك العهود من أجل أن تكون هناك حكومة قوية توفر لهم الأمن، وتعطيهم حقوقهم كأهل ذمة [3]، وكان لهم تنظيماتهم المالية الخاصة بهم، وكان ضمن مهام مجلس الطائفة الإشراف على جمع الجزية المقررة على يهود المدينة وتسليمها للدولة [4]، كما كان لهم في كل مدينة بالأندلس صندوق الصدقات وكانت أموال ذلك الصندوق تستخدم للتكافل الاجتماعي فيما بينهم [5] .

ولم تكن الفتوحات الإسلامية تؤدي إلى انقطاع سكان تلك البلاد في حياتهم، أو تشكل لهم اضطراباً في وجودهم المحلي، فرغم الإطاحة بالأسر الحاكمة في تلك المناطق كانت حياة السكان اليومية تسير بشكل طبيعي، وقد حافظ المسلمون الفاتحون على طبيعة الأمر كما هو، ولا سيما بقاء الموظفين المحليين والتكوين الإداري [6] .

وأقدم الفاتحون المسلمون على تقسيم البلاد المفتوحة إلى ولايات، وكانت الولاية مقسمة إلى عدة أعمال، وكان يقوم بشئون كل واحدة قائد يتبع للوالي، وكان يقيم بكل واحدة مفت، وبكل ناحية قاض، وفي كل مدينة جاب، ويشرف على إدارة أمور المال والمحاسبة ديوان كبير [7].

و بسط المسلمون نفوذهم في المناطق التي فتحوها وأداروا شؤون البلاد، وعملوا على إحلال العربية مكان اليونانية والفارسية في بلاد العراق والشام، ثم تولى الموظفون العرب تدريجياً الوظائف الحكومية، وتحملوا مسئولياتهم، وعمل الخلفاء المسلمون على سحق أي اضطرابات أو فتن أو محاولات للخروج عليهم في البلاد التي فتحوها [8] .

ويذكر المستشرقون أن الدولة الإسلامية قد فصلت في الشرع الإسلامي بين المسلمين ومحاكمهم، وجعلت لأهل الملل الأخرى محاكم خاصة بهم تقضي حوائجهم [9]، إذ كان لأهل الذمة في المناطق المفتوحة نظام مالي مستقل، وكانت المدن الأندلسية لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول ومحاكمها تحت إشراف المسلمين [10] .

وقد بقيت كل ملة أو طائف تحتفظ بقانونها الخاص وبموظفيها الذين يقومون على شؤونها الدينية عدا ما كان تابعاً للحق العام [11] .

ويذكر ويلز في كتابه ملامح تاريخ الإنسانية أن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية [12] .

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة أنساب العرب (ج1 /18) .
(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4 /150) .
(3) الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (ص146).
(4) ASHTOR , THE JEWS , VOL . 3 , P , 110 .
(5) IBID, VOL . 3 , P. 111 .
(6) كاهن، كلود ،الإسلام من نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية (ص47).
(7) لوبون، غوستاف ،حضارة العرب (ص32).
(8) نتنج، أنتوني، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص103).
(9) متز، آدم (ج2/276).
(10) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس (ص71) .
(11) بروي، إدوارد، تاريخ الحضارات العام (ج3/116).
(12) السرجاني، ماذا قدم العالم (ص76) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **نماذج من متابعة الخلفاء للنواحي الإدارية بالدولة الإسلامية :**

اجتهد الخلفاء في تنظيم الأمور الإدارية بالمناطق التي تم فتحها ، فأعادوا تنظيم الجباية بشكل عام ، وتمكنوا من إزالة المظالم المفروضة على الموالي وكذلك قاموا بتطوير الخدمات الإدارية [1] .

و أبقى الفاتحون المسلمون البلاد المفتوحة من الناحية الإدارية على حالها، فأقروا على تقسيم الشام إلى أربع مناطق وهي : دمشق وفلسطين والأردن وحمص ، كما لم يحدثوا أي تغييرات إدارية في بلاد فارس ، وكانت سياسة عمر بن الخطاب عدم إحداث أي اضطراب في حياة السكان الذين تفتح بلادهم [2].

كما أشرك الخلفاء الأمويون كمعاوية بن أبي سفيان النصارى واليهود في إدارة البلاد المفتوحة [3]، وأقطعوا الأرض من أجل تعميرها والسكن بها والحصول على غلتها مقابل ما قدموه من خدمات جليلة، وسرعان ما عمرت تلك الأرض وازدحمت بالسكان[4].

وأعطى الخلفاء الحق لأطياف المجتمع كافة أن يتبوؤا المناصب الإدارية فقد برز الشاعر النصراني الأخطل[5]، في العهد الأموي وحظي بمكانة عند الخلفاء الأمويين [6] .

كما عين مروان بن الحكم[7]، أثناسيوس في بعض مناصب الحكومة في مصر [8] .

وأما خالد القسري أحد كبار رجال الحكم والإدارة بالدولة الأموية كانت أمه نصرانية [9]، بينما كان الراهب مريانس [10]، استاذاً لخالد بن يزيد بن معاوية [11]، الذي بصنعة الطب والكيمياء [12]، وكان حسان النبطي كاتباً للحجاج بن يوسف ولم يسلم آنذاك[13].

وإدارياً جعل الوليد الجماعات الدينية من أهل الذمة تقوم بجباية الخراج فكان الجالوت يجمع الضريبة من اليهود والمطران من النصارى والمزربان من المجوس [14].

وأولى الخلفاء أهمية كبيرة للسياسة الإدارية المتبعة في المناطق المفتوحة وعملوا على تقييمها بشكل متواصل فكان استفسارهم للوفود القادمة إليهم من الولايات التابعة إليهم من الدولة الإسلامية تتركز حول سلوك أولئك الولاة مع باقي المسلمين، وكانوا يسألونهم هل يعودون مرضاكم ، هل يأكلون ويشربون ويلبسون مما تأكلون وتشربون وتلبسون، فإن قالوا لا تم عزل الوالي مباشرة [1]، ويعقدون اجتماعاً سنوياً للولاة أمام الأمة في

---

(1) جوب، هاملتون، دراسات في الحضارة الإسلامية (ص47) .
(2) نتنج، أنتوني، العرب وانتصاراتهم وأمجاد الإسلام (ص72) .
(3) المصدر السابق (ص73) .
(4) اليعقوبي، البلدان (ص242).
(5) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (71/17)؛ الزركلي، الأعلام (ج123/5).
(6) الأصفهاني، الأغاني (ج8 /310).
(7) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب بنو مروان ودولتهم المروانية ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذه كاتبا له. ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه ينظر: ابن سعد، الطبقات (26/5)؛ الزركلي، الأعلام (ج207/7).
(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4 /150)؛ الأصفهاني، الأغاني (ج8 /310) .
(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج2 /277).
(10) مريانس: رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب تعلم على يديه عدد من المسلمين العلوم؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج224/2).
(11) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي أبو هاشم حكيم قريش وعالمها في عصره اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها وألف فيها رسائل، وكان موصوفا بالعلم والدين والعقل؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (224/2)؛ الزركلي، الأعلام (ج300/2).
(12) المصدر السابق (ج2 /124).
(13) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4 /170).
(14) فلهاوزن، الدولة العربية (ص378).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسم الحج ويخاطب الخليفة الناس قائلاً من: من كان له مظلمة عند أحد منهم فليقم [2]، كما كانوا أيضاً يخرجون في الليل يتفقدون الناس ويعطفون على المحتاج والمريض، ويتفقدون السارق والمفسد [3] .

وقد تجسدت العدالة والمساواة في توزيع الأموال على مواطني الدولة، فكان أبو بكر الصديق صاحب نظرية المساواة التامة يوزع العطاء على الناس بالتساوي، وكان يسوي في قسمته بين الأولين والمتأخرين في الإسلام والحر والعبد والذكر والأنثى [4].

وهذا عمر بدأ ولايته بنفس الخطاب فقال : "إن رأيتم اعوجاجا فقوموني، فيرد أحد المسلمين عليه لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا "، فعقب عمر : "الحمد لله الذي جعل من المسلمين من يقوم عمر بحد السيف " [5] ، كما غضب من أمير حمص بعد أن قام ببناء علية ليجلس فيها ويطلع على رعيته ، وأرسل إليه يستدعيه ويوبخه [6] .

ومما يدلل على اهتمامه أيضاً بإدارة الدولة الإسلامية ما ورد عنه عندما قال : لإن عشت إن شاء الله لأسيرن بالرعية دولة ، فإني أعلم أن للناس حوائج تنقطع دوني ، وعمالهم لا يرفعونها إلي ، وهم لا يصلون إلي ، أسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله نعم الحول هذا [7] .

وقد عد المؤرخون الأجانب عمر بن عبد العزيز أنه يمتلك عبقرية إدارية فذة [8] ، بينما أشادوا بالخلفاء المسلمين في الدولة الأموية ولا سيما عصر هشام بن عبد الملك وسياسة الدولة في عصره [9] .

([1]) الطبري، تاريخ (ج2 / 579).
([2]) ابن شبه، أخبار المدينة (ج2 /15)؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3 /293).
([3]) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج4 /282)؛ القلقشندي، مآثر الأناقة (ج3 /337).
([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج2 / 270).
([5]) السيوطي، الدر المنثور (ج1 / 575).
([6]) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (ج22 / 12).
([7]) ابن شبة، أخبار المدينة (ج2 /24)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج14 /86).
([8]) كاهين، كلود، الإسلام (ص73).
([9]) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية (ص327).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الـخـــاتـمـــة

بعد البحث والتدقيق في المؤلفات والمجلدات والكتب العلمية ، والدراسة المتأنية لمواقف المستشرقين الغربيين من الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات ، وأوجز أهمها فيما يلي :

أولاً : النتائج

- أولى الكثير من المستشرقين الغربيين اهتماماً كبيراً بموضوع الفتوحات الإسلامية وقاموا بدراستها دراسة عميقة لما كان لها من أثر على تغيير مجرى التاريخ الإسلامي.
- أطلق عدد من المستشرقين الغربيين في كتاباتهم الاتهامات والأكاذيب في دراساتهم العلمية التي تحدثوا بها عن الفتوحات الإسلامية بقصد تشويه الحقائق وتزييف التاريخ الإسلامي .
- برز عدد من المستشرقين الغربيين الذين أنصفوا الفتوحات الإسلامية ودافعوا عن الإسلام واعتبروا أن هذه الفتوحات سماتها الرحمة والتسامح والعدل ولم تكن ذات بطش أو قتل أو سفك للدماء .
- أن الدين الإسلامي انتشر بالدعوة والهداية، ولم ينتشر بالسيف والإكراه، وأن أكثر من ثلثي المسلمين بالعالم اعتنقوا الدين الإسلامي بالمعاملة الحسنة والأخلاق الحميدة في مناطق لم يصل إليها الفاتحون المسلمون .
- أن للفتوحات الإسلامية الأثر الكبير في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا والبلاد المفتوحة على الصعد الدينية والاقتصادية والعلمية والعمرانية والاجتماعية والإدارية والسياسية وغيرها ، ولا يوجد مظهر من مظاهر الحضارة الأوروبية إلا ويعود الفضل فيه للمسلمين بصورة قاطعة .
- كان للفتوحات الإسلامية الأثر الكبير في التأثير بقوة في مجرى الأحداث العالمية و تأسيس المسلمين لأعظم إمبراطورية أصبحت في التاريخ .
- أن الخلفاء و الولاة كانوا حريصين كل الحرص على نشر العدل والمساواة بين كافة أطياف السكان في المناطق المفتوحة .
- أن أهل الذمة في الإسلام تمتعوا بحقوقهم كاملة كالمسلمين ، ولم يشعروا بهذه الرعاية والإنصاف إلا في ظل الدولة الإسلامية فقط .

ثانياً : التوصيات

في ضوء ما تم التوصل إليه من استنتاجات يوصى بها الباحث ما يلي :

- تكثيف الدراسات والأبحاث فيما يتعلق الفتوحات الإسلامية لاسيما نظرة المستشرقين إليها .
- تسليط الضوء على بعض الجوانب الحضارية الإسلامية التي كان لها الأثر الكبير في النهضة للبلدان المفتوحة ، ولم تتناولها الدراسات العلمية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع العربية

إبراهيم، حسن. (1963م). *انتشار الإسلام في القارة الإفريقية* . ط2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني والجزري. (1997م). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي .

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الحكم الشيباني الجزري. (د.ت). جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد القادر الأرنئوط. ط 1. بيروت : دار الفكر.

إحسان، عباس. (1975م). *العرب في صقلية*. ط1. بيروت : دار الثقافة للنشر.

احمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني. (د.ت). *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (د.ط). القاهرة: مؤسسة قرطبة.

أحمد، إبراهيم خليل. (1965م). *محمد في التوراة والإنجيل والقرآن*. ط2. القاهرة: مكتبة الوعي

أحمد، السيد إبراهيم .(د.ت) *سر انتشار الإسلام* .(د.ط).(د.م). (د.ن). مقال منشور .

الإدريسي، الشريف محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي. (1988م). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

أرنولد، توماس. *الدعوة إلى الإسلام*. (1970م). ترجمة: حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين. ط3. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي. (2004م). *المسالك والممالك* . (د.ط). بيروت: دار صادر.

الأصفهاني، أبو الفرج.(د.ت). *الأغاني* . تحقيق: سمير جابر وآخرون. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي. (د.ت). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. تحقيق: د . نزار رضا. (د .ط). بيروت : دار الحياة للنشر.

إبن اعثم، أحمد بن أعثم الكوفي. (1990م). *الفتوح*. تحقيق: علي شيري. ط1. (د.م) .(د.ن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمين، أحمد. (د.ت). *يوم الإسلام*. (د.ط). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ايرفنج، واشنجتون. (1966م). *حياة محمد* . ترجمة: علي الخرطبولي. ط 2. القاهرة: دار المعارف .

بارت، رودي. (1967م). *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية*. ترجمة: مصطفى ماهر. (د.ط). القاهرة: دار الكاتب العربي.

بارتولد، شبولد. (1966م). *تاريخ الحضارة الإسلامية* . ترجمة: حمزة طاهر. ط4. القاهرة: دار المعارف .

بارتولد، شبولد. (د.ت). *الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية* . ترجمة: كرونباون. (د.ط). (د.م). (د.ن).

بارو، جان كلود. (2008م). *التاريخ الكامل للعالم*. ترجمة: حسن ريساني. (د.ط). دبي: دار الفارابي .

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل. (د.ت). *صحيح أبي عبد الله البخاري* . (د.ط). بيروت : دار إحياء التراث العربي.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل. (د.ت). *التاريخ الكبير* . تحقيق السيد هاشم النووي. (د.ط). (د.م). (د.ن).

بدوي، عبد الرحمن. (1993م). *موسوعة المستشرقين*. ط3. بيروت: دار العلم للملايين .

بروفنسال، ليفي . *حضارة العرب في الأندلس*. (د.ت). ترجمة: ذوقان قرموط. (د.ط) . بيروت: درا الحياة.

بروكلمان، كارل. (1974م). *تاريخ الشعوب الإسلامية*. ترجمة: نبيه فارس وآخرون. ط 6. بيروت: (د.ن).

بروكلمان، كارل. (د.ت). *الأتراك العثمانيون وحضارتهم*. ترجمة: منير البعلبكي وآخرون. ط1. بيروت: دار العلم.

بروي، أدوار. (1965م). *تاريخ الحضارة العام*. ترجمة: يوسف أسعد وآخرون. (د.ط). بيروت: (د.ن).

بريتون، رولان. (1993م). *جغرافيا الحضارات*. ترجمة: خليل أحمد. ط1. بيروت: (د.ن).

ابن بشكوال، خلف الله عبد الملك أبو القاسم. (1989م). *الصلة*. تحقيق: ابراهيم الأبيراي. ط 1. بيروت: درا الكتاب اللبناني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي. (2003م). *شرح صحيح البخاري*. تحقيق: ياسر إبراهيم. (ط2). الرياض: مكتبة الرشد.

البغوي، الحسين بن مسعود. (د.ت). تفسير *البغوي*. تحقيق: خالد بن عبد الرحمن العك. (د.ط). بيروت: دار المعرفة .

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. (د.ط). بيروت: عالم الكتب.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. (1971م). *فصل المقال في شرح كتاب الأمثال*. تحقيق: إحسان عباس. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

بل، ألفرد. (1981م). *الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي*. ترجمة: عبد الرحمن بدوي. (ط2). بيروت: دار الغرب الإسلامي .

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. (1982م). *فتوح البلدان*. تحقيق: رضوان محمد رضوان. بيروت: دار الكتب العلمية.

بلسنر، مارتن. (د.ت). *تراث الإسلام*. تصنيف: شاخت وبوزوت. (د.م). (د.ن).

بن نبي، مالك. (1970م). *إنتاج المستشرقين*. (د.ط). القاهرة: مكتبة عمار.

البنداق، محمد صالح. (1980م). *المستشرقون وترجمة القرآن الكريم*. (د.ط). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البهي، محمد. (1964م). *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي* . (ط4). القاهرة : مكتبة وهبة.

بور، لدي. (1998م). *تاريخ الفلسفة في الإسلام*. ترجمة: محمد عبد الهادي. (ط 1). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

بورلو، جوزيف. (2001م). *الحضارة الإسلامية*. ترجمة: ريما الفوال. (ط 1). بيروت: دار الكتاب العربي.

بوزار، مارسيل. (1980م). *إنسانية الإسلام*. ترجمة: عفيف دمشقية. (د.ط). بيروت: دار الآداب.

بوكاي، موريس. (1978م). *القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"* . (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

البيهقي، الحافظ الأمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي. (1989م). *شعب الإيمان*. تحقيق: محمد السعيد زغلول. (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البيهقي، الحافظ الأمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي. (د.ت). *معرفة السنن والآثار*. تحقيق: سيد حسن.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، الحافظ الأمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي. (1983م). *مدخل إلى السنن الكبرى*. تحقيق: محمد ضياء الأعظمي. (د.ط). الكويت: درا الخلفاء للكتاب الإسلامي.

تريتون، (د.ت). *أهل الذمة في الإسلام*. ترجمة: حسن حبشي. (د.م). (د.ن).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك. (د.ت). *الجامع الكبير – السنن*. تحقيق: بشار عواد معروف. (د.ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

تسيهر، جولد. (1959م). *العقيدة والشريعة في الإسلام*. ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون). (ط2). بغداد: دار الكتب الحديثة .

توينبي، أرنولد. (1969م). *الإسلام والغرب*. ترجمة: نبيل صبحي. (د.ط). بيروت: دار العربية.

توينبي، أرنولد. (1960م). *مختصر دارسة التاريخ*. ترجمة: فؤاد شبل وآخرون. (د.ط). القاهرة: المركز القومي للترجمة .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الميراني. (1969م). *السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية*. (ط4). مصر: دار المعرفة.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الميراني. (1988م). *منهاج السنة النبوية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. (ط1). (د.م). مؤسسة قرطبة .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الميراني. (د.ت). *كتب ورسائل وفتاوي شيخ الإسلام* .تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي .(ط2).(د.م). مكتبة ابن تيمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الميراني. (د.ت). *الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام*. تحقيق: حسنين محمد مخلوف .(د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (د.ت). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري. (1950م). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبد السلام هارون. (ط4). القاهرة: (د.ن).

جب، هاملتون. (1979م). *دراسات في حضارة الإسلام*. ترجمة: إحسان عباس وآخرون. (ط3). بيروت: دار العلم.

جب، هاملتون. (د.ت). *دعوة إلى تجديد الإسلام*. (د.ط). دمشق: دار الوثيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي. (د.ت). *رحلة ابن جبير* . (د.ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

جريشة، علي محمد. (1979م). *أساليب الغزو الفكري في العالم الإسلامي* . (ط3). القاهرة: دار الوفاء للنشر.

الجعوان، محمد بن ناصر بن عبد الرحمن الجعوان. (1983م). *القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته "دراسة مقارنة.* (ط2). الرياض: (د.ن).

جلوب، جان باجوت. (1966م). *إمبراطورية العرب.* ترجمة: خيري حماد. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي

جلوب، جان باجوت. (د.ت). *الفتوحات العربية الكبرى.* ترجمة: خيري حماد.(د.ط). القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر .

الجندي، أنور. (1968م). *الإسلام وحركة التاريخ.* (د.ط). القاهرة: مكتبة الرسالة.

الجندي، أنور. (1988م). *تاريخ الغزو الفكري والتعريب.* (د.ط). القاهرة: دار العلوم للطباعة.

جواد، علي. (1959م). *تاريخ العرب قبل الإسلام.* (د.ط). بغداد: مطبعة مجتمع العلوم العراقي.

جوايتاين، (1980). *دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية.* تحقيق عطية القوصي. (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1999م). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك.* تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (د.ت). *تاريخ عمر.* تحقيق: علي محمد عمر. (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1979م). *صفوة الصفوة.* تحقيق: محمود فافوري وآخرون. (ط2). بيروت: دار المعرفة.

الحامدي، محمد الهاشمي. (د.ت). فصل موجز في أخلاق محمد وخاتم النبيين. (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن حبان، محمد. (1988م). *الإحسان في تقريب ابن حبان.* تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط 1). بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر.

حتي، فيليب. (1965م). *تاريخ العرب.* (ط4). بيروت: دار الكشاف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتي، فيليب. (1972م). الإسلام منهج حياة. ترجمة: عمر فروخ. (د.ط). بيروت: دار العلم .

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (1994م). *الإصابة في تمييز الصاحبة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. (ط 1) . بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (د .ت). فتح الباري. تحقيق: مصطفى الحلبي. (ط1). القاهرة: (د.ن).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (1984م). *تهذيب التهذيب*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي. (1987م). *رسائل ابن حزم*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: المؤسسة العربية للنشر.

حسن، محمد الغني. (د.ت). *الإسلام بين الإنصاف والجحود*. (د.ط). (د.م). مؤسسة المطبوعات الحديثة.

حسين، محمد محمد. (د.ت). *الإسلام والحضارة العربية*. (د.ط). (د.م). دار الفرقان.

حمدي، أحمد صادق . الديانات في أفريقيا السوداء . (1956م).

الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي. (1995م). *معجم البلدان*. (ط2). بيروت : دار صادر.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. (1980م). *الروض المعطا في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس. (ط2). بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة – مطابع دار السراج.

حنا، جورج. (1973م). *قصة الإنسان*. (ط5). بيروت: دار العلم للملايين .

حوراني ، ألبرت. (1997م). *تاريخ الشعوب العربية*. ترجمة: كمال خولي. (ط 1). بيروت: (د.ن).

حوراني ، ألبرت. (د.ت). *هاملتون جب. "إنجازات مستشرق"* . مجلة الفكر العربي. (العدد31). (د.م). (د.ن).

الحوفي، أحمد محمد. (1997م). *سماحة الإسلام*. (د.ط).القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر. (د.ت). *التوبيخ والتنبيه*. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم . (د.ط). القاهرة: (د.ن).

الخالدي، خالد يونس عبد العزيز. (2012). *اليهود تحت حكم المسلمين في الإندلس*. (ط1). القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخالدي، مصطفى. (1973م). التبشير والإستعمار. (ط5). (د.م). (د.ن).

الخرطبولي، علي. (1969م). *الإسلام وأهل الذمة*. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الخرطبولي، علي. (1970م). *المستشرقون والتاريخ الإسلامي*. (د.ط). القاهرة: مطابع الأهرام.

خطاب، محمد شيت. (1966م). *قادة فتح المغرب العربي*. (ط1). بيروت: (د.ن).

خطيب، عمر عودة. (1977م). *لمحات في الثقافة الإسلامية*. (ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة .

ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي. (1984م). *مقدمة ابن خلدون*. (ط5). بيروت: دار القلم .

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي. (1994م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. (د. ط). بيروت: دار صادر.

أبو خليل، شوقي. (1977م). *الإسلام في قفص الاتهام*. (ط3). دمشق: دار الفكر.

خليل، عماد الدين. (1996م). *قالوا عن الإسلام*. (ط 1). الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

ابن خياط، أبو عمرو خليفة الشيباني العصفري البصري. (1397م). *تاريخ خليفة بن خياط*. (ط2). تحقيق: أكرم ضياء العمري. بيروت: دار القلم . مؤسسة الرسالة .

أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. (د.ت). *سنن أبي داوود*. تحقيق: محمد محيي الدين. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

درمنغم، أميل. (1949م). *حياة محمد*. ترجمة: عادل زعيتر. (ط 2). بيروت: مطبعة دار إحياء الكتب العربية .

الدسوقي، محمد. (1977م). *الثقافة الإسلامية*. (ط2). ليبيا: جامعة الفاتح .

الدفاع، علي بن عبد الله. (1998م). *روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم*. (ط 1). بيروت: مؤسسة الرسالة .

الدمشقي ، عبد الرحمن بن حسن الميداني. (د.ت). *الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم*. (ط1). دمشق: دار القلم .

الدوري، عبد العزيز . مقدمة في تاريخ صدر الإسلام . (ط1). بيروت : المطبعة الكاثوليكية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دوزي، لرينهات. (1963م). *تاريخ مسلمي أسبانيا* . ترجمة: حسن حبشي. (ط 1). القاهرة: دار المعارف .

الدوميلي، (1962م). *العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي*. ترجمة: عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى. (ط1). القاهرة : دار القلم.

دي لامارتين، الفونس. (2006م). *حياة محمد*. ترجمة: محمد قويعة. (د.ط). الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري.

ديشان، هوبير. (2011م). *الديانات في أفريقيا السوداء*. ترجمة: أحمد صادق. (د.ط). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

دينيه، اتين. (1960م). *أشعة خاصة بنور الإسلام*. ترجمة: راشد رستم. (د.ط). بيروت: المكتب الفني للنشر.

ديورانت، ويليام جيمس. (1988م). *قصة الحضارة*. تحقيق: زكي نجيب محمود وآخرون. (د.ط). بيروت: دار الجيل، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (2003م). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. ط1. تحقيق: بشار عواد معروف. (د.م). دار الغرب الإسلامي.

الذهبي، *شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز* . (2006م). سير أعلام النبلاء. (د.ط). القاهرة : دار الحديث.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1999م). *مختار الصحاح*. ط5. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية، صيدا: الدار النموذجية.

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. (د.ت). *تفسير القرآن الكريم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. بيروت: المكتبة العصرية صيدا .

ابن رجب، زين الدين أبو الفرج بن شهاب الدين البغدادي. (1979م). *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*. تحقيق: مصطفى البغا. ط3. دمشق: المكتبة الشاملة.

ريسلر، جاك. (د.ت). الحضارة العربية. ترجمة: غنيم عبدون. (د.ط). القاهرة: الدار المصرية للنشر.

الزحيلي، وهبة. (2000م). *العلاقات الدولية في الإسلام*. ط1. دمشق : دار المكاتب للطباعة والنشر.

الزحيلي، وهبة. (1981م). *آثار الحرب في الفقه الإسلامي*. ط3. بيروت: دار الفكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان. (1996م). *تاريخ أبو زرعة*. تحقيق: خليل منصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي. (2003م). *الأعلام*. ط15. (د .م). دار العلم للملايين .

الزغبي، زاهر. (1971م). *الإسلام ضرورة عالمية*. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية للتأليف .

الزناتي، أنور محمود. (د.ت). *معجم افتراءات الغرب على الإسلام* . (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني. (د.ت). *الأموال لإبن زنجويه*. (د.م). (د.ن).

الزهراني، علي بن محمد بن سعيد. (1993م). *الحياة العلمية في صقلية الإسلامية*. (د.ط). مكة: جامعة أم القرى.

ابو زهرة، محمد. (1995م). *العلاقات الدولية في الإسلام*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

الزيات، أحمد حسن. (د.ت). *تاريخ الأدب العربي*. ط2. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.

الزيادي، محمد فتح الله. (1983م). *ظاهرة انتشار الإسلام*. (د.ط). ليبيا :المنشأة العامة للنشر والتوزيع.

ابن زيتون، عادل. (2001م). *الفتوحات العربية الإسلامية "قراءة تحليلية"* . مجلة العربي. (العدد 516). (د.م). (د.ن).

زيدان، جورجي. (د.ت) *تاريخ التمدن الإسلامي*. (د.ط).بيروت : مكتبة الحياة .

زيدان، عبد الكريم. (1976م). *أحكام المدنين والمستأمنين في دار الإسلام*. ط2. بغداد: (د.ن).

سارتون، جورج. تاريخ العلم. (1957م). ترجمة: محمد خلف الله وآخرون. ط 2. القاهرة: (د.ن).

سارتون، جورج. (1952م). *الثقافة الغربية*. ترجمة: عمر فروخ. (د.ط). بيروت: مكتبة المعارف.

سالم، السيد عبد العزيز. (1962م). *تاريخ المسلمون وأثرهم في الأندلس*. بيروت: دار النهضة العربية.

سالم، السيد عبد العزيز. (د.ت). دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام. (د.ط). (د.م). (د.ن).

السامرائي، قاسم. (1983م). *الإستشراق بين الموضوعية والإقتعالية* . ط 1. بيروت: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السباعي، مصطفى. (1979م). *الإستشراق والمستشرقون "ما لهم وما عليهم* ". ط2. بيروت: دار الوراق .

السباعي، مصطفى. (1977م). *من روائع حضارتنا*. ط2. دمشق: المكتب الإسلامي .

السباعي، مصطفى. (1976م). *السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي*. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

ستودارد، لوثروب. (1970م). *حاضر العالم الإسلامي*. ترجمة: عجاج نويهضي. ط3. بيروت: دار الفكر .

ستيوارت، جون. (1996م). *حول الحرية*. ترجمة: عبد الكريم أحمد. (د.ط). القاهرة: (د.ن).

السخاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (2001م). *البلدانيات*. تحقيق: حسام القطان. ط1. الرياض : دار العطاء.

السرجاني، راغب. (2007م). العلم وبناء الأمم. (ط1). (د.م).مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع .

السرخسي، شمس الدين. (د.ت). *شرح السير الكبير*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي. (1990م). *الطبقات الكبرى*. (ط1). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية .

سعيد، إدوارد. *الإستشراق*. (1996م). ترجمة: صبحي حديدي. ط1. القاهرة: دار الفارس .

سكارسيا، بيانكا ماريا. (د.ت). *العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية*. (د.ن). (د.ن).

سلهب، نصري. (د.ت). *لقاء المسيحية والإسلام*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي .

السهيلي، أبو القاسم. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. (1991م). (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي .

سوسة، أحمد نسيم . في طريقي إلى الإسلام . (د.ط). القاهرة : (1936م).

سيديو،(1969م). *تاريخ العرب العام*. ترجمة: عادل زعيتر. ط2. القاهرة: دار الحلبي .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1952م). *تاريخ الخلفاء*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط1. القاهرة : مطبعة السعادة. مطبعة السعادة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.(1992م). *الدر المنثور*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

شاخت، جوزيف. (1972م). *تراث الإسلام* . ترجمة: حسين مؤنس وآخرون.(د.ط). الكويت: عالم المعرفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله .(204هـ/820م). الأم . ط 2.بيروت : دار المعرفة . (1973م . 1393هـ).

شاكر، محمود. (2003م). *موسوعة الفتوحات الإسلامية*. ط 1. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

الشامي، محمد السيد. (1974م). *مجلة كلية اللغة العربية*. (العدد2). ليبيا: مقال بعنوان. الإسلام وحده هو دين الإسلامية الراجلة .

ابن شبه، أبو زيد عمر النميري البصري. (1996م). *تاريخ المدينة المنورة* . تحقيق: علي محمد دندل وآخرون. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشحود، علي. *الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل* . (د.ط).(د.م). (د.ن).

ابن شداد، أبو المحاسن عز الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عثبة الأسدي الموصلي. (1994م). *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة صلاح الدين"* . تحقيق: جمال الدين الشيال. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي .

الشرقاوي، محمد عبد الله. (د.ت). *الإستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر "دراسة تحليلية تقويمية"* . (د .ط). القاهرة : دار العلوم.

الشريف، عبد الله بن حسين. (د.ت). *الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك* .(د.ط) .مكة : (د.ن).

شقرة، محمد إبراهيم. (1998م). *السيررة النبوية العطرة* ط1. الرياض: مكتبة المعارف .

شلبي، أبو زيد. (د.ت). *تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

شلبي، أحمد. (1988م). التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. ط 2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شلتوت، محمود. (د.ت). *القرآن الكريم*. (د.ط) . بيروت : دار الشروق.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (د.ت). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. (د.ط). بيروت: دار الفكر .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1973م). *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار*. (د.ط). بيروت: دار الجيل.

شولز، كريستيان. (1993م). *العمارة الإسلامية* .ترجمة: محمود حمدي. (ط1). بغداد: (د.ن).

الشيباني، محمد شريف.(د.ت). *الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة* .(د.ط). (د.م). (د.ن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن الكوفي. (1988م). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد .

مسند ابن أبي شيبة. (1997م). تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وآخرون. ط 1. الرياض: دار الوطن.

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف. (د.ت). *المهذب في فقه الإمام الشافعي* . (د.ط). بيروت: دار الفكر .

الصالحي، محمد بن يوسف الشامي .(1993م). *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

صقر، عطية. (1988م). *الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه*. (د.ط). القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة. (1967م). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. القاهرة : دار الكتاب اللبناني.

طبارة، عفيف. (1978م). *روح الدين الإسلامي*. بيروت: دار العلم للملايين .

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. (1983م). *المعجم الكبير* . تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. الموصل : مكتبة الزهراء.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. (1984م). *مسند الشاميين*. تحقيق: حمدي السلفي . ط1. بيروت : مؤسسة الرسالة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (1971م). *تاريخ الأمم والملوك*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. مصر: دار المعارف .

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أمين القرشي المصري. (1995م). *فتوح مصر وأخبارها* . تحقيق: محمد الحجيري. ط1. بيروت: دار الفكر .

ابن عبد الحكم، أبي محمد عبد الله. (1984م). *سيرة عمر بن عبد العزيز*. تحقيق: أحمد عبيد. ط6. بيروت: عالم الكتب.

عبد الحميد، عرفان. (1979م). *المستشرقون والإسلام*. (د.ط). بغداد: مطبعة الإرشاد .

عبد الحميد، مها. (د.ت). *الروح الإنسانية لانتشار الإسلام في المغرب العربي وبلاد الأندلس* . (دراسة منشورة بمجلة كلية المأمون). العدد: 25. بغداد: الجامعة العراقية

عبد الرازق، أبو بكر بن همام الصانعي . (1982م). المصنف. تحقيق: حبيب الأعظمي . ط 2. بيروت: المكتب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد القادر، هيثم عبد الرحمن. (د.ت). الرؤية الإستشراقية لجهود *الصحابة في نشر الإسلام وأثرها في الدراسات المعاصرة "دراسة تحليلية"* . (د.ط). مصر: جامعة الأزهر .

عبد الله ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. (2002م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية .

عبد المنعم، ماجد. (1967م). *التاريخ السياسي للدولة العربية*. (د.ط). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية .

عبد الهادي، جمال.(د.ت). *فتح مصر*. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية .

عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي. (1999م). العقد الفريد . ط 3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو عبيد، القاسم بن سلام البغدادي. (1988م). *الأموال*. تحقيق: خليل محمد هراس. بيروت: دار الفكر.

عتر، حسن ضياء الدين. (1999م). *وحي الله. "حقائقه و خصائصه في الكتاب والسنة"* . (ط1). دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر.

العدوي، ابراهيم احمد. (1963م). *الأمويون والبيزنطيون*. (د.ط). القاهرة : (د.ن).

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي. (د.ت). *البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب*. تحقيق: كولان وليفي بروفنسال. (د.ط). بيروت: دار الثقافة.

عرفة ، محمد أحمد. (د.ت). السر في انتشار الإسلام .(ط1). القاهرة: مطبعة النهضة.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي. ،(1995م). *تاريخ دمشق*. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. (د. ط). (د.م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي. (د.ت). *تهذيب تاريخ دمشق الكبير* .تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران. بيروت: دار المسيرة.

العقاد، محمود. (1974م). *الإسلام دعوة عالمية* . (ط1).بيروت: دار الكتاب اللبناني .

العقاد، محمود. (د.ت). *حقائق الإسلام وأباطيل خصومه*. (د.ط). القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر.

العقاد، محمود. (1993م).*الإسلام في القرن العشرين* . (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العقيقي، نجيب. (1946م). *المستشرقون*. ط3. القاهرة: دار المعارف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، (1986م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: محمود الأرناؤوط. ط1. بيروت: دار ابن كثير.

عمارة، محمد. (د.ت). *هذا هو الإسلام*. (د.ط). (د.م).مكتبة الشرق الدولية

عماش، صالح. (1978م). *قتيبة ابن مسلم الباهلي*. (د.ط). بغداد : (د.ن).

العمري، أكرم ضياء. (د. ت). *موقف الإستشراق من السنة والسيرة النبوية*. (د.ط).الرياض: (د.ن).

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي. (2010م). *مسالك الأبصار في ممالك الأنصار*. تحقيق: كامل سلمان الجبوري وآخرون. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

غارودي، روجيه. (1982م). *حوار الحضارات*. ترجمة: عادل العوا. ط2. بيروت: (د.ن).

الغزالي، محمد. (د.ت). *مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة*. ط1. القاهرة: دار النهضة المصرية.

غيان، بوجينا. (1980م). تاريخ التشريع الإسلامي . ط1. لبنان: دار الآفاق الجديدة .

فاغاري، لورافيشيا. (1963م). *دفاع عن الإسلام*. ترجمة: منير البعلبكي. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين.

فايس، ليوبولد "محمد أسد". (1956م). *الإسلام على مفترق طرق*. ترجمة: عمر فروخ. ط 6. بيروت: دار العلم للملايين.

فرانز، روزنثال. (1983م). *علم التاريخ عند المسلمين* . ترجمة: صالح أحمد العلي. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة .

فروخ، عمر. (1980م). *تجديد التاريخ*. ط1. بيروت: دار الباحث .

فلهاوزن، يوليوس. (1968). تاريخ الدولة العربية. (ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة.(د.ط). القاهرة: (د.ن).

فلهاوزن، يوليوس. (د.ت). *المعارضة السياسية*. ترجمة: عبد الرحمن بدوي. (د.ط). دار الجليل للنشر.

فلوتن، فان. (1965م). السيادة العربية. ترجمة: حسن إبراهيم وآخرون. ط2. بيروت: (د.ن).

فهمي، مصطفى أبو زيد. (د.ت). *فن الحكم في الإسلام*. (د.ط). القاهرة: المكتب المصري الحديث .

فوزي، فاروق عمر. (1998م). *الإستشراق والتاريخ الإسلامي* . ط1. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفيومي، محمد إبراهيم. (1994م). *الإستشراق في ميزان الفكر الإسلامي*. د.ط. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

القاسمي، ظافر. .(1982م). *الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام*. ط1.دار العلم للملايين.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (1997م). *الإمامة والسياسة*. تحقيق: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (د.ت). عيون الأخبار. (د.م). (د.ن).

قدامة بن جعفر، (1981م). *الخراج وصناعة الكتابة*. تحقيق: محمد حسين الزبيدي. ط1. بغداد: دار الرشيد .

القرضاوي، يوسف. (1985م). *غير المسلمين في المجتمع الإسلام* . (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة .

القرضاوي، يوسف. (2010م). *فقه الجهاد "دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة"*.(د.ط). (د.م). مكتبة وهبة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (د.ت) *الجامع لأحكام القرآن*. (د.ط). القاهرة: دار الشعب.

القزويني، زكريا. (1960م). *آثار البلاد وأخبار العباد*. (د.ط). بيروت: دار صادق.

القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني. (د.ت) *المواهب*. (د.ط). القاهرة: المكتبة التوفيقية.

قطب، سيد. (د.ت). *السلام العالمي والإسلام*. ط3. القاهرة: مكتبة وهبة .

قطب، محمد. (1999م). المستشرقون والإسلام. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري. (د.ت). صبح الأعشى في كتابة الإنشاء. (د .ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري. (1980م). *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*. تحقيق: إبراهيم الإبياري. (ط2). بيروت: دار الكتاب اللبنانيين .

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري. (د.ت). *مآثر الأناقة في معالم الخلافة*. تحقيق: عبد الستار فراج. (د.ط). (د.م).عالم الكتب

ابن القيم الجوزيه، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر.(1983م). *أحكام أهل الذمة*. تحقيق: صبحي صالح. ط2. بيروت: دار العلم للملايين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن القيم الجوزيه، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (1998م). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. تحقيق: شعيب الأرنئوط . ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة .

كاسترو، أمريكو. (2003م). *أسبانيا في تاريخها "المسيحيون والمسلمون واليهود"* . ترجمة: علي إبراهيم منوفي . ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة .

كاستري، دي . *الإسلام خواطر وسوانح* . (2008م). ترجمة: أحمد فتحي زغلول. ط 1 . القاهرة: مكتبة النافذة .

الكاندهلوي، محمد يوسف. (د.ت). حياة الصحابة. (د.ط). بيروت: دار المعرفة .

كاهين، كلود. *الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية* . (1995م). ترجمة: أحمد الشيخ. القاهرة: دار سينا للنشر.

كاهين، كلود. (2010م). *الإسلام منذ نشأته حتى ظهور السلطة العثمانية*. ترجمة: حسين جواد. ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة .

كاهين، كلود. *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*. (1972م). ترجمة: بدر الدين القاسم.(د.ط). بيروت: دار الحقيقة .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (1988م). *البداية والنهاية* . ط1. تحقيق: علي شيري. (د.م). دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (1980م). *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار الفكر .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (1965م). *السيرة النبوية* . تحقيق: مصطفى عبد الواحد. (د.ط).القاهرة: مطبعة الحلبي.

كرد علي ، محمد بن عبد الرازق بن محمد. (د.ت). *الإسلام والحضارة العربية* . ط3.القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة.

ابن الكردبوس، أبو مروان بن عبد الملك بن الكردبوس التوزاري. (د.ت). *الاكتفاء في أخبار الخلفاء*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي . (1996م). *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء* . تحقيقظ: محمد كمال الدين عز الدين علي. ط 1. بيروت: دار الكتب للنشر.

الكلبي، هشام بن محمد السائب. (د.ت) . *جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكواتي، مسعود. (1991م). *اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين "رسالة ماجستير*. (د.ط).الجزائر: (د.ن).

كوبولد، ايفلين. (1934م). *البحث عن الله*. ترجمة: عمر ابو النصر.(د.ط). بيروت: المكتبة الأهلية.

كويلر، يونغ. (د.ت). *الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته*. ترجمة: عبد الرحمن أيوب. (د.ط) . القاهرة: دار النشر .

لابيدس، إيرام. (2011م). *تاريخ المجتمعات الإسلامية* . ترجمة: فاضل جكتر. ط 2. بيروت: دار الكتاب العربي .

لاندو، روم . الإسلام والعرب. (ترجمة منير البعلبكي).(ط1). بيروت : دار العلم للملايين .

اللحيدان، صالح. (1962م). *الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع*. ط 4. الرياض: مكتبة الحرمين.

لوبون، غوستاف. (1956م). *حضارة العرب* . ترجمة: عادل زعيتر. ط 3. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

مالك، مالك بن انس.(د.ت). (د.ت). *موطأ الإمام مالك* . تحقيق: محمد عبد الباقي. (د.ط). القاهرة: دار احياء التراث العربي

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشافعي. (1985م). *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو المحاسن، يوسف بن ثغري جمال الدين أبو المحاسن. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

المرصفي، سعد. (1990م). *المستشرقون والسنة*. (د.ط). الكويت: دار المنار الإسلامية.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (1965م). *مروج الذهب*. (د.ط). بيروت: دار الأندلس.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (د.ت). *التنبيه والإشراف*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. (د.ت). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط2.بيروت: المكتبة الشاملة .

المصري، جميل عبد الله محمد. (د.ت). *دواعي الفتوحات الإسلامي ودعاوي المستشرقين*. (د.ط). دمشق: دار القلم .

مصطفى، إبراهيم وآخرون.(د.ت). *المعجم الوسيط* تحقيق: مجمع اللغة العربية. (د.م). (د.ن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطفى، ناديه محمود. (1996م). *الدولة الأموية دولة الفتوحات*. ط1. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المطوي، محمد العروسي. (1932م). *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*. (د.ط). (د.م). دار الغرب الإسلامي .

المعاضيدي، عبد القادر محمد. (1989). *عثمان بن عفان ذو النورين*. (د.ط). بغداد: (د.ن).

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري. (1991م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* . ط3. بيروت: دار صادر، القاهرة : مكتبة مدبولي.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني. (1900 ، 1968 ، 1997م .). *نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب*. ط1. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي . (1997م). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. (ط 1). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي.(د.ت). *الإلمام*. (د.م). (د.ن).

مناع، هيثم. (د.ت). *حقوق الإنسان في الثقافة العربية والإسلامية* . (د.ط). تحقيق: أحمد عبد المعطي حجازي. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

المنجد، صلاح الدين.(1978م). *المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (1984 م). *مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر* .ط1. تحقيق: روحية النحاس ، رياض عبد الحميد مراد محمد مطيع. دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (1993م). *لسان العرب* .ط1. تنزيل: مجموعة من اللغويين. بيروت: دار صادر.

مؤنس، حسين. (د.ت). *الإسلام الفاتح*. (د.ط). (د.م).دار الزهراء للإعلام العربي.

مؤنس، حسين. (1959م). *فجر الأندلس*. (د.ط). القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر .

متز، آدم. (2003م). *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري* . ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الميداني، عبد الرحمن حسن. (1975م). أجنحة المكر الثلاثة. ط1. دمشق : دار العلم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المناوي، زين الدين محمد . (1937م) . *فيض القدير "شرح الجامع الصغير"* . ط1. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى .

ناتنج، أنتوني. (1974م). *العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام* . ترجمة: راشد البرواي.(د.ط). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية .

النجار، حسين فوزي.(د.ت) *الدعوة والدعاة في الإسلام.* (مجلة الفيصل. عدد 42). المكتبة الشاملة.

الندوي، أبو الحسن. (1964م). *ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.* ط5. القاهرة: مكتبة دار العروبة.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (1985م).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط4. بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (د.ت). *فضائل الخلفاء الراشدين.* (د.ط). (د.م). (د.ن).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (د.ت). *الديارات.* (د.ط). (د.م). (د.ن).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (د.ت). *المسند المستخرج لصحيح مسلم.* ط1. (د.ن). المكتبة الشاملة.

نقيرة، محمد عبد الله. (1982م). *انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له* . (د.ط). الرياض: دار المريخ.

نهرو، جواهر لال. (1957م). *لمحات من تاريخ العالم.* (د.ط). بيروت: المكتب التجاري.

النووي، تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني. (2001م). *كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار.* تحقيق: عبد القادر الأرنئوط. ط9. بيروت: دار الشائر.

هارث ، مايكل. .(1979م). *الخالدون المئة.* ترجمة: خالد عيسى وآخرون. ط 2. بيروت: دار قتيبة .

هازارد ، هاري. (د .ت). *أطلس تاريخ الإسلام* . ترجمة: إبراهيم خورشيد. (د.ط). القاهرة: مكتبة النهضة

هستشيجيفكا، لبوجينا غيان. (1980م). تاريخ التشريع الإسلامي. ط1. بيروت: دار الآفاق .

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن آبار الحميري المعافري أبو محمد . (1990م). *السيرة النبوية* . ط1. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت: دار الجيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هل، جوزيف. (1942م). *حضارة العرب*. ط3. باريس: (د.ن).

هونكا، زغريد. (1981م). *شمس العرب تسطع على الغرب* . ترجمة: فاروق بيضون وكمال شوقي. ط6. بيروت: دار الآفاق الجديدة .

الهيثمي، علي بن أبي بكر . (1986م). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. القاهرة: دار النشر.

هيكل، محمد حسين. (د.ت). *حياة محمد* . (د.م). (د.ن).

هيكل، محمد حسين. (د.ت). *الفاروق عمر*. (د.ط). القاهرة: دار المعارف .

وات، مونتجمري. (د.ت). *محمد في مكة*. ترجمة شعبان بركات. (د.ط). بيروت: منشورات المكتبة العصرية .

وات، مونتجمري. (1998م). *الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر*. ترجمة: عبد الرحمن عبد الله.(د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وات، مونتجمري. (1993م). *تأثير الإسلام في أوروبا* . ترجمة حسين أحمد أمين.(د.ط). بيروت: دار الشروق .

الواقدي، أبو عبد الله بن عمر بن واقد الواقدي. (د.ت). *فتوح الشام* . (د.ط). بيروت: دار الجيل.

الواقدي، أبو عبد الله بن عمر بن واقد الواقدي. (2004م). *المغازي*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

الوكيل، محمد السيد. (1995م). *جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ."دراسة وصفية تحليلية"* . ط5. جدة: المجتمع للنشر والتوزيع .

الونشريسي، أحمد بن يحيى. (1981م). *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب*. تحقيق محمد حجي. (د.ط).بيروت: دار المغرب الإسلامي.

وود، ريشارد. (1912م). *الإسلام والإصلاح* . ترجمة: محب الدين الخطيب. د.ط. القاهرة: مطبعة المؤيد.

ويلز، (1950م). *معالم تاريخ الإنسانية* . ترجمة: عبد العزيز جاويد وآخرون. (د.ط). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ياقوت، محمد مسعد. (2007م). *نبي الرحمة "الرسالة والإنسان"* . ط 1.القاهرة: الزهراء للإعلام.

اليعقوبي، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (د.ت). *تاريخ اليعقوبي*.(د.ط). بيروت: دار صادر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري. (1979م). *الخراج*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com